رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذكرات وذكريات

ستون عاماً في سبعة وخمسين دولة

الجزء الأول

عشر دول عربية أسيوية

فضيلة الشيخ
إسماعيل بن سعد بن إسماعيل العتيق

دار القاسم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذكرات وذكريات

ستون عاماً في
سبع وخمسين دولة

١٣٦٧هـ ـ ١٤٢٨هـ

الجزء الأول

عشر دول عربية آسيوية

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل العتيق

دار القاسم
الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ع دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عتيق، إسماعيل سعد
مذكرات وذكريات: ستون عاماً في سبع وخمسين دولة./
إسماعيل سعد عتيق.- الرياض، ١٤٣٠هـ
... ص ؛ ... سم
ردمك: ٤ - ٣٦٧ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١. ابن عتيق، إسماعيل بن سعد. مذكرات أ. العنوان
ديوي ٩٢٢,١١٣ ١٤٣٠/٣٤٦٦

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٣٤٦٦
ردمك: ٤ - ٣٦٧ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر

جدة. هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام. هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ . فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة. هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط. هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-algassem.com
sales@dar-algassem.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المؤلف
تلقيه العلم وتلمذته

افترت ثناياه عن بسمة وتفتحت أسارير وجهه حينما رأى ابن عمه حمد ابن عبداللطيف وعمته منيرة بنت إسماعيل على منضدة التعليم هذا للبنين وتلك للبنات في بيت واحد يفصل بين المدرستين حائط هو منزلهما ومقر سكنهما فكانت الفرحة وكان الوئام حينما يريان ابناً جاء لتلقي القرآن يحمل لوحه بصحبة خاله علي بن خليفة لم يكن يتيماً لوجود أبويه ولكنه أشبه به، إذ فارق أبوه أمه فعاش بين أخواله وجدته لأمه تناول اللوح الخشبي ليكتب له مدرسه أ، ب، ت وربما استثقل القراءة واستعجمت عليه الحروف فيعود لعمته لتلقنه ما صعب عليه فكان غرس العلم في ذاكرته أمضى في تلقينه الحروف الهجائية والأبجدية وقراءة المصحف ثلاث سنين ثم كانت المرحلة الثانية لتلقي القرآن الكريم في مدرسة محمد بن أحمد بن سنان في الرياض تلك المدرسة الأم ولم يكن بعد التعليم النظامي عام ١٣٦٧هـ شمل أحياء الرياض وأطرافه وكانت القراءة بالمصحف الشريف إلى النصف من القرآن عاماً ونصف عام بصحبة والده ومدرسه الأكبر بعد أمه وأخواله ومدرسه عاد إلى وطنه وادي الدواسر وقد فتحت المدرسة النظامية فالتحق بها ١٣٦٩هـ فصنف في السنة الثانية الابتدائية ويمضي في الثانية والثالثة عام ٦٩ و٧٠ وفي عام ١٣٧١هـ استقل برأيه بعد وفاة والده وقرر العودة للرياض ليواصل الدرس ويبتعد عن الأقران الذين يصمونه باليتم وصل الرياض؛ فلم يرَ بدّاً من كسب العيش واللقمة السائغة، وساعد مقدر الأقدار بوجود رجل أعمى طالب علم يبحث عمن يقوده ويقرأ عليه درسه فكان ما كان من صحبته ستة أشهر برسم نقدي ثلاثون ريالاً كل شهر،

وبلغ الشيخ محمد بن إبراهيم خبر هذا اليتيم من آل عتيق في الثالثة عشر من عمره ليختاره مدرساً لبناته الصغار مما جعل هذا الاختيار عربوناً لطلب العلم والاستفادة من مجلس الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم في الآجرومية بعد صلاة الفجر.

وبعد مضي السنة ونصف السنة في المدرسة القرآنية في بيت الشيخ محمد بن إبراهيم قفزت إرادته إلى اللحوق بالدراسة في المعاهد العلمية التمهيدية عام ٧٢ و ٧٣ ثم الثانوية حتى نهاية الكلية عام ١٣٨٤هـ وبهذا أنهى عشرين عاماً في مرحلة تكوينه العلمي والمعرفي من عام ١٣٦٤هـ إلى عام ١٣٨٤هـ.

وبدأت مرحلة العمل الوظيفي من عام ١٣٨٥هـ إلى عام ١٤١٧هـ اثنان وثلاثون عاماً في الخدمة ومع انتظامه في الدراسة النظامية في المعهد العلمي بالرياض فقد كانت تدغدغه إرادته الطموحة لأن يكون عالماً مضاهياً لمن شاهد ويشاهد من العلماء والمدرسين، وكانت مدرسة الشيخ عبدالله القرعاوي في اليمن تشع أخبارها بوجود عالم متبحر تضرب إليه أكباد الإبل هو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي فاقترنت إرادته بطموحاته ليكون تلميذاً للشيخ حافظ وبعد تجاوز ما ينيف على ألف كيلومتر من الرياض إلى سامطة ناهيك بالمواصلات وصعوبة السفر أيامها ينزل هذا الضيف الغريب من أهل نجد على الشيخ حافظ حكمي في سنه المراهق وعدم أهليته لتقحم الأسفار وماذا يريد من جيزان والعلم والعلماء في العواصم وتوفر آلات الطلب من الكتب أمضى مع الشيخ حافظ خمسة عشر يوماً ولم يرق له المقام ولكنها رحلة استطلاعية أوجبت له البحث عن مدرسة أخرى فكان في بيت الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي إذ هو أشهر عالم عرف بكتبه ومؤلفاته فكانت التجربة الثانية أشار عليه الشيخ ابن سعدي أن يلتحق بالعلماء في بريدة لينتظم في مدارس الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ صالح الخريصي

بجانب دراسته في المعاهد العلمية في بريدة وبهذه المشورة أرسى قواعده وحطم سرج فرسه وقطع زمام رحله ثلاث سنوات أمضاها في بريدة في حلقات التعليم قراءة الأصول العقائدية، ومتون النحو الآجرومية، ومتن القطر، والألفية على الشيخ بن حميد، والفقه والتوحيد على الشيخ صالح الخريصي، والحديث على الشيخ علي البراهيم المشيقح، وعاد بعدها إلى كلية الشريعة في الرياض بعد فاصل زمني أجبره على الاستشفاء في لبنان من أمراض صدرية، ضحّى بعام واحد في سبيل الاستشفاء مما جعله يكسب بعض المعارف المحيطة بالعالم العربي السياسي والاجتماعي. وعسى أن تكرهو شيئاً وهو خير لكم.

فما محصوله العلمي بعد هذه التنقلات ومصاحبة العلماء في الرياض وسامطة والقصيم لا شك أن المعارف لا تنتهي إلى حد فما العلم إلا بحر خضم فما ينقصه منقار طير بلّ لسانه العلم يتوقف تحصيله على المدارك الذاتية وحرص الطالب وجهده وإرشاد المدرس وسد جميع العوائق، ولكن قد يحسب على العلم من أمضى عشرين عاماً في طلبه واثنين وثلاثين عاماً في ترويجه وتلقينه وإن لم يتفوق ويشار إليه بالبنان من الأعيان، وشيء من المهم وهو أن طبيعة العمل بعد التخريج تحتم على طالب العلم أن يكون في بؤتقة عمله إداريّاً أو تعليميّاً أو في القضاء الشرعي، أما صاحب الترجمة فقد أفنى شطر عمره في الأعمال الإدارية البحتة مما جعل حصيلة علمه تنقص بنقصان مداركه ومع هذا فقد ولج في كل باب يطرقه وأدلى بدلوه في ما كتب وألف ولو لم ينل شهرة الكاتب أو العالم.

رفع
عبدالرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أداؤه العلمي والأدبي

له قلم سال لعابه، وتنوع خطابه، منذ كان يافعاً وحرر ما كان مفيداً ونافعاً، تبنى مشروع إحياء السنة وإماتة البدعة من ثلاث سلاسل من الكتب الأولى: «التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة» والثانية: «عيون الرسائل والمسائل» والثالثة: «أعلامنا في سجل التاريخ»، السلسلتان الأوليان من تصحيحه ومراجعته والثالثة من جمعه وتصنيفه أصدر منها تراجم لستة أعلام: محمد بن سعود، وعبدالله بن محمد، وحمد بن معمر، ومحمد بن إبراهيم، وعبدالله القرعاوي، وصالح الخريصي، ثم أعقبها بمعالم من سيرة عالم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ وأبنائه الثمانية وأحفاده.

وقد أولع بإحياء مآثر آل عتيق فجمع عبر شتات رسائل الشيخ حمد بن عتيق بعنوان «هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق»، كما جمع «المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق» مجلد لطيف، وكذا طبع «نيل المراد بنظم متن الزاد».

وفيما يتعلق بسيرته الذاتية فقد خص نفسه بكتاب «حقائق في مرآة الزمان صور من حياة الكاتب وأعماله الميدانية».

وترجم لخمس وخمسين من العلماء والأعيان تحت عنوان «أعلام وعلماء عايشتهم»، ومما نسي ولم يذكر ما حرره من الإجابات على المراسلات حينما كان يعمل في مؤسسة الحرمين الخيرية خمس سنوات بعد التقاعد أربعين مجلداً في كل مجلد مئتا جواب على مائتي سؤال احتفظ منها بعشر مجلدات وثلاثون في المؤسسة.

وله ولع بخدمة أسرته وقد كتب «التحقيق في معرفة أبناء الشيخ حمد

بن عتيق»، وترجم لثلاثة وخمسين متوفى من أبناء الشيخ حمد وأحفاده، وزاد بإصدار كتابين في مجلدين اسماه « المسيرة الأسرية لآل عتيق» في كل مجلد أربع كتب.

أما الشعر فله معه أطوار المديح كان ذلك للملك سعود عام ١٣٧٧هـ عندما زار بريدة وهو إذ ذاك طالب في المعهد العلمي قصيدته عن الملك سعود بحضور الشيخ عبدالله بن حميد ومطلعها:

بانت سعاد وحبل الوصل مفتول
وللغرام بها قلت وأقول

ومنها:

سعود سعدت والسعداء مسومة
على الجبين بحول الله مأمول

كما أنشد أمام حاكمي البحرين الشيخ سلمان بن حمد والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وقد أنشد أشعاراً في قطر، وقد أبى إلا أن يظهر شعره فقام بطبع كتاب «إتحاف القاري بالمختار من أشعاري» ولا زال ينظم الشعر ويهواه وأبلغ ما قاله في رثاء نفسه:

أرثي شبابي وهذا الشيب يدنيني
من حفرة في أديم الأرض يقصيني
قد قال لي بمقال لا أكذبه:
ماذا تريد وما ترجوه بعد سبع

والخلاصة: أن المترجم له يسعى لنيل الكمال في كل الأفعال وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

سجل له التاريخ ستين عاماً في سبع وخمسين دولة، كما كانت له مراسلات في ثلاثين عاماً كل عشر سنوات مجلد تفيد التواصل مع العالم الداخلي والخارجي حيث كان في أعماله الرسمية يواصل مراسلاته ورحلاته، وقد جمع في أرشيفه ثلاث مجلدات من المراسلات الواردة إليه حيث لم يكن في تلك السنين اتصالات سلكية أو لا سلكية إلا النزر اليسير.

أما الصحافة والإعلام فكان على صلة بالصحافة الإسلامية والمجلات الدورية، وكتب أول ما كتب في جريدة الشهاب اللبنانية عام ١٣٨٧هـ بعدها واصل الكتابة.

وقد كان متواصلاً مع مجلة البلاغ الكويتية سجل فيها رحلاته ومشاهداته، وكذا مجلة الدعوة في السعودية يزودها بكل جديد ويواصل الكتابة فيها، وأخيراً صحيفتا الجزيرة والرياض السعوديتين ومجلة الدرعية، فقد نشر وثائق ومعلومات اختص بها قلمه فلم يكن يصنف صحفيّاً محترفاً ولكن كاتباً إسلاميّاً يروق له النشر ويستأنس بنشر الفضائل عبر الصحافة الإسلامية.

وكل ما تقدم هو حصيلة إنتاجه العلمي والأدبي، علماً بأن ثقافته لا تخوله البروز في الأدب والتاريخ ولكنها هوايته الذاتية ورغبة في المشاركة الأدبية وإن لم يكن من المتخصصين في هذا المجال حيث كانت دراسته شرعية، ومارس أعمال إدارية بعيده عن المشرب الأدبي والمنحى التاريخي؛ لذا كان إنتاجه محدوداً.

ولأهمية السجل التاريخي لمن وضعوا بصماتهم على التاريخ كتبت هذه الترجمة الموجزة رجاء الاستفادة والإفادة في نبراس العلم والصعود إلى المعالي.

والله هو الولي وصلى الله وسلم على نبينا محمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، أقسم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، وبعد:

فإنه يطيب لي وأنا في معترك السبعين من سني العمر؛ أن أشفع عمري المحدود عمراً يطول مداه بتعاقب الليل والنهار ما بقي المداد على الطرس، وتزاحمت الأحداث بين نعم وبئس بالمتضادات لنعرف الأشياء؛ ونميز ما هو ثابت وما هو هباء، والإنسان غير قابل لاستمرارية الحياة؛ ولكن يبقى للإنسان ما عمل، وإن من أجل الأعمال وأعظمها نفعاً ما استفاد منه الإنسان ممن سبقه في إيضاح المعالم وسنن الحياة.

لذا بدا لي أن أكتب عن ماضٍ أجله، قريب متناوله، ستون عاماً في سبع وخمسين دولة طوفت بها براً وبحراً وجواً؛ في القارات الخمس آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، والأمريكتين، واستراليا.

البعض في الذاكرة الحافظة، ومنه ما هو مسطر في أرشيف المكتبة، ولقد أسفت على تسويفي إذ لم أبادر بالكتابة حين الخبر طرياً؛ والمشاهدة قريبة العهد؛ ولكن لكل أجل كتاب.

نسأل الله العفو؛ إن كان فيما أكتبه زلل أو حيدة عن الحق في قول أو عمل.

أبدأ بالدول الآسيوية عشر دول عربية هي: المملكة العربية السعودية، والكويت، والبحرين، وقطر واتحاد الإمارات العربية، وسوريا، ولبنان، والأردن، واليمن بشطريه الجنوب والشمال، وعمان.

أما المملكة العربية السعودية المباركة فسأفردها بحديث مفصل على نطاق المقاطعات العشر التي زرتها وأقمت بها وهي الرياض، والقصيم، والمنطقة الشرقية، وأبها، ونجران، وجيزان، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وتبوك، وحائل.

ولي مرام من هذا الكلام: هو عنوان إسعادي حينما يتلقفها الأولاد

والأحفاد والأسباط.

وهم أولى بالقراءة فيما أكتبه؛ وأحق بتناول ما أطرح؛ فإنني أشعر بالاعتزاز حين أقرأ ما يمليه الأسلاف من معارف؛ وما حبرته أناملهم من اللطائف؛ ويمكنني تسمية هذه الكراريس بأدب الرحلات ولكن اخترت لها ستون عاماً في سبع وخمسين دولة من ١٣٦٧هـ ـ ١٤٢٨هـ.

وبعد تحديد ما أمليه، وإعلان ما كنت أسر وأخفيه، لعل من يقول ما لجدي وهذا التطواف؛ وما الحامل على هذا الدأب ومن وراءه المخاطر والمخاوف ولجج البحر وفضاء الطيران والغربة في الديار، مع تنوع اللغات؛ واختلاف العادات، بل المذاهب والديانات، إنه سؤال مفترض، ولكن في الحقيقة لابد من توضيح الغرض، والجواب على ما افترضه الابن البار يجده في طيات صفحاته، فيلتقطه التقاط الحب المنثور؛ ويضمه إلى ما عنده من درر لينظمه على جيد الأرام.

وفي قول الشافعي شذرات من الإجابة:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة
وعلم وآدب وصحبة ماجد

كانت هواية الأسفار منذ نعومة الأظفار استلهم قول أبي الطيب:

ومن شيم الليالي أن تشكك ناقتي
صدري بها أفضى أم البيداء

أعود فأشكر القارئ على تحمله، فإن شكرني فذاك من فضله ونبله، وإلى اللقاء بالقارئ الكريم أنَبْت قلمي؛ وفوضت دفتري في مناجاتك ومسامرتك، والله من وراء القصد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تحريره في ٢٣/ ٢/ ١٤٢٩هـ

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن عتيق

رفع
عبدالرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرياض من هنا وهناك في ستين عاماً

كانت النقلة الأولى من بلدي ومسقط رأسي وادي الدواسر إلى الرياض عام ١٣٦٧هـ؛ بصحبة والدي لغرض الدراسة وتلقي العلم فيه، ولم تكن المواصلات آن ذاك بالشيء السهل؛ حيث لا يوجد من ينقل المسافرين؛ بعد عنت الجمال ومشقة السير على الأقدام سوى سيارتين؛ يمتلكهما اثنان من أهل الوادي: إبراهيم بن عبيد وآخر لا يحضرني اسمه، وكانت الأجرة غالية للغاية، على الكبير خمسة وأربعون ريالاً؛ وعلى الصغير خمسة عشر ريالاً؛ ستون ريالاً يدفعها أبي منجماً: ثلاثون في بداية الرحلة؛ وثلاثون بعد الوصول؛ وهذا المبلغ قد يساوي قيمة الجمل مع إعداد مؤنة السفر فيكون الربح قطع المسافة بأقل من سير الجمال؛ والأمن في قطع المفاوز من الضياع والعطش، أما الأمن من اللصوص فهو مستتب استتبابه في المدن والقرى، أمضينا سبع ليالي من الوادي إلى الرياض وهي نصف المدة التي يتحملها المسافر على جمله أو قدمه وكانت الرياض؛ تزخر بالوافدين القادمين إليها من أطراف الجزيرة، وقصر الضيافة يستقبل كل يوم وفود القبائل والعشائر؛ ويسمى قصر خريمص؛ بجانب قصر الحكم؛ فكنت ووالدي كذلك حيث تقدمنا للسلام على الملك عبدالعزيز بتقبيل اليد، والتعريف على المسَلِّم لدى جلالته يكون من قبل المضيف أو المشرف على الضيافة؛ يقرر بعد ذلك شرهة المناخ، وترفع الأسماء في إعداد من تقبل استضافته لمدة ثلاث أيام، تكون وجبة العشاء كل عصر بقصر الخريمص، وبعدها ينتظر اسمه لاستلام شرهة المناخ؛ فكانت مائة وخمسون، للوالد مائة ولي خمسون، وتسجل ضمن دفاتر العادة السنوية، وظلت كذلك إلى يومنا، استقر والدي في بيت الطلبة ببيت الإخوان وانتظم في الدراسة

والمذاكرة على علماء الرياض، وسلمني إلى مدرسة محمد بن سنان للقرآن الكريم، وبهذه الرحلة عرفت الرياض وكنت من أهله وتصوراتي عنه كتصوري لبلدي الأول وادي الدواسر فلذا أكتب عنه أولاً:

الرياض عام ١٣٦٧هـ وما بعده:

كانت الرياض محاطة بالأسوار لا يدخلها أحد إلا عن طريق الدراويز، وذلك فيما قبل عام ١٣٧٠هـ، وبعد أن بدأ الرياض تتسع خارج الأسوار كان مدي الثميري وهو ما يرتوي منه الناس بواسطة السقا، إما بالحمر عليها القرب أو التنك؛ كما هو مورد يشرب منه الوافد ويرتوي منه، يدفع الماء بواسطة الماكينة الإرتوازية، كما كان خارج الأسوار مصلى العيد لمدينة الرياض؛ وكذا المصح أو المستشفى وهو المكان الذي فيه كليتا اللغة والشريعة والمعهد العلمي حالياً، كما كانت المدرسة التذكارية على حافة البطحاء من الجهة الشرقية؛ وهذا مما جعل الاهتمام بالدراويز يخف إغلاقها ليلاً إلا أن قصر الحكم محاط بالأسوار خاصة أعني قصر خريمص والمالية وكانت أبوابه تدعى بالسقافات.

وأبرز تلك الدراويز دروازة الثميري نسبة إلى حارسها، وكذلك دروازة السويلم، ودروازة القِري، ودروازة المذبح شرقاً، والوسيطي جنوباً، ولم يدخل فيها الكهرباء؛ وإنما كان بالسرج والأتاريك.

وقد كان لبناء المربع وسكنى الملك عبدالعزيز فيه من عوامل توسع المباني خارج أسوار الرياض وحواميها، وقد بدأ الأمراء يشيدون بيوتهم بالفوطة وشمال الرياض، ومن أهم معالم الرياض آنذاك إضافة للدراويز: الجامع الكبير المسمى حالياً بجامع الإمام تركي بن عبدالله، وقد اختص آل الشيخ بالخطابة فيه يوم الجمعة، أما الإمامة فقد تكون لغيرهم، وكذا مسجد الشيخ عبدالله بن محمد؛ ويسمى مسجد الشيخ، وفيه تقام حلقات التعليم صباحاً ومساءً.

وكما أن من أهم المعالم قصر عجلان؛ الأمير من قبل ابن رشيد سمي به، ولا تزال هذه التسمية، وقد يسمى بالمصمك هو مكان السجن، غير أن آل سعود إختطوا قصر الحكم مجاوراً له، ويفصل بينهما الصفاة، وهي الأسواق المركزية.

وفي الصفاة تقام الحدود الشرعية كالقصاص وقطع يد السارق والتعزيرات، وقد تبنت الدولة وبالأحرا الملك عبدالعزيز تشجيع الدارسين لتأهيلهم؛ ليكونوا قضاة ودعاة في مستهل قيام الدولة السعودية، وكان من التشجيع على الدراسة والتعليم: أن هُيء مساكن لطلاب العلم المغتربين، وتدعى: بيوت الإخوان أو الرباط وكلها حول مسجد الشيخ.

كما تم الأمر بصرف مكافأة لهم من الزكاة وموارد بيت المال؛ تشجيعاً وتأليفاً لطلاب العلم الغرباء، ومما هو ملفت للأنظار أن كثيراً من طلبة العلم ممن فقدوا أبصارهم؛ فلا يستطيعون أن يعملوا عمل المبصرين في الحرث والتجارة؛ فلذا انتظم عدد كبير ممن هذه صفته فكانوا طلاب علم؛ كأمثال الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن حميد.

وقبلهما: عبدالله العنقري؛ ومحمد بن إبراهيم؛ وبعدهم الكثير مما لا يحصون عدداً كأمثال الشيخ صالح بن غصون؛ والشيخ علي الرومي؛ والشيخ محمد بن ردن؛ والشيخ عبدالعزيز بن زاحم؛ وإبراهيم بن سليمان؛ وزادت الرغبة لدى هؤلاء المكفوفين.

إذ أن القصور الملكية أخذت الكثير، كان لكل بيت من بيوت الأسرة إمام يدعى بالمطوع من المكفوفين؛ ومما قيل: أن الشيخ عبدالعزيز بن باز كان إماماً لنورة بنت عبدالرحمن أخت الملك عبدالعزيز وزوجة الأمير سعود الكبير، كما كانت بعض الأسر اتخذت من المكفوفين أئمة؛ وقد كان الشيخ صالح الأطرم إماماً لبيت الشيخ محمد بن إبراهيم في رمضان، وعندهم مطوع آخر يدعى مطر من أهل الشارقة وقد كان يلازم البيت طوال العام،

حدثني الشيخ صالح الأطرم أنه كان يصلي بأسرة الشيخ محمد بن إبراهيم فقال له الشيخ ذات يوم: خفف الصلاة يعني صلاة التراويح قال: فعلمت بعد ذلك أن السبب في هذا التوجيه هو أن زوجة الشيخ محمد كانت حامل بابنه عبدالله وزير العدل حالياً، ومما زاد في الرغبة والتحصيل لطلب العلم: أن الشيخ محمد بن إبراهيم قد عكف رجليه ليله ونهاره على تعليم العلم؛ وتخريج الأجيال؛ خلفاً لعمه عبدالله في المشيخة والإمامة، كما استخلفه في المشيخة: الشيخ سعد بن عتيق صباحاً ومساءً يطول تفصيلها، وقد أشرت إليها بإيضاح في كتاب: «تاريخ من لا ينساه التاريخ» وقد بارك الله في هذه المدرسة التعليمية فسدت ثغوراً؛ وأنجبت أفذاذاً؛ هم القضاة والمختارون وأرباب الحل والعقد في مجال التشريع والأحكام.

الرياض عام ١٣٧١هـ وما بعده:

في مطلع هذا العام كان مولد المعاهد العلمية؛ ثم كليتي الشريعة واللغة العربية، وكان تقسيمها الزمني سنتان تمهيدية؛ وأربع سنوات ثانوية؛ وثلاث سنين كلية، في تسع سنوات يتخرج الدارس المبتدئ.

وكان لنجاح هذه المعاهد وعلو نجمها أسباب أهمها:

١ ـ المكافأة المادية الشهرية؛ فكان يصرف لطلاب التمهيدي سبع وخمسون ريالاً؛ ولطلاب الثانوية مائتان واثنا عشر ريالاً؛ وطلاب الكلية ثلاث مائة وعشرون ريالاً، فكان لهذا الدعم المادي حافز عملي لالتحاق الطلاب بالمعاهد العلمية وكليتيها بعد أن كانت مرتباتهم في مسجد آل الشيخ اثنا عشر ريالاً.

٢ ـ استقدام علماء فطاحل من الأزهر ومن داخل المملكة كالعالم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي؛ والشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي؛ والشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز؛ والشيخ الكبير عبدالعزيز بن رشيد؛ وفضيلة الشيخ عبدالله الخليفي وغيرهم؛ أما من الخارج: فالشيخ عبدالرزاق عفيفي؛

وكان قبلها يدرس في الطائف؛ والشيخ عبدالمنعم النمر؛ والأستاذ يوسف الظبع؛ والعالم الواعظ أحمد القط؛ والشيخ مناع القطان وغيرهم.

٣ ـ اختيار الجهاز الإداري؛ وفي مقدمتهم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر والذي كان مساعداً لمدير التعليم الشيخ محمد بن مانع، وقد ترأس سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ هذه المعاهد وكليتيها؛ وأناب أخاه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ في إدارة المعاهد العلمية.

ولذا كانت المعاهد العلمية تعطي دفعاً قوياً بحكم ارتباطها بالشيخ والشيخ بالملك عبدالعزيز ثم خلفه الملك سعود بالتشجيع والتأييد وتوفير حاجة المعاهد العلمية.

أذكر أنه في عام ١٣٧٣هـ أمر الملك سعود بصرف مرتبات طلاب المعاهد بالجنية السعودي الذهب الخالص؛ وذلك عندما تعذرت المالية من عدم وجود ريالات بالفضة، فأمر بصرف المرتب بالجنية من المخزون الاحتياطي من وزارة المالية كما كان الملك سعود يزور المعاهد شخصياً؛ كما أن الملك فيصل سار على نفس الخط الذي عليه أبوه وأخوه.

٤ ـ ثم افتتاح فروع لهذه المعاهد في عام ١٣٧٣هـ في كل من القصيم بريدة وعنيزة وسامطة، ثم تتابعت المعاهد في جميع المناطق حتى تجاوزت الخمسين معهداً.

٥ ـ مباشرة وتعين المتخرجين في القضاء والتعليم والإدارة؛ فقد اختار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أعضاء لمجلس الإفتاء منهم الشيخ عبدالله بن غديان؛ والشيخ عبدالملك بن عمر آل الشيخ كما اختار أعضاء من المتخرجين لمجلس القضاء، منهم الشيخ راشد بن خنين والشيخ عمر المترك، وقد كان أول فوج تخرج عام ١٣٧٦هـ وتعداده اثنان وعشرون متخرجاً وقد ملئوا فراغاً في الدولة في المجالات العملية، وقد لمست الدولة أهمية هذا

المرفق وضرورة تطويره فكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد اختير لإدارتها الرجل العصامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي؛ وهو يحمل شهادتي كلية الشريعة واللغة العربية؛ أخذها في سنة واحدة وفقه الله فقد نهضت الجامعة بنهوض همته، وحسن عرضه للمسئولين مما جعل هذه الجامعة أوليات أعمالهم.

مسجد الشيخ في دخنة بالرياض:

في عام ١٣٧١هـ حظيتُ بما لم يحظ به الآخرون غيري ممن هم في سني أو أكبر مني؛ وذلك بموافقة أو أمر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن أسكن غرفة في المسجد هي معتكف الأمير محمد بن عبدالعزيز بن سعود بن فيصل بن تركي ـ رحمه الله ـ.

وهذا الغرفة لها مميزات بأنها مجصصة بالجص الأبيض؛ وأرضيتها قد صبت بالأسمنت؛ بخلاف بقية الغرف الأخرى الداخلية بالمسجد، وموقعها شرقي المسجد ملاصقة بجدار المكتبة السعودية، وبابها قد صبغ بالصبغ البني؛ وتغلق بالمغلاق الكيلون.

من هنا كان حديثي عن المسجد حديث من يكتب عن بيته ويتحدث عن مسكنه مسجد الشيخ؛ هكذا أطلقت عليه الأفواه ولكن من هو الشيخ:

هو الشيخ المعهود: محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ الحاضر في الأذهان، غير أن التاريخ يثبت أن المسجد أسس عام ١١٨٧هـ خطه وحدد قبلته: الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فكان هو مسجد الشيخ، تتابع آل الشيخ على إمامته والتدريس فيه، خلف الشيخ عبدالله بن محمد الشيخ عبدالرحمن بن حسن؛ وخلفه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف؛ ثم الشيخ محمد بن إبراهيم حتى عام ١٣٨٩هـ ثم خلفه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف إلى أن انتقل إلى الجامع الكبير؛ ويصلي الجمعة به حالياً الشيخ المفتي محمد بن حسن بن عبدالرحمن بن

الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ؛ هكذا تسلسلت الإمامة لهذا المسجد من الأسرة المباركة آل الشيخ قرابة قرنين من الزمان.

والحديث عن مسجد الشيخ يتضمن عدداً من المحاور أجملها فيما يلي:

المحور الأول: الاستقرار السكني للطلبة، ولكثرة الطلبة المغتربين من خارج الرياض قد هيئ لهم استقرار سكني؛ فكان هناك ما يدعى ببيوت الإخوان وعددها يزيد على عشرة؛ ومنها بيت الإمام عبدالرحمن الفيصل غربي المسجد، ومن سكان هذا البيت: الشيخ عبدالعزيز بن رشيد الذي كان آخر أعماله رئيساً لتعليم البنات، والشيخ سليمان العبيد رئيس رئاسة الحرم المكي والمدني، ومن بيوت الإخوان بيوت الطبيشي، وكانت للملك سعود قبل ولاية العهد، وهذه البيوت مجاورة لبيت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف شرقي المسجد، كما كان للطلبة سكن يدعى بالرواق أو الرباط؛ وهو: عبارة عن غرف بنيت على دكاكين دخنة من الشرق إلى الغرب؛ قرابة أربعين غرفة، وفي ساحة دخنة إرتواز مائي يشرب الناس منه مقابل الرباط من الجنوب، وله حوض كبير يدعى بالمدي. مغاسل للعامة، ويسقون منه بائعو الماء، وكان إذْ ذاك يسقى على الحمير ثلاث قرب أو أربع تنك ومجموعها يدعى بالزفة، والزفة تباع بأربعة قروش، ويستخدم هذا الماء للشرب أو الغسيل إذ ليس فيه ما يستقذر بل هو ماء زلال طبيعي، كما وأن مسجد الشيخ يجاوره عدد من بيوت المهاجرين من اليمنيين وأميرهم: يحيى بن حزام، ومنهم حسين بن غانم، وابنه: عبدالله، ومحمد بن أحمد المهدي، وكان هؤلاء وأمثالهم من عمار المسجد تعبداً وتلاوةً؛ وكان ممن يبادر في صلاة التهجد في المسجد عدد كثير يأتون في الساعة السابعة بالتوقيت الغروبي؛ التي تساوي قرابة الساعة الواحدة أو الثانية بالتوقيت الزوالي؛ يمكثون في المسجد حتى إشراقة الشمس؛ وكان ممن جاور المسجد الشيخ: عبدالله بن سعدون المنتفق؛ من أشراف العراق المهاجر؛ حفظ القرآن وتتلمذ على المشايخ؛ وأخيراً انضم

إلى حاشية الملك عبدالعزيز ثم الملك سعود ـ رحمهم الله ـ.

وبهذا يتبين الاستقرار السكني من أهم عوامل الرغبة؛ ومواصلة الدرس، وقد كان لهذه البيوت الوقفية أثره الطيب في احتضان الغرباء والفقراء من الوافدين إلى الرياض؛ لغرض الدرس والتلقي له على علماء الرياض في مركز الدولة العاصمة.

أما المحور الثاني: فهو الإعاشة؛ فقد رتب للطلبة مخصصات شهرية منها ما هو عيني كالتمر والأرز، ومنها ماهو نقدي، حدثني بعضهم قال: دعى الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله بن عبداللطيف على مأدبة غداء؛ فلما تقدموا وجلسوا حول المائدة وضع الشيخ عبدالله يده على الصحن، فقال الملك: سم الله يا شيخ وكل، فقال: لا أستسيغه وطلاب العلم في الغرف بعضهم لا يجد قوت يومه، فقال الملك: سم الله وأنا أعدك بما يصرف لهم إن شاء الله، ثم أمر الملك عبدالعزيز بصرف ستة أريل لكل طالب علم، ثم جاء الملك سعود وجعلها اثني عشر ريالاً وكنت ممن استلمها، كما يصرف لهم شرهتا الصيف والشتاء؛ للكبير: مائة ريال؛ وللصغير: سبعون ريالاً، أما الطلبة القدامى فلهم مخصصات في بيت المال يصرف لهم من الزكوات من التمر والعيش وهي التي تدعى بالبروة.

المحور الثالث: التعليم وانتظام الدروس، فقد كان لهذا المسجد مناراً أضاء أرجاء الجزيرة العربية بالقضاة والمدرسين والمرشدين والداعين والمستشارين، فهو الجامعة، وهو الملتقى للعلماء، وقد كان برامج التعليم فيه كالآتي:

أ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم؛ وهو عمدة المدرسين في هذا المسجد، يبدأ من بعد صلاة الفجر حتى الضحى، يدرس فنون العلم في التوحيد والفقه والحديث والنحو في المختصرات والمطولات.

ب ـ الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم؛ أستاذ النحو والفرائض يدرس بعد كل فجر الأجرومية وبعد صلاة المغرب الرحبية في الفرائض.

ج ـ الشيخ عبدالله بن إبراهيم؛ يدرس في ناحية المسجد الأصول الثلاثة ومعرفة الرب لعوام الناس؛ فكان يدعى عقب صلاة الفجر؛ وبعد عد المصلين أفراداً يلزمون بالحضور عند الشيخ عبدالله بن إبراهيم لتلقينهم معرفة الرب ويسائلهم.

د ـ مدرسة تعليم القرآن الكريم؛ يدرس فيها آل مفيريج ناصر وابنه عبد المحسن، والتي قد درس فيها الشيخ محمد بن إبراهيم القرآن الكريم على جدهم؛ وكان لهذه المدرسة مبنى مستقل في ناحية المسجد الشمالية الشرقية على مدخل الباب.

هـ ـ تخصيص مدرسين في المسجد لتحفيظ القرآن الكريم وعددهم خمسة منهم: الشيخ عبدالرزاق القشعمي؛ والشيخ المغربي وهو إحسائي؛ والشيخ محمد المهدي الشنقيطي؛ والشيخ محمد ابن أحمد اليماني؛ فهذا هو برنامج التعليم في مسجد الشيخ إلى أن فتحت المعاهد العلمية؛ واستمر التعليم في مسجد الشيخ؛ وكان ممن يدرس فيه: الشيخ عبدالعزيز الشثري أبو حبيب، وواصل سماحة الشيخ محمد التدريس فيه إلى أن شغل بمهام رسمية الإفتاء ورئاسة القضاء والمعاهد والكليات ـ غفر الله له ـ.

المحور الرابع: المكتبة السعودية؛ وقد تبنى سماحة الشيخ محمد المكتبة مجاورة لمسجده من الجهة الشرقية؛ ولعلها أول بناء مسلح بالإسمنت والحديد في الرياض، وقد استقدم إليها من الهند رجل يدعى بالحريري؛ نظم المكتبة ورتبها أحسن ترتيب؛ وقام بإدارتها الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم، والشيخ العلامة عبدالرحمن بن قاسم، كما قام بإدارتها الشيخ محمد الدريبي وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية، وبهذه المكتبة مخطوطات أثرية ومراجع علمية كانت تزخر بالمراجعين والباحثين، وأذكر ممن هو مرابط فيها: الشيخ زيد بن فياض من العلماء البارزين والمؤلفين المشهورين؛ وهذه المكتبة هي امتداد للنشاط التعليمي في مسجد الشيخ؛

إذ كانت الكتب نادرة التواجد في أيدي الطلبة والباحثين؛ وقد نقلت هذه المكتبة إلى رئاسة البحوث العلمية وأدخلت أرضيتها توسعة للمسجد، كما وقد أهديت المخطوطات إلى مكتبة الملك فهد بالرياض في أخريات أيام الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

المحور الخامس والأخير: ترشيح من عرف بالعلم والفضل من الطلبة بالقضاء والإمامة والفتيا؛ فقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يرشح من يرى فيه الكفاية والسداد لأعمال القضاء، ومن المؤكد أن ٩٠٪ ممن ولي القضاء في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم من خريجي المسجد إلى ما بعد عام ١٣٧٦هـ؛ حيث بدأ التخرج من كلية الشريعة بالرياض، ولم يكن الشيخ يمنح إجازات ولا شهادات؛ ولكنه يميز الطلبة تمييزاً عاماً في العلم والإدراك والعقلية؛ وعلى هذا يتم ترشيح من يختاره للوظائف الرسمية وفي قمتها القضاء، وكان تنصيب القاضي من قبل الملك عبدالعزيز مباشرة من غير إصدار قرار محرر؛ ولكن بالتوجيه والأمر وربما كان بالمكاتبة، وكان الواسطة في ترشيح القضاة بين الشيخ والملك: إبراهيم الشايقي؛ السكرتير الخاص للملك، فالشيخ محمد بن إبراهيم يخبر الشايقي بأن فلاناً أهل للقضاء ويخبر الشايقي الملك عبدالعزيز ويختار الملك الجهة التي تتناسب مع هذا المرشح، ويتم استدعائه لمجلس الملك وترشيحه على مشهد من الناس، وكان طلاب العلم لا يجرؤون على مخالفة ترشيح الشيخ لهم وأمر الملك عبدالعزيز إلّا النادر منهم وهم قليلون، والمقصود أن طلبة العلم ومن يتلقون في هذا المسجد لهم الصدارة والنضارة ويشار إليهم بالبنان؛ فهم جهة التحكيم الراضون بشرع الله والقاضون به بين عباده، ولم يكن منصب القاضي آنذاك يختص بفض الخصومات وقطع المنازعات؛ ولكنه له شمولية الولاية في إقليمه والجهة التي عين فيها، ولم تكن أعمال القضاء آنذاك مرتبطة بالروتين الإداري أو المركزي فقد يحكم القاضي بقطع يد السارق أو قتل الجاني فيتم

تنفيذه بواسـطة الأمير؛ اللهم إلّا أن القتل وإقامة حد القصاص يحتاج إلى استدعاء جزار من الرياض؛ لتخصصه في إحسان القتلة.

هذه المحاور الخمس التي كانت تعمر مسـجد الشيخ؛ كتبتها على إثر ما تناقلت به الأنباء عن بناء هذا المسـجد وتشييده على الطراز الحديث؛ عسى أن يكـون لهذا التعمير نصيب لإحياء هذه المحاور أو بعضها؛ حتى يصدق على ذلك قول الله تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨].

نسـأل الله أن يحقق الآمال على أحسن الأحوال؛ وأن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه سميع مجيب؛ وصلى الله على نبينا محمد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحكمة الكبرى بالرياض

لم يخطر على بالي وأنا في الرابعة عشـــر من العمر؛ أسكن في غرفة في مسجد الشيخ، طولها مترين في ثلاثة أمتار: أن أتربع على كرسي القضاء في المحكمة الكبرى، كما لم يخطر على بالي وأنا أستلم مرتبي في المسجد: اثني عشر ريالاً كل شهر قمري أن يكون مرتبي في سلم الموظفين ثلاثة عشر ألف ريال في كل شـــهر هجري؛ تلك المفارقات والبون الشاسع بين ماضي بعيد ومستقبل لا يدري ما نتاجه، لم أكن قاضياً بالفعل؛ ولكن صدر تعييني قاضياً في محكمة بني سعد في الطائف، وبلغني أن الشيخ محمد البواردي ـ أحد المحكمين في تحديد جهات المرشحين في القضاء ـ يستعرض الأسماء ويختار له جهة مقاربة من اســـمه؛ فلما كان اسمي: إسماعيل ابن سعد قال هذا في بني سعد، وآخر اسمه: علي العنزان قال هذا في عنيزة، وهو يطلقها من باب الدعابة ثم تكون حقيقة، التزمت بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٣٨٥هـ بالقضاء؛ وباشرت في محكمة الرياض في مكتب الشيخ عبدالله بن كنهل؛ وكان مهمتي ضبط الدعاوى، وإنهاء الإجراءات الإدارية في حجج الاستحكام؛ وحصر الإرث؛ وافتتاح الجلسة بتثبيت هوية المدعي والمدعى عليه.

كان العَجْب يخالطني من أبهة المظهر في مجلس القضاء؛ واحترام العامة مما يفتح باب الأمل للاســـتمرارية في القضاء؛ ومباشرته في الفعل؛ ولكن لتلك النشـــوة منغصـــات ومكدرات قد تظهر على ألســـن الخصوم؛ وكثرة اللجـــاج؛ ورفع الأصوات؛ والتظلم ومن يدعي الزور؛ ومن الصعب على القاضـــي تقصـــي كل كلمة أو نبرة أو حركة؛ وقد ينخدع بالمظهر وحســـن البيـــان لدى المتخاصمين؛ فمنهم من يظهر بمظهر الضعف؛ والاســـتكانة؛ ودعـــوى التظلم، وإن كان ظالماً، والقاضـــي لا يحكم بعلمه ولكن بالبينة

واليمين؛ وإن قال البعض بجواز التعريض كالتذكير بشيء نسبه أحد الخصمين كالمكان؛ أو الزمان؛ أو المصاحبة والقرينة؛ وهذه أمور كسبية؛ أعني: استلهام دعوى لخصوم بإدراك لحن القول؛ ومراوغة البعض منهم، وإني أعترف بالعجز عن قوة المصادمة؛ أو التأنيب؛ أو الحكم بالتعزير لرد فاحش القول وبذاءة اللسان عند الخصوم؛ مع ضعف المعلومات الفقهية؛ وعدم الإلمام بأمور الأحكام عامة، أمضيت تسعة أشهر بالمحكمة؛ حتى بدأت الأخبار تظهر بقرب التكليف العملي؛ ومباشرة كل قاضي مستجد مسمى وظيفته؛ فاختلطت علي الحبال؛ ولا زلت أشعر بالنقص والعجز عن الاستقلالية؛ ومباشرة العمل في قرية نائية من العلم والعلماء؛ قرية بني سعد في الطائف، وكان الشيخ عبدالله بن كنهل القاضي يستطلع رأيي من باب التوجيه في بعض القضايا المهمة؛ كقضية رجل يماني كان أميناً لمستودع؛ ثم استقال وسافر إلى بلده؛ وعاد ومعه مفاتيح المستودع؛ فسرق المستودع بعد أن سلم المستودع لصاحبه؛ ولم يعد له علاقة عمل معه، وقلت هذا سارق؛ والنصاب مكتمل تقطع يده، ولكن الشيخ قال الحديث: «**إدْرؤا الحدود بالشبهات**» هذه خيانة؛ وكان مؤتمناً فخان أمانته، وبعد الاستخارة والاستشارة: يسر الله البقاء في الرياض؛ وفي أحسن موقع من حيث الاحترام؛ والتقدير ونقل عملي لدار الإفتاء والشؤون الدينية: مراقب مطبوعات؛ في نفس مرتبة القاضي: المرتبة الخامسة، وبقيت في الإفتاء إلى أن أنهيت سنوات العمل ببلوغ التقاعد ١٤١٧هـ.

أعود إلى المحكمة الكبرى بالرياض؛ سميت كبرى: لأن فيه محكمة صغرى؛ وتسمى بالمستعجلة أولى وثانية وثالثة لقضايا محدودة كالتعزير والمخالفات الشرعية؛ ترفعها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كان يرأس هذه المحكمة: الشيخ سليمان الربيش؛ كفيف البصر؛ قوي على المخالف؛ تضم المحكمة الكبرى عدداً من القضاة؛ هم ثلاثة عشر؛ يرأس

المحكمة آنذاك: الشيخ صالح بن لحيدان، وأستحضر من القضاة: شيخنا الذي لازمت عنده: الشيخ عبدالله بن كنهل؛ ومنهم الشيخ: محمد بن الأمير؛ والشيخ: عبدالرحمن بن فارس؛ والشيخ: عبدالرحمن الهويمل؛ والشيخ: عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عتيق؛ والشيخ: محمد البدر نائب رئيس المحكمة، اشتكى بعض قضاة المحكمة للشيخ محمد بن إبراهيم ـ رئيس القضاة ـ: كثرة الأعمال؛ وقلة القضاة؛ فقال ـ رحمه الله ـ: لا أنصف القضاة؛ حتى يكون في محكمة الرياض خمسون قاضياً؛ ولكن أين القضاة؟ أخرجهم من المقابر؟ أم أتعاقد مع قضاة من الخارج؟ لذا كان سماحته يشدد في عدم إعفاء من رشح للقضاء من المتخرجين، كما كان مدافعاً عن القضاة: فلا يسمع دعوى من أدعى على قاضي مباشرة؛ ولكن يتثبت ويبعث المفتشين؛ ويباشر التحقيق مع القاضي فيما يخطئ فيه، وإذا رجعنا إلى ما قبل الطفرة المادية في الرياض ـ أي عام ١٣٧٥هـ ـ فإن القضاة في الرياض لا يتجاوزون عدد الأصابع الخمس؛ أذكر منهم: الشيخ سعود بن رشود؛ والشيخ: محمد بن مهيزع؛ والشيخ: محمد بن إبراهيم البواردي في المستعجلة؛ والشيخ: مقبل العصيمي، وبعد تخرج طلاب كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ بدأ التعيين في المحكمة؛ وكان يرأسها الشيخ: سليمان العبيد وخلفه الشيخ محمد بن عودة كما أن الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل كان في المحكمة قاضياً ورئيساً، وما قبل عام ١٣٧٠هـ كان القضاة أفراداً، الشيخ: صالح بن عبدالعزيز قاضي الرياض، والشيخ: سعد بن حمد بن عتيق المتوفى سنة ١٣٤٩هـ؛ كان يحكم في الدماء؛ وفض خصومات البادية؛ وشجار الأعراب؛ وقبل الشيخ: سعد بن عتيق الشيخ: إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ المتوفى سنة ١٣٢٩هـ بعد دخول الملك عبدالعزيز الرياض ١٣١٩هـ.

هذه شذرات عن المحكمة الكبرى بالرياض؛ أما اليوم تطورت المحاكم

الشرعية. تطور الأحداث والزمان؛ وتجاوز عدد القضاة خمسين قاضياً ـ ما كان يتمناه سماحة رئيس القضاة سابقاً ـ، وغير خافي أن التطور الإداري داخل في المحاكم الشرعية لإعادة الضبط؛ وتقييم النظم الإدارية؛ يوقع الخصمان على دفتر الضبط؛ وبعد التوقيع عليه من المنهي المدعي والمدعى عليه تجري دراسته من القاضي؛ وتتواصل الجلسات لاستزادة البينات وشهادة الشهود حتى تكتمل الإجراءات؛ ثم ينهي القاضي حكمه بعد دراسة المعاملة؛ وملابسات القضية؛ وإخراج صك بذلك؛ وإعادة المعاملة للتنفيذ؛ وإذا كان الحكم لا يرضاه الطرفان أو أحدهما فإنه يرجع إلى هيئة التمييز؛ وهي: هيئة مهمتها النظر في تظلم المحكوم عليه، ودراسة حكم القاضي، وقضاة هيئة التمييز هم من لهم سابقة بالقضاء ولهم فضل العلم والمعرفة؛ كان يرأسها الشيخ: عبدالعزيز بن رشيد؛ وفي عدم قناعة القاضي بما رأته هيئة التمييز أو أصحاب الدعوى: ترفع القضية لرئاسة هيئة القضاء العليا؛ التي يرأسها سماحة رئيس القضاة الشيخ: محمد بن إبراهيم؛ ومن أعضائها الشيخ: عمر المترك؛ والشيخ :راشد بن خنين، ومجلس القضاء الأعلى ينهي المعاملة إلى مجلس الوزراء للتنفيذ؛ ما لم يرى ولي الأمر بإعادة النظر في الحكم.

هذه مذكراتي عن محكمة الرياض الكبرى؛ سجلتها من الذاكرة؛ والعبرة في ذلك: تقادم الزمن؛ وتغير الأحوال من طور لآخر؛ ولأن الزمن عجلة تسيرها الأحداث؛ فلابد أن ترى أمراً عجيباً في ما يستجد من أحداث.

وبعد: فماذا عن الرياض بعد الحديث عنه في ستين عاماً؛ لقد جد كل جديد؛ واندثرت معالم تلك الأحوال؛ إلا ما كان منها في ميزان العمل الصالح من القيم؛ والدين؛ والمروءة؛ والإنسانية؛ والعرف؛ والعادة التي تتفق مع شرع الله ودينه؛ لقد تغيرت معالم الحضارة القديمة بالتجديد الحضاري؛ الذي أخذ ضوءه شأواً وبعداً في الحياة الاجتماعية والعمرانية؛ بل والسياسية والثقافية؛ روي أن رجلاً بنى بيتاً له خارج أسوار مدينة الرياض؛

فأمر الملك عبدالعزيز بهدمه؛ وقال: من أكون أنا إذا قيل قد قتل رجل في بلد ابن سعود، وقصدي ـ أخي القارئ ـ: ما كانت عليه الرياض في أحقاب غابرة طمست عليها أحداث الزمن، فهذه الرياض ـ اليوم ـ تزخر بما يزيد على مليون من السكان، أطرافها متباعد؛ ستين كيل في ستين؛ كيل وقد أنجز ما وعد به سمو أميرها الأمير سلمان بن عبدالعزيز؛ الذي قال: ستكون الرياض عام الألفين أكبر مدينة في الشرق الأوسط؛ إنها لتعادل بدولة من دولة الخليج العربي؛ مساحة؛ وسكاناً وتقدماً حضارياً؛ مدينة الرياض: أصبحت ملتقى الأحداث؛ ومجمع العالم البشري من جميع الأصناف؛ فهي مدينة عامرة بسكانها؛ مكتملة الخدمات؛ لا ينقصها شيء يذكر في عواصم الدول الكبرى؛ إلا وفي الرياض ما يضاهيه أو يفوق عليه؛ لقد أصبحت الرياض على اسمها: رياض بحدائقها الغناء؛ ومنارات مساجدها الشامخة؛ وجامعاتها المتفوقة؛ خدمتها الصحية تفوق كل الخدمات؛ في جميع التخصصات؛ من أطباء مواطنين استلهموا ثقافتهم ودراستهم في جامعاتهم التخصصية؛ ناهيك بالإعلام ومراكز التثقيف من المكتبات العامة؛ والأندية الأدبية؛ ومراكز اللغات الأجنبية؛ ها هي الرياض في ظل الحكم المبارك؛ تنعت بالسعودية وهو لفظ طابق معناه؛ لقد رأيت من يعيش في دول أوربية يتمنى أن يكون في السعودية بأحط الوظائف؛ وأقل الخدمات، يقول بعضهم: يا ليتني طباخ في السعودية؛ وآخر زبالاً أكنس الشوارع في السعودية؛ لقد طارت سمعتها في الخارج وفي العالم الإسلامي بالذات: بأنها حامية الحرمين؛ ورائدة التضامن الإسلامي؛ وكعبة المسلمين؛ يتجهون إليها خمس مرات في كل يوم وليلة، فقارن أخي القارئ بين ما هي عليه اليوم، وما عليه دول كبرى أخذت في أعماق التاريخ تبنى أمجادها على الحضارة، فهل أثمرت حين أينعت وحان قطافها؛ لقد أنكسفت الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي القائم على نظام الشيوعية؛ وهذا الاتحاد الأوربي

وأمريكا الشمالية؛ تشكوان من صداع ألم الزمان الذي يشير إلى تحطيم هذه الحضارات المادية؛ التي لا تقوم على الجمع بين المادة والروح؛ ولا بين الدين والدنيا؛ ولا مصالح الدنيا بثواب الآخرة؛ إن أوربا والأمريكتين وإن كانوا ينتمون إلى الديانة النصرانية؛ ويقدمون الخدمات الإنسانية باسم المسيح؛ وحبه للإنسان أنهم لا يفقهون شيئاً في دين المسيح؛ ولا ما عليه عيسى ابن مريم؛ وكيف التقت النصرانية مع اليهودية في مضمار سباق الزمن؛ حتى وحدوا الإنجيلين القديم والجديد يدعى: كتاب موسى التوراة وكتاب: عيسى الإنجيل؛ لا للدين نفسه؛ ولكنها المصالح الاقتصادية وتجانس الطبيعة البشرية؛ فهم واليهود طبعاً وتاريخاً؛ ولهذا فإن الذي يحمى حمى بني إسرائيل يدعون نزول المسيح إلى الأرض المباركة؛ ولكن بعد تطهيرها من العرب والمسلمين؛ وهم بهذا يتحدون في الحضارة المادية؛ أما الخوض في الديانة اليهودية والنصرانية؛ فهم لا يفقهون ما للنصرانية ولا لليهودية ولكنه التقليد الوراثي؛ والاعتزاز بمظاهره التاريخية؛ ولا يستبعد أن يكون العالم الإسلامي هو الوارث للخلافة البشرية؛ كما وعد الله بذلك؛ ولكن كيف ومتى؟ إن الدولة السعودية نواة هذه الخلافة؛ ومنشأئها المستقبلي؛ لأن الطبيعة العربية هي التي تجمع ولا تفرق؛ وتعرف ولا تنكر؛ وتؤمن بالقيم الروحية؛ كما هي تعنى بأسباب المادية؛ وإنا لنرجو ذلك مستقبلاً.

وأخيراً قبل أختم قولي عن الرياض فإن الأجهزة الأعلانية؛ والمحطات الفضائية؛ تكاثرت في هذا العصر وعم انتشارها على الكرة الأرضية؛ وأن الحوادث يمكن لرجل الشارع أن يعرفها على الحقيقة؛ وليس هناك من مادة تغني أجهزة الإعلام غير مادة الإسلام؛ فلهذا فإن الكثير من المحطات الفضائية تجعل الإسلام وسيلة من وسائل الكسب أياً كان ذلك التوجه الديني؛ وإنا لنرجو أن ينبري لهذه المحطات النصح للإسلام والمسلمين كما هو؛ ولن يكون ذلك عزيز على الله؛ والله يتولى عباده الصالحين.

رفع
عبدالرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القصيم

لو قلت إنما موطني الثالث بعد الوادي والرياض؛ لم أفتري؛ ولم أقل زللاً؛ إذا المواطن يعرف بالاستيطان والمكث المتواصل ولو لم يولد به المنتسب إليه، مكثت في القصيم ثلاث سنوات ونيف متواصلة؛ وانقطعت عن بلدي الأصلي انقطاع الغريق في بحر لجي يطفو حيناً وينغمس حيناً آخر، إنه بحر الهموم والغربة والفقر والمسكنة المتناهية؛ ولكن لماذا؟ لطلب العلم والتفرغ له بعيداً عن المشاغل، وكيف تولدت هذه الطموحات والمغامرات في سن العشرين من العمر؟ هي امتداد لما كنت عليه في الرياض من ملازمة العلماء، ورؤية الأحبار، والقادة فيها، ولكن لماذا اخترت القصيم؟ لوجود علمين بارزين؛ أحدهما في العلم والفقه ومواصلة التدريس، والثاني في الكرم ومسايرة صغار الطلاب؛ بجانب الغيرة الدينية؛ والحمية الإسلامية؛ هما: الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد؛ والشيخ: صالح بن أحمد الخريصي، قبل نزولي بريدة كنت في عنيزة؛ لأستهل مقدمي للقصيم برؤية عالم الجزيرة ومنار علمها الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي؛ ذلك الرجل الوادع الهادئ المتنسك من غير ابتداع ولا اختراع، قالوا عنه إنه تلميذ الشيخ إبراهيم الجاسر، وممن أخذ عن الشنقيطي؛ وهما على طرف آخر غير طرف مدرسة السليم مشايخ بريدة؛ الذين تتلمذوا على آل الشيخ وانقادوا للدولة السعودية؛ وانتصبوا لأعمال القضاء فيها؛ وكانوا عيبة نصح لآل سعود ولا يرضون بالرشيد، غير أن الشيخ عبدالرحمن بعيد كل البعد عما يدور في خلد الناس من خلافات سياسية ومنازعات إقليمية، فشب وشاب على حب العلم منصرفاً عن كل ما يصرفه عنه حتى في معيشته الخاصة، فلم يشتغل في تجارة ولا حرث؛ رغم أن عنيزة هي

المركز التجاري للقصيم خاصة ولأهل نجد عامة، إذ كانت البضائع ترد من مصر والشام والعراق فلا تنزل إلا في عنيزة أولاً، وسادة التجار وأعيان البلاد البسام والقاضي وأمراء البلد السليم؛ هم ممثلوا الحركة التجارية فيها، وشيء آخر يعزى لأهل عنيزة الانفتاح على الخارج والتواصل التجاري بل والثقافي والمعرفي؛ وفي هذا هضم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تصور البعض؛ وفي ما حكي أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن حال مقدمه من مصر عام ١٢٤١هـ؛ مر على عنيزة فلم يستضفه بها أحد؛ فرآه من رآه؛ وأخبر السليم الأمير؛ فنهض مسرعاً إليه وعانقه؛ وقال: أنت الشيخ عبدالرحمن بن حسن؛ وعاتبه على الاستخفاء والتنكر؛ ثم أمر لرحله فأدخلت؛ وطلب منه البقاء في عنيزة إلى حين يستخبر الأحوال عن الرياض، وفي ما نقل عن ابن سليم: أنه بعد جلوس الشيخ عبدالرحمن في المجلس؛ قام وناوله كتاباً أعطاه الشيخ عبدالرحمن؛ فإذا هو كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب؛ مما زاد الشيخ عبدالرحمن رغبة في البقاء؛ وإنجلاء عنه ما كان يشاع أن داوود بن جرجيس البغدادي سكن عنيزة وأثر على أهلها؛ وأن البعض أخذ عنه العلم؛ وهو من خصوم الدعوة وفد من العراق ولم تطل مدته في عنيزة؛ رد عليه الشيخ عبد الرحمن كما رد عليه الشيخ عبدالله أبابطين، وعلى كل؛ فإن أهل عنيزة تجار؛ ولهم فضل السبق في الحضارة ومؤازرة الحكم بالمال والرأي والمشورة؛ وكفاهم أن أول وزير للملك عبدالعزيز هو: عبدالله بن سليمان بن حمدان؛ من عنيزة؛ وفي ما يخص الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: فقد اختفى عن الأنظار ولم يظهر على الساحة؛ وبقي رهين بيته منادماً كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية؛ مع التمذهب بما عليه الأصحاب من الحنابلة؛ وإن ظهرت فيما بعد اختياراته واستنتاجاته؛ ومن هذا الانزواء وعدم الخوض في ما عليه الناس، ظهرت مؤلفات الشيخ عبدالرحمن ليعيد صياغة النهج السلفي في

كتبه المقرونة بالدليل العقلي والنقلي لأسلوب شيخ الإسلام ابن تيمية؛ معرضاً عمن دونه؛ وكان قليل الإصغاء لغير المعارف في التفسير والحديث والفقه، ورد الشبه التي تتعارض مع التوحيد وأصول الإيمان.

التقيت بالشيخ عبدالرحمن عام ١٣٧٦هـ؛ وطلبت منه الإذن في بدء الدرس عليه؛ فقال: الحال ما ترى دروسي محدودة؛ والطلبة قليل؛ ولا مشجع لك في الزمالة؛ ولكن بريدة هي أكثر علماء؛ وفيها طلاب علم؛ فإن رأيت النقلة إليها فهو الذي أراه لك، لم ينته الشيخ من مشورته حتى انشرح صدري؛ واستأذنته للسفر إلى بريدة، وكان ذلك الرأي والمشورة هو الذي كان في مخيلتي؛ وهو الهاجس لسفري إلى القصيم؛ ومما كان عليه الشيخ السعدي: تنظيم دروسه في أوقات تختلف عن توقيتها عند علماء العارض الرياض وما حوله؛ فقد قرر الشيخ دروسه في ثلاثة أماكن؛ وفي ثلاث أوقات؛ الدرس الأول، يكون في ضحى كل يوم وقبل احتماء السوق؛ لأن الدارس يمكنه تلقي الدرس ومنه إلى دكانه في ضحى ذلك اليوم؛ أي بعد الإشراق بساعة بخلاف ما عليه علماء الرياض؛ فكل الدروس بعد صلاة الفجر مباشرة إلى ارتفاع الشمس؛ مما يمكن لطالب من صلاة الإشراق أو صلاة الضحى ليحصل على أجر العمرة كما في الحديث، أما المكان: فهو ساحة المسجد الجامع الكبير في عنيزة؛ مسجد الشيخ نفسه؛ الدرس الثاني: مكانه في المكتبة العامة التابعة للجامع؛ والوقت: قبل صلاة العصر بساعة أو أكثر؛ إلى حين دخول وقت صلاة العصر، وهذا الدرس لخواص الطلاب الكبار؛ عرفت منهم: عبدالرحمن الزامل السليم؛ ومن المفارقات بين طلاب الشيخ ابن سعدي وطلاب علماء الرياض: لبس العقال؛ فقد جرت العادة في عموم نجد أن طالب العلم لا يلبس العقال؛ بخلاف من رأيت في درس الشيخ عبدالرحمن؛ ومنهم: ابن زامل السليم؛ مع أن الشيخ لا يلبسه ولا ينكره؛ فهو من باب العادات لا من باب العبادات ولكنه العرف والعادة،

أما الدرس الثالث للشيخ عبدالرحمن: فيكون قبل صلاة العشاء، وبعد المغرب بساعة، ومكانه: محراب المسجد؛ وقد رأيت العديد من المحبين للدرس لا يخرجون بعد صلاة المغرب؛ بل يواصلون التعبد والتنفل حتى حين بدء الدرس؛ وهذا الدرس عام لجماعة المسجد؛ وغالباً ما يكون في التفسير، فعلى هذا يمكن تصنيف طلاب الشيخ إلى ثلاث فئات: طلاب علم في المتون ولهم الضحى؛ وطلاب علم في المطولات هؤلاء بعد الظهر وفي المكتبة بالجامع، أما الفئة الثالثة: هم جماعة المسجد؛ والدرس عام إما في الحديث أو التفسير؛ ولعل هذا التوقيت جاء لظروف خاصة؛ أو بطلب من الطلاب، أما أهل بريدة فإن توقيت الدروس كما هو في الرياض بعد كل صلاة مباشرة؛ بعد الفجر وبعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب إلا العشاء فلا درس له؛ كما أن المكان واحد في الغالب؛ وقد يكون الشيخ في محراب المسجد يعطي درسه إذا لم يكن فيه تطويل؛ كالدرس بعد صلاة العصر، ولا يجوز لنا أن نحمل هذا الاختلاف التوقيتي والمكاني على اختلاف المنهج والتلقي والعبرة في التحصيل ومسايرة الأحوال في جميع الأعمال التقليدية لا التشريع، وقد يسأل البعض عن مكانة الشيخ محمد العثيمين أيامها وهو من خواص طلاب الشيخ عبدالرحمن؟ لم يكن للشيخ محمد دور بارز تلك السنين؛ فقد كان مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة؛ ومع وجود الشيخ ابن السعدي فإن الشيخ محمد يحاول في تجميع الطلاب إلا أنه لا رغبة ولا قبول لطلب العلم من الأحداث؛ وكل طلاب الشيخ ابن سعدي من قدامى الطلبة ومتوسطي الأعمار؛ وقد استاء بعض من الأخوة من أهل عنيزة حين ذكرت في كتابي: «تاريخ من لا ينساه التاريخ» الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قصة استدعاء الشيخ ابن سعدي لمقابلة الملك عبدالعزيز وجمع من العلماء لمناقشة ما كتبه الشيخ عبدالرحمن؛ من أن الصين هم يأجوج ومأجوج المذكورين في القرآن الكريم؛ وقد رويت واقع

القصة من الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في الرياض وفي مجلس عام؛ ويأبى الله أن أفتري على الشيخ أو أقول ما لم أروه عن غيري؛ واعتذاري للإخوة أن الخلاف بين العلماء والسلطة ليس بدع في قاموس العلماء، وهو أمر جاري مجرى الاجتهاد والبحث، والشيخ عبدالرحمن ممن يقول برأيه وكل رأي قابل للبحث والمناقشة؛ كما أن ما أشرت إليه من قول الملك «أما ابن عمر فقتلته؛ وأما إبراهيم الجاسر فسافر إلى العراق وأنا لا أكرهه» رويت هذا عن الشيخ عبدالله بن حميد، والذي تأكد لي في ما بعد أن الشيخ ابن جاسر سافر إلى الكويت وتوفي فيها وليس إلى العراق كما ذكر الشيخ ابن حميد، وعلى العموم؛ فإن الشيخ عبدالرحمن بن سعدي فضله لا ينكر وعلمه لا يجارى في عصر قل فيه العلماء والفقهاء لا سيما أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان متجرداً ولم يرتبط بوظائف رسمية؛ ولم يلتفت إلى تأثيرات خارجية بل يقول وفق علمه وفقهه؛ ـ غفر الله له وأسكنه فسيح جناته ـ؛ وقد نفع الله بمؤلفاته وتحريراته؛ ومن أهمها: تفسير القرآن العظيم الذي طبع مراراً وأعيد طبعه تكراراً؛ وقد تفضل أهل عنيزة حين تبنوا طباعة كتب الشيخ مسلسلة وتهدى وتباع بسعر مخفض؛ سمعت من بعض جلساء الشيخ قال له: لا أراك تهتم بالتاريخ فقال الشيخ: الجهل به لا يضر وقد سألته ـ رحمه الله ـ في أول مقابلة له عن علم الجغرافيا فقال: هو معرفة البلدان ولا شيء في ذلك، وعن دراسة اللغة الإنجليزية فقال: إن كان سبباً في غواية الدارس وضلاله فلا تجوز؛ وكان ـ رحمه الله ـ يوزع كتبه بالمجان من غير أن يكتب عليها وقفاً أو يمنع بيعها فلعل هذا إذن منه لمن أراد أن يهدي أو يبيع؛ وذلك ليسهل التبادل وانتشار الكتاب لمن يرغب اقتناءه والاستفادة منه.

بريـــدة

توجهت إليها بعد مشورة الشيخ عبدالرحمن السعدي؛ ولأول مرة أراها؛ فاخترت سـكناً دكاناً مهجوراً استأذنت صاحبه بعد التعرف عليه إلى حين أجد سكناً مناسباً، طفت بعض المساجد لأرى الناس ويروننني غير أن تلك البشاشة عند أهل عنيزة والابتسامة في وجه الغريب لم تكن في محيا أحد من أهل بريدة ألا أنها مدينة يغشـاها الغريب والمسـافر أم لأن خلق هؤلاء غير خلـق أولئك، ذهبت إلى المعهد وكان يديره الشـيخ محمد بن ناصر العبودي؛ وأخبرته برغبتي فـي النقلة من معهد الرياض إلى معهد بريدة؛ فرحـب ورغبني في المعهـد إذ كان المتقدم له قليل ولـم يكتمل النصاب المقرر؛ وذلك لأنه أشيع عن مدرسي المعهد العقيدة الأشعرية وعرف البعض منهم بحلق اللحى وبالأخص القادمين من مصر؛ حيث معبد البدوي وقبر الحسـين مع التذكير لما فعله محمد علي وابنه إبراهيم باشا في الدرعية من آثار سـيئة أوجبت الكره للمصريين، دخلت السنة الثانية الثانوي إذ المعهد خمس سـنوات، بعد أن أمضيت في الرياض ثلاث سنوات دراسية سنتان تمهيدي وسـنة أولى ثانوي، وبعد ذا قابلت الشـيخ عبدالله بن حميد وكان هـو القاضي والمدرس في الجامع الكبير فـي بريدة؛ وأخبرته بمقصدي من قدومي إلى بريدة فرحب وأستبشر لقدوم من يقصده لطلب العلم إذ كان من النادر أن يقدم أحد من الرياض ـ وهي مركز العلم ـ إلى بريدة ولكن كما قيل «وللناس فيما يعشقون مذاهب» سألني الشيخ عبدالله: أين سكنت في عنيزة؟ فقلت في بيت الشـيخ عبدالرحمن السعدي؛ ولي غرفة في المسجد أكون بها غالباً نهاراً؛ فأمر الشيخ عبدالله فهد المزيد وكان وزيره وفي خدمته أن يبحث لي عن بيت أسـكنه؛ وفي اليوم نفسـه قدم لي فهد المزيد مفتاح

بيت معه أرشـــدني إلى جهته فدخلت البيت خاوياً من الفرش ولو لحصير يمكن الجلوس عليه ولا ماء ولا سراج؛ فأخبرت الشيخ أن البيت لا يصلح وهو كبير وأنا لا أحتاج إلا إلى غرفة واحدة؛ فأمر الشيخ بفتح غرفة كانت في أعلى مســجد الجامع يسكنها عبدالكريم السديس الذي كان آخر أعماله رئيس محكمة تبوك: فأعطاني المفتاح لأســكن بهــا؛ فكانت تلك الغرفة مقبولة إلى حد ما وإن كانــت تفتقر إلى خدمات كافتقاد الأنيس والجليس في بريدة؛ بدأت الدرس على الشيخ عبدالله بعد صلاة الفجر حيث يدرس بها مادتين النحو والعقيدة؛ ومنها العقيدة الواســطية ولمعة الاعتقاد وكتاب النحو؛ كل ما انتهى من كتاب أخذ الكتاب الآخر؛ ودرست عليه في النحو الآجروميــة ومتن القطر وبعض الألفية؛ كل ذلــك بعد صلاة الفجر وبعد الإشراق وصلاة ركعتين ينصرف الشيخ إلى بيته حتى ارتفاع الشمس؛ ويبدأ الدوام الرسمي في المحكمة حتى صلاة الظهر وبعد الصلاة يقرأ عليه واحد فــي مادة واحدة في الحديث: صحيح البخاري ثم ينصرف إلى البيت ومعه عدد من الإخوان والطلبة لشــرب القهوة والحديث العام مع الشيخ؛ وهي جلســة رتيبة كل يوم يعرفها الناس لمن لديه حاجة عند الشيخ؛ وبعد صلاة العصر إلى المغرب في البيت؛ أما بعد المغرب فهو الدرس الذي يكثر طلابه لدارســي الفرائض؛ وبعد العشــاء الانصراف إلى البيت حتى الفجر؛ هذا قبل أن يتفرغ الشــيخ للتدريس لارتباطه بأعمال المحكمة؛ أما بعد استقالته عن المحكمة الشــرعية تفرغ للتدريس فــي الجامع وفي المكتبة العامة التابعة للجامع؛ ولكنها في بناء مســتقل تحتوي على جملة من الكتب والمراجع؛ وقد رتبت في ضحى كل يوم مع جملة من الطلبة حين يغلق المعهد أبوابه في الإجازة الصيفية رتبت عليه في زاد المســتقنع حفظاً وشرحه الروض المربع؛ وطريقة الشــيخ في تدريســه: أن يقرأ الطلاب المتن حفظاً؛ ويستمع إليهم واحداً بعد آخر ثم يتكلم الشــيخ على مــا قرأ الطلاب ليبين غوامض المتن

ويستقبل الأسئلة وحل المشكل في الدرس؛ ثم يأمر بقراءة الشرح الروض المربع قرائة سرد؛ أمضيت في قراءة الزاد وشرحه قرب النهاية ولم أكمله؛ كما قرأت على الشيخ في المكتبة: شرح مسائل الجاهلية والمتن للشيخ محمد بن عبدالوهاب والشرح للألوسي قراءة سرد؛ هذا وكان الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في مقامه الأعلى وتفوقه الأسنى في العلم والذكاء والفطنة والخبرة؛ أمضى في بريدة سنوات عدة من عام ١٣٦٤هـ خلفاً للشيخ عمر بن سليم قاضي بريدة ومعلمها الأكبر؛ وقد كان الشيخ عبدالله في المجمعة قبل تكليفه للعمل في بريدة؛ كما قضى في الرياض في مطلع شبابه عام ١٣٥٧هـ والذي حدث من استقالة الشيخ عبدالله عن القضاء: أنه أمر في إجراءات إدارية رتيبة لم يرضها؛ ولذا حصل بينه وبين المفتي عدم الوفاق مما جعل الشيخ يرفض القضاء فيقدم استقالته عن العمل في المحكمة؛ وفي تفرغ الشيخ عبدالله للتعليم في المكتبة التف حوله جمع كبير من طلاب المعهد وطلابه الأقدمين واستفادوا منه فائدة مركزة؛ إلا أن الشيخ لم يكن في عمل رسمي مما جعل طلاب الشيخ لا يتوظفون ولا ينخرطون في سلك العمل الرسمي وإنما يتعلمون العلم للعلم، أمضيت في بريدة ثلاث سنوات على هذا المنوال وكنت لا أفارقها بل أواصل درسي في المعهد وفي مجالس الشيخ عبدالله بن حميد ـ يغفر الله له ـ، ذكرت في كتابي: «أعلام وعلماء عايشتهم» بعض الصفات التي يتميزبها هذا العالم الفذ والنحرير متقد الذكاء العالم الفقيه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد فليراجع لمن شاء؛ والله أعلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيخ صالح بن أحمد الخريصي

علم القصيم بعد الشيخين ابن سعدي وابن حميد؛ وله من الصفات الحميدة والسجايا الفريدة ما تجعله في مصاف الأعلام من علماء الإسلام، لم يكن للشيخ الخريصي باع في سعة العلم كما هو عند الشيخين السعدي وابن حميد؛ ولكنه يتميز بصفات تجعل الناس حوله يأخذون منه صفات عملية وسمات خلقية، السمت: سمت الأولياء والسيرة: سيرة الخلص من الأصفياء، فاق الكثير بما وهبه الله من نظارة؛ وحباه بسطة في الجسم طولاً ومتانة، أبيض الوجه كما لباسه البياض من الثياب، قليل الكلام إلا بما يفيد المستمع، له غنة عند التلاوة؛ وصوت بالتلحين في الخطابة، رأيته يفترش التراب ويجعل البعض منه وسادة في خلوة المسجد كأحد إخوانه وطلابه؛ يذكر بالسيرة العمرية في هيبته وطلعته البهية إذ كانت المساجد يومها تفرش بالرمال لسوء الحال وقلة المال، والنوم في المسجد عادة وخاصة الظهيرة في أيام الصيف، وبكل مسجد خلوة بنية تحت الأرض فتعطي برودة في الصيف ودفءً في الشتاء، التقيت بالشيخ صالح في منزله عقب صلاة الظهر وبعد الدرس العام إذ يتبعه العشرات من الطلاب لشرب القهوة والشاي وأخبرته بإسمي ودوافع مقدمي للقصيم فرحب بي وأدناني من مجلسه وقال: أنت حفيد الشيخ حمد بن عتيق فقلت: نعم فانطلقت منه كلمات يثني بها على الأموات: الشيخ سعد؛ وأبيه حمد تنبي عن وثيقةالترابط بين آل عتيق المشايخ منهم وبين السليم مشايخ الشيخ الخريصي، وقال: لك الخيار في الدرس الذي تريده والوقت المناسب لك؛ فطلبت منه الإذن لي بعد العصر من كل يوم قراءة في التوحيد وشروحه؛ والإشتراك مع الإخوان في متن الزاد وشرحه؛ تم ذلك بحمد الله حيث قرأت عليه كتاب التوحيد حفظاً؛

وقراءة شروحه من قرة عيون الموحدين؛ وإبطال التنديد؛ وفتح المجيد؛ وعقب القراءة في الفقه مع المجموعة وهذا الدرس خاص لي أمضيت مع الشيخ صالح ثلاث سنوات كما هي مدة إقامتي في بريدة؛ حتى ألم بي ما أصابني من أوجاع في الصدر أوجبت سفري إلى لبنان وخسرت سنة دراسية؛ وبعدها انتقلت إلى الرياض لأنهي دراستي الثانوية ثم الكلية.

وممن عرفته في هذه الرحلة والنقلة الدراسية من علماء بريدة ـ عدا مدرسي المعهد ـ: العالم العامل الشيخ عبدالله بن سليمان الحميد؛ والشيخ محمد الصالح المطوع، والشيخ فهد العبيد، وأخوه الشيخ إبراهيم بن عبدالمحسن العبيد، والشيخ علي آل إبراهيم المشيقح، والشيخ علي الغضية، والشيخ عبدالله السعوي، وابنه عودة، والشيخ عبدالله أبو حماد الرسي، والشيخ محمد الحسين، وكل هؤلاء لهم أثر في التعليم والتأليف والقضاء خارج بريدة؛ إلا أنه استقربهم القرار بعد خدماتهم الطويلة خارج وطنهم كالشيخ عبدالله السليمان؛ وعلي الغضية، والسعوي، كانوا في منطقة جيزان قضاة، أما مدرسين المعهد في المواد الشرعية فهم: الشيخ صالح السكيتي، والشيخ علي الضالع، والشيخ صالح البليهي، والشيخ محمد السبيل، والشيخ محمد المرشد، وعلى العموم فإن بريدة مليئة بطلاب العلم وممن لهم خدمات في الدولة في القضاء والتعليم والإدارة بتشجيع من الدولة واختيار الكثير منهم بمشورة علماء السليم.

وفي بريدة بيوت لها أمجادها وتاريخها وتأثيرها في البلد؛ كأمثال الرشودي الذي ظهر منهم: فهد الرشودي برأيه وشجاعته وكان الواسطة بين ابن سعود وابن رشيد في التفاوض؛ ومنهم: المشيقح عبدالعزيز الحمود وأبناءه عرفوا بالثروة وهم طلبة علم يرأسهم بعد والدهم عبدالله الذي كان يرأس اجتماع الجماعة وإخوته حمود وصالح وإبراهيم وعبد المحسن ومحمد وعبدالرحمن ـ غفر الله لهم ـ. ومن أشهر التجار آن ذاك آل

راشد إبراهيم الراشد وإخوته كان لهم يد في الصرافة والتجارة المحلية والخارجية، أما آل السليم العلماء فكان آخرهم: محمد الصالح السليم رئيس محكمة التميز في مكة المكرمة؛ ولم يبرز بعده أحد يشار له بالعلم كما كان الأوائل؛ كتب عنهم الشيخ صالح العمري كتاباً أوضح فيه تراجم أخواله السليم وهو كاتب صحفي قدير على التأليف إذ كان يرأس جريدة القصيم؛ وفيما يخص الشيخ صالح الخريصي فقد كتبت عنه كتاباً أسميته: «هذا العالم» بينت جوانب من حياته وسيرته ـ رحمه الله ـ وتحت عناوين مواقف نيرة فليراجع.

تعداد المساجد يومها في بريدة ثلاثون مسجداً؛ تصلى الجمعة في ثلاثة مساجد: مسجد الجامع ومسجد السيكني ومسجد البابطين؛ والتعليم في خمسة عشرة مسجد، ولم يكن بعد مدارس لتحفيظ القرآن إلا حلقات في المساجد تختص بالتلاوة؛ وجل التدريس في علم التوحيد والفقه.

تعرفت فيما بعد على الأخ علي بن عبدالله بن عبدالعزيز المشيقح وأخذني إلى والده وأعمامه بعد صلاة الظهر؛ حيث الاجتماع على شرب القهوة ودعوني لتناول طعام العشاء قبيل الغروب فاستجبت للدعوة؛ وهي أول دعوة أحضى بها بعد دعوة الشيخين ابن حميد والخريصي؛ فأنست بمجلسهم وشدني حديثهم الشيق في شؤون الحياة وهم تجار وطلبة علم وعرضوا علي السكن في مسجدهم إذ به غرف للغريب والوافد فكان ذلك العرض أمنيتي، سكنت المسجد في غرفة مجاورة للمحراب وبها أقمت ثلاثة سنوات حتى الرحيل من بريدة؛ كتبت في كتابي: «أعلام وعلماء عايشتهم» عبدالله آل عبد العزيز المشيقح والشيخ علي آل إبراهيم المشيقح، هذا قولي في القصيم وإن كان في الذاكرة المخزون من بعض حكايات ومواقف لم أستنسخها للاختصار وعدم التطويل، والله ولي التوفيق.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ولنا ركيزة في بريدة

آل عتيــق يقطنون أرض الشماســية ومنها إلى بريدة؛ فقد قدم يحيى بن علي بن محمد بن عتيق شقيق الشيخ حمد بن عتيق من الزلفي إلى القصيم وســكن الشماسية وولد له ولدان: صالح وإبراهيم وتفرع من صالح الأبناء والبنات أما إبراهيم فلم يكن له ســوى بنات، بعد أن اســتقر بي القرار في بريدة؛ بلغني عن رجل يدعى: ســعود بن عبدالعزيز العتيق في قبة رشيد يبيع في متجر ولم أكن قد سمعت به من قبل؛ فحدا بي القدر إلى التعرف عليه لا ســيما وأنني لا زلت أشــعر بالغربة وعدم الاستقرار الكلي؛ وبعد التأكد من دكانه ومكانه دلفت إليه وهو رجل فارع الطول عليه مســحة من وقار هادئ تغشــاه السكينة؛ ســلمت عليه وجلست فرد السلام وأنا أقلب بصري فــي ما عنده من البضاعة: بكم الأحذية يا أخ؟ بكذا وهذه وهذه، وهذه أحادثه لعله يعرف من لهجتي أني غريب ولســت من أهل البلد وقد عرف ذلك ولكنه لم يســأل عن اسمي وبلدي فانصرفت من غير تعارف؛ وبعد بضعة أيام أرسلت له رسالة مشافهة أحد الأصحاب: بأن الذي جاءك ولم يشــتر منك شــيئاً هو من آل عتيق الجنوب؛ ثم أعدت الزيارة له فكان التعارف والتعانــق، وقال: لقد عرفت من زيارتك الأولى أنك لا تريد أن تشــتري شــيئاً ولكن عندنا بنت يكثر خطابها فظننت أنك منهم؛ ودعاني إلى منزله وأحضر جميع أســرته وأخبرني بحاله وأنهم كانوا في الشماسية والربيعية ثم انتقلوا إلى بريدة؛ وليس فيهم طالب علم ولكن شأنهم التجارة وكسب العيش، ظلت صلتي بأسرتي آل عتيق مدة إقامتي في القصيم ولكن لا وفاق ولا اتفاق في التوجه؛ وقد أخذت منهم معلومات عن آل عتيق في القصيم كســرد الأسماء لإعداد شجرة العائلة فكان في ذلك عام ١٣٩٥هـ

برسم بديع أعدها الأستاذ سالم العبدالله السالم؛ أحد أبناء بنات إبراهيم بن عتيق؛ ثم انقطعت صلتي بهم بعد مغادرتي القصيم؛ وعدت إلى بريدة بعد عشر سنوات من زيارتي الأولى وقد توفي سعود بن عبدالعزيز ولكن خلفه يبقون ذكره وهم كثر؛ كما كان لبنات إبراهيم بن يحيى خلف يعتزون بأخوالهم ومنهم شعراء وعلماء كانوا على صلة بنا عند لقاءاتنا الحولية؛ وقد هيأ الله فيما بعد الأسباب لضم جميع سكان المناطق من العتيق في كل من الرياض والزلفي والقصيم وحائل والأفلاج ووادي الدواسر وسدير والقرينة؛ وقد جمع ما قبل في هذه اللقاءات في كتاب عنوانه حوليات آل عتيق.

هل كان لي اتصالات خارج بريدة؟

لم يكن شيء من ذلك لسببين: ارتباطي بالدراسة؛ وعدم ممارسة أي عمل يوجب التواصل مع الناس؛ وشيء آخر: غربتي وعدم الإلمام بالأحوال العامة إلا ما كان من محادثة الأصحاب؛ غير أن الشيخ صالح الخريصي ربما كان يدعى فأكون بصحبته وبالأخص أيام الثمار إذا أينعت وطاب أكلها من الرطب والفواكه ويدعى في الخبوب ـ وهي مزارع غربي بريدة آهلة بالسكان ـ كلٌ في نخله وملكه، والخب: ـ مصطلح عندهم يعنون به الأرض المنخفضة بين الرمال ـ، أما النقرة: فهي الملك الواحد أو الاثنين، والخبوب أشهرها: المريديسية وهي بلد السعاوي والعريمضي والحمر، وخب روضان وضراس؛ كما كان الشيخ عبدالله الرسي أبو حماد يهوى زيارة الإخوان في مثل هذا التوقيت؛ فأصحبه أنا ومبارك الغلام لكنه سيراً على الأقدام قد تجاوز خمسة أكيال في الزيارة الواحدة التي تستغرق يوماً كاملاً نغدو صباحاً ونعود مساءً؛ وتكون المجالس قراءة ومذاكرة مع تقديم الضيافة التي لا تكلف المضيف: الرطب واللبن وكفى، والقهوة والشاي أمر جار على العادة.

أعود إلى ما بدأت به وهو ارتباطي بالشيخين الفاضلين الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ صالح الخريصي وبهما تأثرت واستفدت؛ إلا أن المواهب أقل من الطموح؛ والقدرات على الاستيعاب لفنون العلم يعجز عنها التركيب البدني؛ ومنها: العقل والإدراك؛ غير أني لا أعدم حسن السلوك والتعبد والتشبع بالمنهج المشيخي لعلماء نجد حتى كان لي نغمة في التلاوة والخطابة والزي؛ والمظهر هو من دواعي التقليد المكتسب؛ وقد قيل: إن الطبع لص؛ والعلم دين؛ والدين يؤخذ من أهله.

الشيخ عبدالله بن حميد فذ في ذكائه؛ عبقري في مداركه؛ ولولا ارتباطه بالقضاء وانزوائه في القصيم مدة تزيد على عشرين عاماً لكان له شأن في شتى فنون العلم ومستجدات العصر؛ ثم هوايته الفقهية للمذهب الحنبلي جعلته لا يجدد في مسيرته العلمية فهو حنبلي ما بقي؛ أما الشيخ صالح الخريصي فقد أشرت إلى بعض صفاته في مطلع الحديث؛ وله تأثير عام على عامة الناس في بريدة وآرائه مقبولة وتوجهاته مسموعة؛ إلا أنه لا يبالغ في تقصي الحقائق ولا يريد أن يعرف مستجدات الأحداث؛ حتى كان ينكر على استعمال الراديو والاستماع إليه ولا يقرأ الصحف ولا يخوض في السياسة ولكل وجهة، أختم حديثي عن الأسرة عريقة الأمجاد مفعمة الإحسان للفقير والقريب: أبناء عبدالعزيز بن حمود المشيقح؛ عرفوا بحسن المظهر وجمال الصورة؛ فقد جمعوا بين العلم والعبادة والتجارة، ولهم حبوة عند الدولة ومكانة عند المسئولين لارتباط والدهم بالملك عبدالعزيز وأخذهم من العلم عن آل سليم ولتوثيق الروابط بين المشيقح والسليم فقد تزوج الشيخ عمر بن سليم بنت عبدالعزيز بن حمود المشيقح وأنجبت له ابنه إبراهيم ولعله أخذها على كبر حيث لم تنجب له سواه، حصل أن اشترى إبراهيم بن عبدالعزيز المشيقح وإخوته أرضاً من الشيخ حمود العقلاء بمائة وخمسين ألف ريال؛ وبعد التسليم والاستلام ادعى الشيخ حمود أنه

مغلوب وأنه في الرياض ويجهل الأسعار؛ فتقدم بدعوى في المحكمة الشرعية في بريدة.

فلم يحكم له القاضي بشيء واعتبر البيع ماض ولا غرر ولا ما يوجب نقض البيعة؛ فعرض إبراهيم على الشيخ حمود خيارين؛ بأن يدفع له خمسين ألف فتكون قيمة الأرض بمائتي ألف؛ أو هو يدفع المائتين فأختار الشيخ حمود الخيارالأول؛ أوردت هذه كنموذج لتسامحهم ومحبة طلب العلم، كما كانت أعمال عبدالله وحمود أبناء عبدالعزيز المشيقح المداينات فكانوا يمهلون المعسر ويرحمون الضعيف لا سيما المزارع الذي قد تصاب ثمرته بأوجاع تضر بحرثه وزرعه؛ كما عاشرت الأسرة مدة إقامتي في بريدة فنعم المعشر؛ يغفر الله لأمواتهم، وقد بلغني أخيراً وفاة الأخ إبراهيم بن عبدالعزيز المشيقح كما نشر في الصحف وقلت في رثائه بعض أبيات قليلة هي:

خبر يذاع وفي الصحائف ينشر
عما يسوء وهل أساء المخبر
خبر بموت حبيبنا وفي الإخاء
من سمته من عقله من مثله لا أخبر
من كان في حلق الدراسة فاهما
يتلو الحديث بنغمة قد تسحر
قرأ الحديث وكنت أسمه لحنه
من حَوله من صوته من لحنه يتأثر
آل المشيقح من ترون يؤمكم
في السيرة المثلى إذا مات الأكبر
ومن الذي في رأيه ي عقله
عقد الجماعة جوهر لا ينثر
جبلت يداه على النوال كأنه
يعطيه آخذه الذي هو يأمر

سمح إذا ما الخصم لج لجاجه
أعفاه يرجوا رب عفو يغفر
هادي الطبيعة مشية أو نطقه
يحكي الألى للسالفين تأثروا
هذى المنية لا تبوح بسرها
حتى يجندل من يموت ويقبر
غفر الإله لمن توارى شخصه
لكنه بالخير والمعروف حقا يذكر
عشرون ابناً من بنيه كأنهم
نجم الثريا في التفاف تأزروا
أو قل سهيلاً والنجوم وراءه
صفوا الصلاة مسبحُ ومكبر
أهدي التعازي للبنين وعمهم
وذوي الأقارب أقبلوا وأدبروا

إلى آخره وصلى الله على محمد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المنطقة الشرقية

وكانت تعرف من قبل بالظهران أو الجبل حيث تمركز شركة أرامكو وثقل معداتها والمطار ولوجود جبل بارز فيها قد تدعى بالجبل، بعد وفاة والدي عام ١٣٦٨هـ لم يقر لي قرار في الوادي إذ كثر الناعتون لي باليتيم وربما تحدثوا عن موت والدي بالحادث الذي أودى بحياته بثوان من سقوطه من السيارة في طريق عودته من الرياض وأنا بمعيته، أوجد هذا النعت الملل بين الأتراب والأصحاب في سني ومن يشاركوني في اللعب والمزاح ظلت آلام فقدان أبي تعصر قلبي وتضاعف الحزن والكآبة حين يعتز الأبناء بآبائهم ويلجئون إليهم في ملماتهم ولو في الافتخار وبالكساء وحسن المظهر؛ ورغم وجود عمي شقيق أبي على قيد الحياة فإنه لا يملأ فراغ النفس بحب الوالد ومحادثته وملاطفته بل وعطفه وحنانه والاعتزاز به، كان ذلك من دواعي تفكيري وبمشورة والدتي أن أغادر الوادي إلى حيث الخالين (حسين وعلي) أبناء مبارك الخليفة الذين التحقا في شركة أرامكو في الظهران ويعملان، بها ولكن كيف؟ ومتى؟ من يأخذني إلى هناك ولا مكاتبة ولا مراسلة بل ولا مال لدفع الأجرة مع ضرورة الصحبة إلى هناك.

كان من المقدر أزلاً أن يكون مبارك بن جمعان بن خشيم شقيق زوج أمي له ابن في الظهران اسمه جمعان، وجرت عادت والده أن يزوره فكانت فرصة سانحة أن أصحبه إلى الظهران حيث الخالين يقيمان في الظهران أما الأجرة فلا أدري كيف سددت؟ أمن أمي أم من زوجها، وصلنا الرياض ولا بد أن نمكث بها لاستطلاع خبر المسافرين إلى الظهران وكيف يكون ذلك؛ ونزلنا عند خليفة بن صالح بن خليفة من أبناء عم الأخوال وهو رجل مضياف يستقبل القادم من الوادي بلا تكلف في حلة بن نصار حيث

تواجد الدواسر والمختصين بهذا الحي، فأخبرنا خليفة أن الخال حسين يكون مع قافلة الزيت التي تجلب البترول من الظهران إلى الرياض ويتوقع وصوله قريباً؛ فكان ذلك بعد يومين من وصولنا الرياض ولم يعلم الخال بعد أنني قادم إليه حتى جاء هو لمنزل خليفة بن صالح جرياً على عادته في زيارة ابن عمه خليفة إلى الرياض، فكان اللقاء المبارك جاء في وقته فزالت عني سحابة الهم والغم وخوف الضياع في الرياض؛ كما كانت فرحة الخال الكبرى حينما رأى ابن اخته وهو ينتظر مقدمه بصحبته في غربته احتضنني بكل حرارة وأشعرني باستبشاره، وقال: خالك علي ينتظر مثل هذه الساعة فهو أخوك من الرضاعة وستكون معه كما كنت على أحسن حال وأكرم مئال؛ أخذني خالي حسين من توه إلى رفقته وكانت مخازن البترول في العود، لا أدري أهي تجارية أم حكومية وكلاهما جائز؛ فعجب الصحبة من هذه الصدفة وكان الخال هو دليل القافلة والمصاحب للأمريكي المشرف على الشاحنات وتعدادها في حدود عشر سيارات (دمنتي) غير أن الأمريكي والدليل معه يمنطيان سيارة السيدان ـ هكذا تدعى في وقتها ـ وهي: سيارة صغيرة فارهة، يقوم الأمريكي بالإشراف والمتابعة للسائقين من سرقة البترول وبيعه أو استبدال الكفرات الجديدة بالقديمة أو أي خلاف في سيارات النقل، والخال له خبرة في أعطال السيارات فهو دليل ومهندس؛ أحبه الأمريكي وقربه إليه لصدقه وأمانته وخبرته الطويلة في مسالك الطرق من الظهران إلى الرياض حينما كان يحمل البضائع إلى الرياض من الأحساء، واستأذن الخال الأمريكي بصحبة ابنه معه في ركوب السيدان فلم يمانع بل كان متلطفاً للصغير بل ربما قدم له من قوته وطعامه الخاص به، وصلنا الحني وهو: كمب مشبوك عليه أعد لصيانة السيارات الخاصة للشركة من جميع المعدات الثقيلة، التقيت بالخال علي في الحني إذا هو المقر الوقتي للخالين، وكان السكن مريحاً للغاية أروقة من بناء المسلح غير أن الغرفة الواحدة

يسكنها أكثر من عشرة، سرني لقائي بالخال علي الذي لم يتوقع هذا المشهد المفاجئ، أعدنا ذكريات الطفولة في حضانة جدتي هيا بنت زايد أم الخال والخال علي يكبرني بسنتين ولكنه انخرط في سلك العمل في الشركة بمعرفة الخال حسين؛ فقد كلف أن يكون على بوابة الكمب (الشبك) لتسجيل أرقام السيارات الداخلة والخارجة والوقت، وكانت مهمتي عند الخالين حراسة المنزل وتقديم خدمات صب القهوة والشاي للعزبة؛ ومعناها: مجموعة سكان الغرفة؛ والغالب أن كل مجموعة متعارفة تتوحد في عزبتها للاشتراك في المصروف يدفع ما يطول كل واحد للأكل والقهوة؛ وكانت الغرفة مزودة بالكهرباء وبالمراوح في الصيف؛ أمضينا ستة أشهر في الحني حتى جاء الأمر بنقل العمال إلى الظهران في نفس طبيعة العمل للخالين؛ إلا أن الذي افتقدوه هو: السكن في الغرفة المسلحة وإنارة الكهرباء؛ أما في الظهران فإن السكن فيه يسمونه (بالبرستيات) ولعلها لغة أجنبية تعنى سكن العمال بالقش والخوص إلا أنه خصص لكل حي مطبخ موحد توقد فيه النار مجاناً من الغاز ليل نهار كما أوجدوا حنفية الماء بجوار المطبخ المشترك فكان سكان الحي يشتركون فيما يريدون طهيه من أكل وسواه في هذا المطبخ العام.

جاء دوري الفعال بتقديم الخدمة للعزبة بإشراف الخالين؛ وذلك بإعداد الأكل الغداء حين انصراف العمال للعمل أقوم بإعداد الطبخ وذلك بتدرج في إعداده بحيث أحمل القدر فارغاً وهو يسع لإطعام العشرة من الرجال ثم أضع ما يمكن وضعه في هذا القدر من ماء وسواه وأوقد عليه النار وهكذا إلى أن يستوي الغداء قرابة الظهر؟ فما بقي أن يأتي الخال أو بعض رجال العزبة لحمله وتقديمه للمجموعة؛ أما القهوة والشاي فيمكن أصلاحها بجوار السكن بما يسمى بالدافور؛ وهكذا أمضيت ستة أشهر أخرى على هذا التكليف غير الشاق ولكنه تسلية وخدمة للأخوال، وقد حاول الخال إدخالي

في مدرسة للغة الإنجليزية ولكنه خشي أن ذلك قد يؤدي إلى ارتباطي الكلي بالدراسة وهو عازم على العودة إلى الوطن: الوادي؛ حيث أمضى في غربته عشر سنين وأخوه علي سنتين؛ عدنا إلى وادي الدواسر بعد سنة، ستة أشهر منها في الحني؛ ومثلها في الظهران؛ وكانت هدية الخال: الكسوة الفاخرة بثوب جديد وغترة جديدة وبشت أعتز به أمام الأتراب والأصحاب في سني ومن هو أقل مني، دخلت المدرسة عام ١٣٦٩ ـ وعام ١٣٧٠هـ في السنة الثانية والثالثة الابتدائية وفي عام ١٣٧١هـ توجهت إلى الرياض منفرداً لأواصل المسيرة الذاتية معتمداً على الله ثم على قدراتي واختياري لنفسي ما أختار.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبها منطقة عسير

في عام ١٣٧٦هـ كنت بأبها في رحلة استطلاعية ونزهة استجمامية بها علم أبها ومنارها الشيخ/ عبدالله بن يوسف الوابل؛ مرجع طلاب العلم؛ ومفتي العامة من أهل عسير؛ فقد أمضى في أبها ثلاثة عقود في القضاء والإمامة والتعليم والنصح والإرشاد؛ فكان بحق مرجع المحتسبين ومفتي المستفتين والسائلين؛ وقد تنازل عن القضاء وخلفه الشيخ ناصر بن حمد آل راشد رئيس تعليم البنات ثم رئيس رئاسة الحرم المكي والمدني ذو الشخصية القوية والإداري الناجح وكان في عز شبابه وعنفوان نشاطه.

أما الشيخ عبد الله فقد ألم به سبب أقعده في كثير من الأعمال حين ينتابه المرض؛ ومع هذا فهو يواصل عطائه للتعليم والإمامة في حال صحته وغياب أرزائه وقد تجاوز الستين إلى السبعين آن ذاك، وفي مجلس الشيخ عبدالله بن يوسف تلتحم الصفوف وتكتظ بالزائرين والمسلِّمين وأصحاب الحوائج وبالأخص قسمة التركات وتوزيع الأموال بعد الممات؛ عرفت في هذه الرحلة أخاناً الفاضل: بخيت بن ناصر العواجي إمام مسجد الخشع في أبها من أهل وادي الدواسر غير أنه يقيم في أبها منذ سنوات طوال ومن أخص ومحبي الشيخ عبدالله بن يوسف ومن تلامذته، كما كان لي لقاء بالداعية الشيخ عبدالله السعدي الغامدي وقد فتح مكتبة في السوق لا للبيع ولكن يجلس فيها ليكون على صلة بالناس وليس له عمل رسمي؛ إلا أنه استصدر أمراً من الملك سعود لأمراء مناطق الجنوب أبها والباحة ونجران بتسهيل مهمته للدعوة وتجميع الناس في الأسواق له لاستماع درسه، وقد كان له الأثر البالغ في بلجرشي وغامد حين افتتح مدرسة سلفية لتلقين الناشئة التوحيد والعقيدة وساعده على ذلك الشيخ محمد الجماح، غير أن

الشيخ عبدالله ألف رسالة خص بها بلاد غامد وما فيها من منكرات شركية وأمور بدعية سبب له رد فعل عند أهل المنطقة وقدموا احتجاجاً عليه لدى الملك سعود مما جعله يختار أبها سكناً له ومستقراً ولم يعد ذلك النشاط كما كان، وقد كاتبني فيما بعد برسالة مطولة بخط جيد غير أني لم ألتقي به في غير هذه السفرة لما هو عليه من شدة وحدة وإنكار من خالفه.

حدثني الشيخ مداوي بن علي الجابر: قال كنت في معية الشيخ عبدالله الغامدي في أحد جولاته فرأيت وزغاً في المسجد فأخذت حجر لأقتله؛ فقال الشيخ عبدالله: دعه دعه لأضربه أنا فخشيت أن يختفي الوزغ قبل أن يحضر الشيخ الحجر فرميته فمات؛ فقال الشيخ: عصيتني مهجور مهجور وكنت معه ثلاثة أيام لا يكلمني، أوردت هذه القصة كنموذج من سيرته ولا أريد الاستطالة في الحديث عن الشيخ عبدالله الغامدي السعدي فقد أفضى إلى ما عمل؛ وهو بحق من دعاة السلفية في حدود معرفته وإمكانياته وما جبل عليه من طبع في مجابهة الخصم ولو من أصفيائه.

وفي طريقي إلى أبها نزلت ببيشة من بلاد شهران وبها الأخ الفاضل الشيخ ناصر بن إبراهيم بن حسين رئيس هيئة نمران وزوج ابنة عمتي والتي جعلت من بيتها مدرسة قرآنية تابعة للشيخ عبدالله القرعاوي؛ أمضيت يومين في ضيافته ومن بيشة إلى الخميس ثم إلى أبها، ومن صنيعي في هذه الرحلة أنني أحمل معدات الطهي وغطاء النوم وغيارين من اللباس حيث لا يوجد مطاعم ولا أماكن استراحة؛ وإنما هو الاستضافة والنزول عند من تعرف ومن لا تعرف وإلا فالمسجد مأوى المسافر والغريب وابن السبيل، كررت زيارتي لأبها زيارات شخصية ورسمية؛ ففي عام ١٣٨١هـ كنت بصحبة الدعاة المتجولين انطلقنا من الطائف إلى خميس مشيط واستقر بنا القرار؛ فذهبنا بلد شيخ شمل شهران الشيخ سعيد بن مشيط الذي أبى إلا أن نكون ضيوفه ما دمنا في قريته؛ غير أن ابن ابنه سعيد بن علي بن

سعيد يعرف تحركات الدعاة وأنهم لا يستضيفون من دعاهم إلا لمن شاركهم العمل وحضر مجالسهم بانتظام؛ وهذا يتعذر على الشيخ سعيد لكبر سنه ولمقامه عند قومه لا سيما وأنه في أبهة من المظهر؛ يلبس العقال المقصب والبشت المطرز أعلاه بالزري المذهب وعزة المشيخة وكبرياء الأمراء، أقمنا في ذهبان ثلاثة أيام ومنها إلى خميس مشيط وفيها عبد العزيز بن سعيد بن مشيط أميراً عليها زرناه كما زرنا والده واحتفى بنا وحضر مجالس المذاكرة والمدارسة بعد المغرب من كل يوم أمضيناه في الخميس، ومن الخميس إلى قرية ابن عائض شرقي أبها وهو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن بن عائض نسيت اسم القرية ولكنها شرقي أبها علي بعد مرحلتين.

ويتمركز فيها آل عائض أمراء أبها قديماً وكان يحدثنا حديثاً مفتخر بأمجاد أسلافه وأنما حصل من آل عائض ضد ابن سعود بمشورة شريف مكة وإلا فإن العلاقة بين آل عائض وآل سعود علاقة ود ومحبة واتحاد في المنهج، ومنها إلى أبها وكانت إقامتنا بها أطول لكثرة مساجدها ومن ضروريات عمل الدعوة الزيارة للأعيان والعامة والتعليم والمرابطة في المسجد؛ فكانت زيارتنا للشيخ إبراهيم الحديثي وقد خلف الشيخ ناصر آل راشد في رئاسة المحكمة الشرعية؛ كما زرنا رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعموم المنطقة؛ وكان التشجيع والإنسجام التام مع الأهالي والمسئولين.

عدت إلى أبها ١/ ٧/ ١٣٩٠هـ في مهمة رسمية بصحبة الأخوين الفاضلين: الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل؛ والشيخ مداوي بن علي الجابر بتقييم أعمال الدعاة بالمنطقة التابعين لرئاسة إدارة البحوث العليمة وكنت يومها رئيس قسم الوعظ والإرشاد في الرئاسة؛ أمضينا في هذه الرحلة شهرين شملت جميع مناطق الجنوب نجران وأبها وجيزان وغامد وزهران؛ وفيما يلي مقتطفات من تقاريرنا الرسمية وما يسمح بنشره في مذكرات شخصية:

وصلت اللجنة منطقة أبها وتجولت في أكثر مراكزها كما زارت كثيراً من الدوائر الحكومية فيها ومارست نشاطها المعتاد بالتعاون مع الدعاة وطلبة العلم ومحبي الخير؛ كما قامت بمسح عام للمنطقة وهي تتكون من قسمين: السراة وتهامة، والمنطقة بقسميها حافلة بالسكان حاضرة وبادية وهي من أهم المناطق الجنوبية تشتمل على دوائر حكومية عامة منها خمسة وعشرون مركزاً للأمارة؛ وقرابة عشرين مركزاً لهيئة الأمر بالمعروف؛ وثلاثة وعشرين محكمة شرعية؛ وذلك دليل على سعة المنطقة وكثافة السكان مما يدل على احتياجاتها إلى شتى أوجه الإصلاح؛ ومن الناحية الدينية: فإنها تفتقر إلى الدعوة والتوجية والإرشاد وكثرة الجهل وقلة المحتسبين لهذا العمل ووجود بعض عادات وتقاليد تخالف الشرع بعضها يؤدي إلى الشرك بالله؟ وهذا مما يؤكد ضرورة توفير الدعاة في هذه المنطقة وفي المنطقة حالياً اثنا عشر داعية يعملون للسراة موزعين على المراكز بها ويتجولون في مراكز السراة وبعضهم يزور مراكز تهامة أحياناً.

وعلى هذا فإن اللجنة تقترح ما يلي:

١ ـ تعيين ثلاثة دعاة في السراة؛ بالإضافة إلى من فيها ويتم توزيعهم حسب الحاجة والأهمية حيث يوجد مراكز أماكن في حاجة وليس بها أحد من الدعاة.

٢ ـ تعيين عشرة دعاة بمراكز تهامة التابعة لمنطقة أبها على أن يسكنوا بها ويستحسن أن يكون من أهلها حيث تهامة لا تلائم إلا أهلها في الغالب لوجود ملاريا وغيرها ويجري توزيعهم حسب الأهمية.

٣ ـ توصي اللجنة بأهمية المراكز والأماكن التالية وحاجتها الماسة للدعوة وهي تهامة بن سعد، تهامة قحطان؛ مركز الفرشة، مركز لجوة، مركز الفطيحة، تهامة ربيعة وبني مازن، مركز قنا والبحر، مركز محايل، مركز ردة، مركز بارق، مركز خميس مطير، مركز بني عمر، مركز الشعبين، مركز الأمواة، مركز جبل تربان، المخلوطة، رجال ألمع، تهامة شهران، تهامة رفيدة وبني بشر، مركز العين وباديته.

www.moswarat.com

تهامة عسير

وفي عام ١٣٩٢هـ صدر أمر ملكي بتكوين لجنة من وزارة المعارف والمواصلات والصحة والحج والأوقاف ورئاسة البحوث العلمية ووزارة المالية لدراسة أوضاع تهامة قحطان بعسير؛ مثلّت رئاسة البحوث العلمية في هذه المهمة وتم السفر بتاريخ ١/ ٥/ ١٣٩٢هـ قاصدين أبها؛ وبدأت اللجنة أعمالها تحت إشراف وتوجيه أمير منطقة عسير: خالد الفيصل، ودامت اللجنة في تهامة قحطان وما حولها شهراً واستخدمت الطائرة الهلكبتر والسيارات والدواب والمشي على الأقدام، قامت اللجنة بدراسة الأوضاع الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والصحية، تقع تهامة منطقة عسير على المنحدر الغربي لسلسلة جبال السروات في ساحل البحر الأحمر؛ وتهامة قحطان: هي الجزء الجنوبي من تهامة عسير؛ ويبلغ سكان تهامة قحطان نحو: عشرين ألف نسمة، وأهم قبائلها: قبيلة آل يزيد؛ وآل محيور؛ وقبيلة جنب ابن سعد؛ وسكان تهامة: بدو رحل يرعون الأغنام والبقر والجمل والقليل منهم يزرعون ساحات صغيرة من الأرض؛ ويعيش الأغلبية العظمى في عزلة تامة؛ خاصة من يسكن بطن تهامة؛ وتبدو ظواهر التخلف بمعناه العام؛ فالجهل المطبق بأمور الدين يكثر ويقل في مواطن دون أخرى، إلا أن تهامة قحطان غطت على جميع المستويات من حيث الجهل المطبق مما أدى بهم إلى مخالفات شرعية نذكر منها:

١ ـ الختان بطريقة الصلخ لبعض الذكر أو كله أو ما ينبت عليه الشعر.

٢ ـ يأخذ بهم الجهل إلى الإصغاء إلى ما يقول السحرة ومن يضرب بالحصى والرمل.

٣ ـ عقود النكاح؛ يقول الولي: حللت لك بطنها وظهرها ومالها وهذا هو العقد.

٤ ـ لا يوجد مساجد ولا تجمع لجمعة وجماعة إلا عدد يسير.

٥ ـ الإعراض عن تعلم الدين أو تعليمه واحتقارهم لمن يطلب العلم.

٦ ـ جهلهم بمشروعية زكاة الفطر وعدم ذكرها عندهم.

٧ ـ ذبح عدد من الأغنام في حال تجهيز الميت؛ ونيتهم إكرام من ساهم في تجهيزه.

ومن الناحية الصحية: فيكثر فيها الملاريا والسل والبلهارسيا؛ عادت اللجنة بعد أن ملئت أوراقها للتقارير والمقترحات والمرئيات حول منطقة عسير عموماً وتهامة قحطان خصوصاً؛ وكانت هذه اللجنة كونت بطلب من سمو أمير المنطقة والذي شمر عن ذراعيه لمتابعة مقترحات اللجنة؛ فكانت أبها ومخططاتها بلد السياحة ومركز السائحين؛ والتحمت منطقة عسير بأنفاقها وطرقها البرية ومخططاتها العمرانية مما جعلها منطقة استثمار وارتفع نسبة سكانها إذ لم تكن أبها للعسيريين بل هي لسكان المملكة ودول الخليج.

نجـــران

هي الواحة الخضراء في شرق جنوب الجزيرة العربية؛ ذات النخيل الباسقة والأثمـــار اليانعة والفواكه الطازجة؛ تمتد جذورها في أعماق التاريخ: بلاد جرهم الأولى؛ دانت بالوثنيـــة واعتنقت اليهودية وأصبحت بلاد النصرانية حتى جاء الإســـلام؛ فكان بلداً إســـلامياً إلى يومنا هذا؛ وإن بقي فيها من آثار الديانتين نزر فقد انقشـــعت تلك السحائب وأشرق نور الإسلام فدانوا بالإســـلام وهاجر منها من لا يدين بغير الإسلام ؛عرفها اليونان عن طريق القوافل لتجارة البخور والتوابل من اليمن الســـعيد؛ وتعود محملة بمنتجات فارس وســـيوف الشام مارة عبر نجد ثم نجران؛ وبعد امتداد سلطان الرومان على مصر وســـوريا وفلســـطين صدر أمر التنصير علـــى والي مصر لغزو الجزيـــرة العربية؛ وصل الغزو إلى نجران بعد عام وقد اعتنقت الإمبراطورية المسيحية واهتم بنشرها القيصر قسطنطين؛ فانتشرت النصرانية لبعث الدعاة والمبشـــرين وأسســـوا الكنائس في عدن وضفار وسقطرا ونجران؛ واعتنقت الحبشة المسيحية وساهمت في نشرها وكانوا أهل نجران قبل ذلك أهل شرك يعبدون الأوثان؛ وفيهم ساحر يعلم غلمانهم فبعث الثامر ابنه عبدالله لتلقي علم الســـحر غير أنـــه يمر على صاحب خيمة أعجب بمـــا يرى من صلاته وعبادتـــه؛ وكان الملك على دين اليهودية وقد خير من كان على غير دينه: إمـــا اليهودية؛ وإما القتل؛ فاختـــاروا القتل فخد لهم الأخدود وألقاهم في النار إلا من دخل في دين الملك؛ وأهل نجران عرب قبل أن يكونوا نصارى؛ وقـــد اختاروا وفداً من الأســـاقفة والأحبار والرهبان إلـــى المدينة وقصدوا النبي ﷺ فقال: الأســـقف يا أبا القاسم موسى من أبوه؟ فقال: «**عمران**» فقال: فيوســـف؟ قال: «**يعقوب**» قـــال: أنت من أبوك؟ قال: «**عبدالله بن**

عبدالمطلب» قال: عيسى من أبوه؟ فسكت الرسول ﷺ حتى نزل عليه الوحي: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] فنزا الأسقف ثم دير به مغشي عليه؛ عاد وفد نجران وقد أخذوا صورة وضيئة عن الإسلام مهدت للتعرف على الدين الجديد لأهل نجران؛ وفي سنة عشرة للهجرة بعث رسول الله ﷺ سرية قوامها أربع مائة مقاتل إلى نجران بقيادة خالد بن الوليد.

وأخبره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا فذاك ؛وإن لم يفعلوا فقاتلهم؛ فأسلم الكثير من الناس فأقام خالد يعلم من أسلم؛ وكتب إلى رسول الله ﷺ وأخبر بإسلام من أسلم؛ فكتب إليه رسول الله ﷺ بأن يقبل ويقبل معه وفدهم؛ فأقبل خالد ومعه وفد كبير على رأس قيس بن الحصين وبعد أن اسلموا ومكثوا أياماً أمر عليهم قيس بن الحصين؛ وصرفهم فرجع الوفد إلى نجران فلم يمكثوا إلى أربعة أشهر حتى وافاهم الخبر بموت رسول الله؛ ﷺ فأرسلوا وفداً إلى أبوبكر ليجددوا عهدهم فكتب لهم الصديق كتاباً وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه أجازهم على أنفسهم وملتهم وسائر أموالهم توفي أبوبكر وعامله عليهم جرير بن عبدالله فأقره؛ عمر ثم بعث بعلي بن أمية لإجلاء نصارى نجران عملاً بوصية النبي ﷺ في مرضه وبوصية أبوبكر لعمر.

هذه شذرات عن تاريخ نجران إلى عهد الخلافة الراشدة؛ في سنة تسع وثلاثين بعث معاوية جيشاً إلى صنعاء فمر بنجران وقتل شيعة علي؛ وبعد قتل علي كانت العاصمة دمشق؛ واكتفى معاوية بوالي في الحجاز وآخر في تبالة وثالث في صنعاء ونجران؛ وجاء العهد العباسي وعاصمتهم بغداد فلم يولي جنوب الجزيرة اهتمامهم؛ فكان كل منطقة يحكمها أمير منها؛ وفي عهد المهدي بن المنصور بعث عمال إلى صنعاء حينما شعر بضعف نفوذ العباسيين وسطوة أمراء محليين وكأنه لا سلطة للخلافة عليهم؛ وزادت

الهوة في عهد الفتنة بين المأمون والأمين وكانت نجران تميل إلى العباسيين وظلت نجران في دوامة الأحداث والحروب؛ حتى العهد العثماني الأول من تسعمائة وخمس وأربعين إلى ألف وخمس وأربعين. نسأل الله أن يهدي من ضل؛ ويوفق المهتدين بالتمسك بما هم عليه والله أعلم.

جازان أو جيزان

كلاهما مستعمل والأول أصح؛ في شهر ربيع الأول من عام ١٣٧٦هـ كان نزولي إلى جازان من أبها بطائرة تذكرتها بثلاثين ريالاً؛ تسهيلاً للمواصلات من تهامة إلى السراه؛ كان المطار ترابي لم يزفلت والتوصيل من المطار إلى البلد بوسائل الركاب الخاصة؛ وكان من حسن الحظ وطالع السعد أن رأيت شاباً توسمت فيه أنه من أهل القصيم؛ ومعه سيارة فارهة نسبياً إذ ليس في المطار سوى سيارات الددسن والتايوتا الصحن؛ تعرضت عليه لعله يأمرني بالركوب فلم يفعل؛ وكان معه راكباً واحداً جاء لاستقباله ففتحت باب السيارة وركبت وقال: إلى أين؟ فقلت: إلى بيتك؛ أتريد أن تتركني في الصحراء وقد أخذ الناس مراكبهم وأبقى وحدي؛ سألني من أين؟ وإلى أين؟ فأخبرته وعرفت أنه من أبناء الشيخ زامل الصالح الزامل من أهل عنيزة؛ ممن يقيم في جيزان عرفت والده في مجلس الشيخ عبدالله بن يوسف في أبها؛ فهو في الشتاء يكون في جيزان وفي الصيف يكون في أبها؛ وقد أنعم الله عليه بالثروة إذ كان من أعيان التجار منذ عهد بعيد في منطقة جازان؛ مكثت خمسة عشر يوماً بضيافة الشيخ حافظ حكمي وتجولت معه في مدن المنطقة وعدت إلى الرياض؛ بعدها تكررت زيارتي للمنطقة في مهام رسمية وزيارات شخصية وقد كتبت عنها في كتابي الصغير: «المثال من الرجال» الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي فأكتفي بما كتبت؛ غير أنني كنت في مهمة رسمية عام ١٤١٥هـ في منطقة فيفا الجبلية بقيت بها ثلاثة أشهر وكتبت عنها تقريراً ضافياً أستخلص منه النقاط التالية:

أولاً: أهمية المنطقة وتتمثل في أمور:

أ ـ موقعها في الحد الجنوبي في المملكة مما يلي اليمن؛ ومن الطبيعي

تداخل القبائل اليمنية والسعودية وتشابهها في النطق والعادة؛ بل يتجاوز ذلك إلى أمور عقدية وتعبدية بحكم تقادم الزمن وكثرة الوافدين من علماء الزيدية وسادتها؛ وعامتهم من المتأكلين لا المتوكلين في طريقهم إلى الحج والعمرة ومزاولة الأعمال الحرفية والتجارية؛ ولهذا يتطلب الأمر حماية المواطن السعودي من تسربات سلوكية وعقائدية وفكرية مما هو موجود باليمن؛ زيادة على هذا فإن الإعلام اليمني وإن لم يبلغ حد التأثير لتفاهته وعدم أهميته إلا أن له خطره وخاصة برامج التلفزيون والإذاعة.

ب ـ وحدة القبائل تحت إمرة واحدة يدعى بشيخ الشمل يمتلك التأثير على المجموعة؛ وتحت شيخ الشمل معرفين يدعى كل منهم الشيخ فلان لفخذه أو قبيلته؛ وفي فيفا بالذات خمسة وعشرون شيخاً يرجعون لشيخ واحد هو: حسن بن علي؛ لا يتجاوزون توصياته ومشورته؛ وشيخ الشمل: هو نقطة الاتصال بين الجهات الرسمية وبين كافة القبائل في أغلب الأمور إلا ما شذ وندر؛ وكان لهم طرائق وشرائع جاهلية تلاشت بجهود الدولة السعودية والقضاء الشرعي ولم يبقى إلا اليسير من ذلك.

ج ـ خصوبة الجبل وصلاحية تربته لغرس الأشجار المنبهة كالقات والبن وسائر أشجار الفواكه؛ فمنذ ستين سنة بدأت شجرة القات تأخذ في طريق الازدهار والاتجار بها علناً وهي مما يباح عندهم والاتجار بها؛ شأنها شأن البن مما جعل البعض يوصي بالإنفاق منها بعد موته؛ ويخرجون زكاتها كالحبوب والثمار؛ وتعمر منها المساجد يبتغون بذلك وجه الله؛ والقات اليوم هو نشوة المترفين ويتهافت عليه الفقراء والمساكين؛ وقد يستعمله من ليس من أهله من الوافدين؛ ونسمع أنه يتسرب إلى مدن المملكة؛ وبهذا التشجيع الاستهلاكي تطورت زراعة القات وطرق ترويجه؛ تصل قيمة الشجرة الواحدة في السنة من ألفين إلى خمسة آلاف ريال؛ وهذا مورد لا يستهان به عندهم؛ علماً بأنه أقل الأشجار كلفة بل لا كلفة فيه البتة غير

السقي القليل وقطف أوراقه والتسويق؛ علماً بأن هذه الشجرة ليست خاصة بجبل فيفا وإن اشتهرت به إلا أن قمم الجبال كذلك مثل جبل الحشر والقهر وبني مالك؛ وقد تنبأت الدولة بخطورة هذه الشجرة وكونت هيئة تطوير منطقة فيفا وبني مالك منذ عام ١٣٩٦هـ وبدأ العمل بها عام ١٣٩٨هـ والعمل جار في إزالة هذه الشجرة بطرق الإقناع والإفهام وإظهار مخاطرها واستبدالها بالأشجار النافعة؛ وقد وافقت قبائل بني مالك على إزالتها؛ أما فيفا فلا يزال الأمر في تدرج؛ نرجو الله أن يعين القائمين على الهيئة على ما كلفوا به من أداء الواجب.

ثانياً: الإشارة إلى بعض المرافق الحكومية:

أ ـ الأمن والحماية: ليس هناك ما يهدد الأمن ولا يخل بتوازن المجتمع من استقراره وثباته ومزاولة أعماله كأي قطر من أقطار المملكة؛ ومع هذا فإن الجهات الأمنية أثبتت حنكة في ضبط الحدود وحماية الثغور؛ وتتمثل في الحاكم الإداري: أمير المنطقة؛ ومراكز الإمارات المتعددة؛ ثم الأمن العام في دورياته؛ ومراكز الشرطة: وهي الجهة التنفيذية بعد صدور الأحكام؛ ثم المجاهدين المتواجدين في كل مرفق حساس وممرات الطرق المهمة؛ ثم سلاح الحدود على قمم الجبال وفي السهول والوهود؛ نسأل الله أن يجعلها قوة خير وبركة لحماية الدين والوطن ولله الحمد والمنة؛ وجاء ذكر هذه المرافق لأنها بحاجة إلى التوعية والتعليم الديني؛ ولا ننسى ما للحرس الوطني من ثقل في المنطقة بأغراضه المهمة.

ب ـ التعليم: يغلط الكثير ممن يظن بأن جبل فيفا في جهل وجاهلية وافتقار للخدمات الأولية؛ أقول لعل هذا قبل سنين ماضية أما اليوم فإن التعليم للبنين والبنات إلى مرحلة ما قبل الجامعة ظاهر لا يخفى على ذي عين؛ ففيه المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام؛ وثانوية المعارف؛ ومدارس متوسطة وابتدائية؛ على قمم الجبال وسفوحها؛ تستوعب البنين والبنات

الراغبين في التعليم؛ ومن حيث القدم فأقرب دليل فضيلة قاضيها سابقاً: الشيخ علي قاسم الفيفي الذي أمضى في القضاء قرابة الثلاثين عاماً؛ ومثل الدكتور سليمان الفيفي وكلاهما قاضيان في محاكم التمييز؛ لذا فإنه لا مجال للقول بتخلف أهل فيفا في التعليم والأخذ بأسباب التقدم.

ج ـ في ما يتعلق بخدمات المواطنين: فقد حدثني بعضهم: أن هناك ما يزيد على خمسة وثلاثين مرفقاً في خدمة المواطنين؛ وقد رأيت ملاعب الأطفال في حدائق عامة؛ ومسلخ لخدمة المواطن مجهز للبلدية؛ وقد سألت من فيه عن عدد ما يذبح كل يوم؛ فقال: لا شيء إذ جرت عادة الناس قديماً وحديثاً أن يذبحوا في بيوتهم؛ وقد خصصت بالذكر حدائق الأطفال والمسلخ لعدم الحاجة إليها في مثل هذه الجبال؛ أما المرافق العامة كالصحة والكهرباء والتليفون فقد أخذت شوطاً شأنه شأن مدن المملكة؛ كما قد بلغ عدد المساجد الجمع: خمسة وأربعين مسجداً في جبل فيفا تابعة لوزارة الأوقاف؛ وأربعمائة مسجد عادي؛ وعلى العموم: فإن جبل فيفا أخذ الكثير مما جعل غيرهم يتطلع إلى مثل هذه الخدمات الضرورية في حياتهم؛ وبالأخص الطرق ومسح الخطوط للمواصلات؛ حيث أن هيئة التطوير اقتصرت في مشارعها على جبل فيفا ثم أضيف إليها جبال بني مالك؛ أما بقية الجبال فهي تتطلع ما حظيت به جاراتها وبخاصة الخدمات الضرورية كالصحة والطرق والكهرباء وغيرها.

مكة المكرمة

كيف يجوز لي أن أتحدث عن أم القرى؟ مهوى أفئدة العالم الإسلامي منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً وملتقى المسلمين؛ فليست مكة بهذه النكارة ولا هي مما تجهل في العمران والحضارة؛ ولكنني أتحدث عن مشاهداتي المحدودة في أول زيارة لها عام ١٣٧١هـ حين كانت مكة المكرمة في بداية الطور الحديث؛ فأول حديث سمعته ثناء الناس على الملك عبدالعزيز حين أمر بتسقيف المسعى بالشينكو (الزنك) ليستظل من في المسعى من الساعين والمتاجر في حافتي المسعى؛ ثم أمر الأمير فيصل نائب الملك في الحجاز بهدم وإزالة أماكن البسطة في جنبتي المسعى؛ حيث أن الكثير من أرباب الدكاكين يفرشون مباسطهم خارج الدكاكين عند الأبواب حال البيع؛ وكان المسعى آنذاك لا يتجاوز عرضه في تقديري ثمانية أمتار إلى عشرة أمتار؛ والمارة يقطعون المسعى على أرجلهم وعلى الدواب فيزاحمون في المسعى من الحجاج إلا أنه لا زحام يذكر؛ والكلاب والحمر والدواب كسائر من يمر في المسعى وربما استقرت به؛ حتى كان ذلك مثلاً في الرجل الذي لا يفارق مكانه في قولهم (كلب المسعى) لا سيما بعد أن أصبح المسعى مظللاً كأني أراه وقد صبغ بالبوية الخضراء؛ والناس يرفعون رؤسهم للتعجب من ارتفاع السقف وهو لا يتجاوز ستة أمتار هذا في المسعى.

أما آبار الوضوء فإن أشهرها: الشامية شمال الحرم؛ يتسع فوة البئر إلى أكثر من خمس دلاء للمرة الواحدة وليست عميقة بل هي في حدود ثلاثة أمتار؛ لا أدري هل هو عمق البئر الطبيعي؟ أم هي عين من زبيدة؟ ويجري الماء بمصارف مخصصة حتى أشبهت البئر؛ وهو الأظهر لصفاء مائها وقربه وديمومته؛ وأكثر السقائين من اليمنيين وعند كل بئر أماكن

للاغتسال والاستنجاء؛ وهذه الأبار لسقيا أهل مكة وبيع الماء على البيوت وفي كل بيت مخازن مياه تتسع لأربع صفائح أو ست وتسمى كل تنكتين زفة وقيمتها أربعة قروش ولكل تنكة قرشان؛ ومما لا أنساه أن حراج الحلقة بيع الخضار يحرج فيه بالمزاد العلني بالهلل والريال مئة هلله عشرون قرش؛ فيقال: ألف وألفين وثلاثة والألف عشر ريالات والألفين عشرون ريال وهكذا؛ ويمكن للحاج أن يشتري نصف رغيف من الخبزة ولا حرج في ذلك بل هو أمر معتاد؛ ولقد أحسنت الدولة حينما أمرت بتعبئة براميل من الأبار للوضوء وقت الصلاة وغير وقت الصلاة؛ فإن الباعة يستغلون حاجة الحاج للماء فيبيعونه عليهم بالهلل وربما أخفوا الدلاء حتى لايقوم الحاج لجذب الماء لنفسه من البئر.

أما داخل الحرم مما هو عالق في ذهني: تلك المقامات الحنفي؛ وهو أكبرها؛ ويقع شمال الكعبة؛ ويتزاحم عليه المصلون من الهنود والأتراك ومن هم على مذهب أبي حنيفة؛ والحنبلي: وهو أصغر المقامات غربي الكعبة؛ ولا متنافس عليه إذ أن حنابلة نجد لا يعترفون بمشروعية الصلاة عنده؛ ثم المالكي والشافعي ولها بنايات مسقفة مقببة والهواء من جميع الأربع جهات؛ ومما قيل: أن الدولة العثمانية أقرت هذه المقامات؛ ولكل مذهب إمام؛ وقد هدمت هذه المقامات في العهد السعودي وهدم القول بإمامة كل مذهب في مقامه كما أن مقام إبراهيم بنية أشبهت بنية المقامات الأربع شرقي الكعبة؛ وكان بجوار الكعبة وتحت الباب ما يسمى بحفرة التوبة وهو الملتزم؛ ولعل هذا كان مكان مقام إبراهيم فأزاحه عمر توسعة للطائفين وبقيت هذه الحفرة سموها حفرة التوبة؛ وهي تسمية من العامة وليست من المأثور.

كان الحرم مفروش بالحصباء؛ ولعلها تؤخذ من الجمرات بعد غسلها واختيار ما كان منها مناسباً لفرش المسجد الحرام في الصحن خاصة؛ أما

الداخل فهو مفروش بالزل التركي الممتاز قد تطول الواحدة إلى عشرة أمتار حتى لا تسرق ويثقل حملها؛ ومن الأئمة الذي يعجب الناس لحنه في القراءة: الشيخ عبدالله الخليفي؛ حيث كان يصلي في الأوقات والتراويح بالتعاقب مع الشيخ أبي السمح وقد اشتهر من مدرسي الحرم: السيد علوي المالكي وله حلقة كبيرة وأكثر المستمعين له من أهل مكة واليمن؛ وكانت السقيا بالجراك الصغار يطوف بها السقا ومعه آنية من النحاس الأبيض في حجم الكف ويبيع الماء على المصلين؛ كما كان الكثير من الهنود يحملون مراوح يدوية من الخوص والجريد ليروحون به على المصلين؛ وغالباً لا ينصرف حتى يعطى شيء من القروش؛ وبئر زمزم عليه الدلاء ويجتذب الماء للسقيا والبيع؛ وفي عام ١٣٧٤هـ كان لي شرف الرفقة والصحبة لأسرة ملكية مع المطاوعة؛ والمطاوعة: حفاظ القرآن الكريم من العميان يكونون في القصور الملكية للتلاوة والصلاة يحتفون بهم ويحجون بصحبتهم؛ في ذلك العام لا زحام وإن كان الناس قد تخلو عن الدواب إلا اليسير فقد يحج البعض على الحمر لا سيما التصعيد إلى عرفات؛ ولم يتغير شيء من معالم الحرم كما كنت أعهده عام ١٣٧١هـ إلا أن مشروع توسع الحرم في عهد الملك سعود بدأ بهدم الصخور وهدم الجبال مما يلي جبل أبي قبيس؛ هذه لمحة عن مكة المكرمة مما في الذاكرة وهي كما قلت مهوى أفئدة المسلمين وقبلتهم؛ ولا أحصي عدد زيارتي لمكة المكرمة ولكن كان بدايتها هذا العام وإلى تاريخه ومكة كما هي في القلوب ربما نزورها في العام مرتين في رمضان وفي الحج وفي أشهره.

المدينة المنورة

لم يكن لي إقامة في المدينة ولم يكن لي معرفة بسهولها وجبالها ولا بأناسها وإنما كان الزيارة لمسجد رسول الله ﷺ والسلام عليه؛ غير أني في مقتبل عمري؛ لعل ذلك عام ١٣٧٥هـ؛ كنت مع فتية من طبقتي من زملائي في المعهد العلمي في الرياض زرنا المدينة ونزلنا في دار الحديث؛ وشيخها الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي واجتمعنا لعدد من الطلبة الغرباء من الآسيويين والأفريقيين؛ وكانت دار الحديث لا تبعد عن المسجد النبوي سوى خطوات تعد بالأمتار أو الأذرع؛ تكررت زيارتي للمدينة كتكررها لمكة المكرمة؛ وفي تلك السنين فجوة بين أهل نجد وأهل الحجاز فلا عشرة ولا وآم؛ لا سيما أن أهل نجد ينكرون المنكر ويزيدون في الإنكار ويمارسون ما ينكره أهل الحجاز؛ فكان البعض منا يدخل المسجد بنعليه وربما صلى بها عملاً بالحديث «**خالفوا اليهود صلوا بنعالكم**» ويشتد الخصام وتظهر الكراهية بين المتخاصمين؛ ومع أن القلب يحنوا على تلك البقاع لما فيها من الطمأنينة والآثار النبوية؛ لم يكتب لي بها استقرار غير الزيارة الشرعية لذا أعتذر للقراء عن كتابة شيء للمدينة المنورة من ذكريات؛ غير أنه في عام ١٣٩٥هـ قمت بمهمة ضمن لجنة بأمر من الملك فيصل ممثلاً رئاسة البحوث العلمية والإفتاء وعضوية الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ورئاسة تعليم البنات؛ ومما وقع لي وزميلي في اللجنة الشيخ عبدالله الرشيد وكيل رئاسة تعليم البنات: أنه تم استقبالنا في مطار المدينة من جهة الجامعة الإسلامية وأنزلنا السائق في فندق وقال: هؤلاء ضيوف الجامعة الإسلامية؛ وكنا في الفندق مدة اجتماع اللجنة عشرة أيام والفندق يقدم لنا الوجبات الثلاث (العشاء والغداء والإفطار) بكل سخاء مع ما يقدمه من المرطبات

والفواكه في الظهيرة؛ وبعد إنهاء المهمة عدنا إلى الرياض؛ وطالب الفندق الجامعة الإسلامية بتسديد فواتير الضيوف سكناً وإعاشة؛ فاعتذرت الجامعة لأننا لم نعمد تعميداً رسمياً باستضافة الشيخين إسماعيل بن عتيق وعبدالله بن رشيد؛ وبعد مدة وجيزة جاءنا خطاب من الفندق واسمه (فندق التيسير) يطلب تسديد الفواتير لأن الجامعة لم تعتمد استضافتنا على حسابها؛ وكان الانتداب لا يتجاوز سبعين ريالاً في اليوم الواحد بينما تكلفة السكن والإعاشة تجاوزت مئة وعشرين ريالاً وسددنا الفواتير حسب الطلب؛ وأسفنا بسوء التفاهم مع من أسكننا في هذا الفندق ومع معاتبة الفندق لِمَ لم يسأل الجامعة ويتأكد رسمياً عن استضافة هؤلاء.

وتذكرني هذه الحادثة بقصة رجل رأى شاباً صغيراً فقيراً وقال: أتريد أن أحلق لك رأسك؟ فقال: نعم، فأخذه للحلاق وقال: احلق له رأسه بينما أعود إليك؛ فحلق له رأسه وقال للصبي: انتظر حتى يأتي أبوك وقال: الصبي ليس هو أبي ولا أعرفه وإنما قال لي: سأحلق لك رأسك فوافقت على ذلك.

هذا وفي عام ١٤١٧هـ تم زيارة المدينة بمعية وزير الشؤون الإسلامية الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي مع مجموعة من المشايخ الدعاة؛ حيث أعد لنا برنامج لمدة شهر نطوف بها قرى المدينة المنورة بالتذكير والوعظ والإرشاد؛ وكنا نشاهد العجب العجاب من البادية وأطراف المدينة وما هم عليه من عدم فقه في التوحيد ومقاصده؛ أعددنا بذلك تقريراً مفصلاً وكان نصيبي منطقة النخيل إلى الحناكية بمعية أخي الفاضل الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل؛ كما كان وزير الشؤون الإسلامية يندبني دائماً للمهمات الرسمية ومشاركات في المدينة المنورة؛ ومنها حضور افتتاح أوقاف الداوودية في المدينة المنورة.

وهذا والله أعلم.

تبوك

ليس هناك ما يستدعي سفري إلى تبوك لبعدها وانقطاع المصالح والارتباط بها وبين أهلها إلا أنني كلفت بمهمة هي من أهم المهام بعد الحادث الشنيع والأمر الفظيع؛ الذي قامت به طغمة فاسدة ألحدت في الحرم المكي الشريف وأرصدت أبوابه سبعة عشر يوماً لا يؤذن فيه؛ تنبؤ بالمهدي المكذوب محمد بن سعيد القحطاني بزعامة جهيمان بن سيف العتيبي الجاهل؛ فكانت فتنة طار شعاعها ولهب نارها في مكة وخارجها؛ وكان ردة فعل لدى الدوائر الرسمية عن المنتسبين للدعوة المنتمين للسلفية؛ ومن زعم أنه من أهل الحديث جهالة وظلالة وفسوق وإلحاد في الحرم الآمن راح جراءها خلق كثير من القتلى؛ حتى حمى الله مسجده ونزهه وحماه بقتل الخوارج وما هم بخوارج؛ ولكنه الطيش والجهل؛ أحلام ورؤى جعلوا منها حرباً ضد الإسلام والمسلمين؛ انتدبت من وزارة الدفاع والطيران بعد تلك الأحداث الدامية إلى تبوك حيث المرابطين والقائمين على الحدود الجغرافية مما يلي الأردن وإسرائيل ومصر؛ وهي: منطقة عسكرية لأجل؛ تهدئة الأحوال وإبراز حقيقة ما قام به الجهال؛ لا سيما وأن الكثير منهم بادية قد تأخذ بعضهم عزة العنصرية والنخوة الجاهلية بطلب الثأر أو الرضا عما فعلوه؛ فكانت مهمة في غاية الحساسية أجملت الحديث في محاضراتي ولقائي؛ من غير تعمد إلى صلب المهمة أو إثارة البحث فيها؛ فكان الكلام على أصول الإيمان وقواعد الإسلام وربما كان هناك حديث على انفراد بين الخواص من طلبة العلم والمحبين بإظهار الحقيقة؛ أمضيت مهمتي في ضيافة وزارة الدفاع فرع تبوك بالتعاون مع الجهات المعنية؛ وحيث الأمر لا سرية فيه فإني أدرج تقريري ضمن كتاباتي عن تبوك؛ فلعل بها فائدة للقارئ

والمستطلع؛ كما قمت بزيارة أخرى بمعية وزير الشؤون الإسلامية الدكتور عبدالله التركي في جولاته على المناطق؛ كتبت عن هذه الرحلة أسطراً تلي هذا التقرير.

الحمد لله وحده وبعد...

ففي يوم الاثنين الموفق ٧/ ٧/ ١٤٠١هـ كان وصولي إلى مدينة تبوك حيث كان في استقبالي حضرة الأخ العقيد أحمد الحذيفي مدير فرع مكتب الشؤون الدينية؛ وبعد استراحة في الضيافة العسكرية جرى التشاور مع العقيد في معالم البرنامج ولمدة سبعة أيام فكان كالتالي:

أولاً: الزيارات الفردية واللقاء بالمسئولين داخل المدينة وخارجها.

ثانياً: إلقاء المحاضرات على كافة المعسكرات حسب ما يسمح به الوقت.

ثالثاً: تلقي الأسئلة والإجابة عليها عقب كل محاضرة.

رابعاً: صلاة الجمعة وتولي الخطبتين داخل المدينة العسكرية، وفيها تفصيل البرنامج والذي تم تنفيذه بحمد الله؛ ثم المرئيات والمقترحات حول مستقبل العمل ولوازمه الضرورية والختام.

فنحمده ـ تعالى ـ إذ هيأ لنا هذا الجو المناسب والاستعداد ولتقبل النصيحة والعمل بها وصلى الله على محمد.

تفصيل البرنامج:

١ ـ كان أول لقاء بالمسئول الأول في المدينة العسكرية اللواء فالح الظاهري؛ وكان هو البادئ بالزيارة في مقر الضيافة جزاه الله خيراً؛ وقد جرى الحديث معه في أهم المواضيع التي ينبغي التعرض لها والحديث عنها في أثناء المحاضرات؛ وتم الاتفاق على أن أهم ما ينبغي التحدث عنه: هو ضعف الإيمان في النفوس؛ أو ما يسمى بالخواء الروحي لدى الناس عموماً؛ ثم موضوع آخر: وهو الاسترخاء والإهمال في عدم الاحتساب

في أداء الأعمال؛ إلى حد يجعل الإنسان لا يؤمن بشيء اسمه أجر وثواب عند الله في أداء العمل والالتزام بالواجب الوظيفي؛ ما لم تشتد عليهم الأوامر وتحكمهم الأنظمة؛ وهذا خلاف طبيعة المسلم وما يجب أن يكون عليه المسلمون؛ ووجدت من سعادة اللواء الظاهري بشائر الخير وما يتحلى به من أخلاق ونبل كما هو مفقود كلياً وجزئياً لدى الآخرين؛ بارك الله فيه وأكثر من أمثاله.

ب ـ وبمعية اللواء النقيب الحذيفي كانت زيارتنا لسمو أمير منطقة تبوك بعد صلاة الظهر؛ كان سموه قد فرغ من كثير من الأعمال؟ تحدث سموه وأسهب عن زياراته للدوائر الحكومية وتفقده أثناء الدوام سير الأعمال؛ جعله الله من ولاة الخير ومن عباده الصالحين؛ وودعنا سموه بعد جلسة لا تمل وحديث شيق لا يكل.

ج ـ كما تمت زيارة العقيد قائد لواء الملك عبدالعزيز الآلي في مكتبه؛ حيث استدرج بنا الحديث إلى الديانات المسيحية والبوذية وما تعانيه من أزمات روحية؛ وما في الديانة الهندوكية من طبقات لا يرضاها الضمير ولا يقرها إنسان؛ لنخلص من ذلك إلى أن الإسلام هو الشامل الكامل لكل متطلبات الإنسان في الحياة.

د ـ كما تمت زيارة قاعدة مركز المستجدين؛ حيث تحدث القائد عن المركز وأهميته ومراحل تدرج المستجدين إلى أن ينخرط في السلك العسكري ويوجه على حسب استعداده وقدراته.

هـ ـ كما تمت زيارة فضيلة رئيس المحاكم الشرعية الشيخ عبدالكريم السديس؛ ومساعده الشيخ عبدالعزيز الحميد؛ وكان الحديث يدور حول العمل الإسلامي وما يجب أن يكون عليه.

و ـ كما تمت عدة لقاءات واجتماعات بالإخوة ضباط التوعية المنتظمين في سلك العمل الإسلامي؛ وهم يحملون رتباً عسكرية وعددهم ستة

بجانبهم مدير الفرع؛ استأنسنا بآرائهم وتجاربهم في العمل الإسلامي داخل المدينة العسكرية.

ز ـ كما تم اللقاء مع عدد من الأفراد المدنيين والذين لهم جهد محب للعمل الإسلامي كأمثال الأخ محمد الحربي؛ والذي له تأثير ونشاط ملموس في توجيه المصلين وبعض منسوبي الوزارة وفق الله الجميع لكل خير.

٢ـ المحاضرات:

أ ـ تم إلقاء محاضرة في اللواء الآلي لواء الملك عبدالعزيز؛ وكان الموضوع يدور حول مراتب الدين الإسلام والإيمان والإحسان؛ وتم التركيز على تفسير التوحيد وصلته بكافة الأعمال التعبدية؛ استغرقت ساعتين من الزمن؛ استمعنا بعدها إلى عدة أسئلة وكان الاجتماع حافلاً والجمع غفير؛ نفع الله الجميع.

ب ـ مركز المستجدين: جرى التحدث معهم ولمدة ساعتين في العوامل الثلاثة لتكوين الفرد المسلم: سلامة الروح؛ وسلامة البدن؛ وسلامة الفكر.

ج ـ مدرسة المظلات: كان الاجتماع بعد صلاة المغرب جرى التحدث معهم في أنواع الظلم الثلاثة: ظلم العبد لنفسه؛ وظلمه لغيره؛ والظلم الأكبر: الشرك بالله؛ والحديث يدور على تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

د ـ كما تم اللقاء بقوة السلام: وهي الكتيبة اليمنية؛ وكان موضوع المحاضرات: الجوانب الثلاثة لتكوين الأمة المسلمة؛ جانب الشعائر؛ وجانب الشرائع؛ وجانب الحكومة المسلمة؛ فتح الله على المتحدث وأفاض في هذه الجوانب الثلاثة كما عسى أن ينفع بها الله الجميع.

هـ ـ قيادة المظلات: كان الموضوع حول الأصول الثلاثة معرفة العبد ربه ودينه ونبيه.

و ـ مدرسة المدرعات: وكان اللقاء بين المغرب والعشاء؛ وتم التحدث عن ما قاله علماء التربية: أن الشيخ يتحدث عن الماضي؛ والمتوسطي الأعمار يتحدث عن حاضره؛ أما الشباب فإنه يتحدث عن المستقبل؛ ثم تم التركيز على عوامل النجاح في المستقبل حيث كانت المدرسة تضم شباب في مستهل العمر.

ز ـ قيادة الدفاع الجوي؛ وكان موضوع المحاضرة عن أهمية الزمن والحفاظ عليه؛ وأسباب نجاح المسلم؛ وتفسير سورة العصر.

٣ ـ صلاة الجمعة وتولي الخطبتين:

فكان موضوع الخطبة الأولى: التوحيد؛ ثم: الصلاة؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أما الخطبة الثانية: فموضوعها أنواع الشكر؛ وجرى التركيز على الشرك الأصغر؛ وهو الذي خافه النبي ﷺ على أمته.

هذا ملخص برنامج العمل والذي تم اتخاذه، نسأل الله أن ينفع بالجهد المتواضع؛ كما نسأله ـ تبارك وتعالى ـ أن يوفق القائمين على خدمة الإسلام والدعوة إليه.

المقترحات والمرئيات:

من خلال اللقاءات والتحدث مع المسئولين المدنيين والعسكريين؛ وصلتنا بالأخوة ضباط التوعية؛ ومن خلال الأسئلة والمشكلات الدينية تبين أن هناك فراغ نسبي ولا بد من ملئه وهو الفراغ الذهني عن التعليم الديني لربط الدين بحياة الجندي المسلم رباط حياة وممات؛ رباط مصير؛ ومستقبل رباط التزام وانتظام؛ لذا يمكن إبرام عقد الرضا والتسليم وعقد الوفاء والالتزام؛ لذا اتخذت الأساليب والطرق في تكليم الناس وهدايتهم سواء السبيل؛ وليس إلا الحكمة ووضع الشيء في موضعه وبعد هذا الديباج اقتراح ما يلي:

توفير الكتاب لكل قارئ ومستفيد؛ على أن تكون الكتب مختارة مما يتمشى مع الأهداف المنشودة؛ استعمال رسائل الإيضاح الممكنة والتي

تخـــدم الهدف بطرق يمكن هضمها وتصورها تصوراً كاملاً؛ وأعني بذلك: الاســـتفادة من النوادي الثقافية في المســـرحيات والمسرح المباح المثمر؛ وهي موجودة غير أنها لم تشغل.

المكتبة المرئية والمســـموعة وسيلة من وسائل إيصال المعلومات للذهن بلا نصـــب ولا تعب؛ وقد توفرت كثيراً من الأشـــرطة الدينية مما يمكن اختيار بعض منهـــا ولترويجها وإهدائها للأفراد والنـــوادي الثقافية والمكتبات؛ أما المرئية فيمكن بواسطة الفيديو وعرض ما يقع عليه الاختيار مما هو سليم أو العمل على إيجاد ما هو سليم ويخدم المصلحة.

الندوات في المســـاجد والنـــوادي والمكتبات المركزية أمـــر يتطلبه العمل الإســـلامي والتوعية الصحيحة؛ وتحل بواسطتها مشـــاكل دينية واجتماعية وربما سياســـية أيضاً؛ فيمكن إعطاء الحرية في السياســـة إذا كان الحاضرون على مستوى المناقصة والأخذ والعطاء.

الاستفادة من الإخوة ضباط التوعية بشكل تربوي وتحسس نقاط الضعف في الأفراد لتقويمها وعلاجها.

أوصي بالعناية بالمســـاجد والتي تتبع القيادة بالمنطقة الشمالية والتي تقدر بأربعين مســـجداً؛ من حيـــث الإمامة واختيار الإمـــام الصالح؛ والنظافة؛ وإعطاء الدروس الدينية لمبادئ الإســـلام وضروريات الدين الذي لا يســـع المسلم جهلها.

فـــي ختام هذا التقرير الموجز والمرئيات؛ أود الإشـــارة إلى أن من القادة ممـــن قابلتهم وتحدثت إليهم لهم وطنية رباطها الإيمان وعزيمة مســـتجدة في صلتهـــم بربهم؛ وما يجـــب الوفاء به لقائد المســـيرة المظفرة: جلالة الملك المعظم وحكومته الســـاهرة على خدمة الدين والمليك والوطن؛ أشـــكر من لاقيته وتعرفت عليه وسعى في تذليل الصعوبة ومد يد العون في نصرة دين الإسلام.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرحلة بمعية وزير الشؤون الإسلامية

الحمد لله وبعد. . . ففي يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ من شهر جمادى الأولى ١٤١٦هـ؛ هيأ الله لنا رحلة دعوية استطلاعية بمعية معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة إلى منطقة تبوك؛ وفي طائرة خاصة توجهنا في صباح ذلك اليوم ولمدة ساعتين كان الطيران من الرياض إلى تبوك؛ حيث كان في الاستقبال جمع كثير من الأعيان والعلماء والقضاة؛ في فندق صحارى تبوك كان نزولنا الساعة التاسعة صباحاً؛ ومن رفقاء الرحلة فضيلة الشيخ صالح الفوزان؛ والشيخ عبدالله بن صالح القصير؛ ومدير مكتب معالي الوزير منصور البرغش؛ ورجل آخر من العلاقات؛ ثم توزيع البرامج على كل من: صالح الفوزان؛ وعبدالله بن صالح القصير؛ وإسماعيل بن عتيق بإلقاء محاضرات في المساجد والمدارس والمدينة العسكرية؛ أما معالي الوزير فقد كان له برنامج يخصه ومما تم في هذه الرحلة أولاً:

حضور حفل تخريج طلاب الجماعة الخيرية في مسجد الملك عبدالعزيز بتبوك؛ وبحضور سمو أمير المنطقة حيث تم توزيع جوائز المتفوقين والمتخرجين والدعوة عامة؛ كما حضر هذه المناسبة عدد من الشخصيات خارج مدينة تبوك.

ثانياً: تم عقد اجتماع خاص لمجلس الشورى للدعوة وهو يمثل أعضاء من المنطقة؛ باشتراك مدير الفرع بوزارة الشؤون الإسلامية ومن المحكمة والأمارة وبعض رجال أهل العلم في المنطقة.

ثالثاً: كما عقد اجتماع مع معالي الوزير للمجلس الاستشاري لأوقاف المنطقة؛ وهذان المجلسان تم تأسيسها بعد تكوين الوزارة.

رابعاً: زيارة جمعية الملك عبدالعزيز الخيرية والتي تقدم خدمات للمجتمع؛ وذكر مسؤول فيها أنها تدعم ستة مئة أسرة فقيرة بالمنطقة.

خامساً: زيارة شعبة الجاليات التي هي الأخرى تخدم الجانب الدعوي للوافدين من الجاليات.

سادساً: تم عقد اجتماع للدعاة والأئمة والخطباء في مركز الفرع بتبوك.

سابعاً: أما الدعوة الخاصة تكريماً لمعالي الوزير فهي كالآتي:

أ ـ دعوة سمو أمير المنطقة بحضور كبار الشخصيات من منسوبي وزارة الدفاع والأعيان والعلماء والقضاة؛ يقدر الحاضرون بمائة شخص.

ب ـ دعوة من جماعة تحفيظ القرآن في قصر الأفراح؛ حصل فيه إلقاء كلمات من معالي الوزير والشيخ صالح الفوزان.

ج ـ دعوة من مدير فرع الوزارة عبدالرحمن الغنام بقصر أفراح؛ حصل فيه إلقاء كلمات من معالي الوزير وفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

د ـ دعوة من فضيلة رئيس المحاكم بمنطقة تبوك الشيخ عبدالعزيز صالح الحميد.

هـ ـ دعوة من شركة تبوك الزراعية السعودية في مقر مشاريع الزراعة.

هذا ملخص ما تم في هذه الرحلة القصيرة؛ والتي بدأت صباح الثلاثاء وانتهت مساء يوم الخميس بالتاريخ المشار إليه؛ وكان في هذه الرحلة الدعوية الاستطلاعية خير كثير؛ استطلع معالي الوزير على ما يخص المساجد والدعوة والأوقاف؛ وهي ذات أهمية في برمجة أعمالها واختيار الأكفاء في إدارتها ورسم خطة العمل المستقبلية.

أما الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن فهي من روافد العمل وتحت إشراف الوزارة؛ ومثل ذلك مكتب شعبة الجاليات لدعوة الأجانب؛ وقد كان لمعالي الوزير الأثر في اللقاء للشخصيات العامة؛ ومنهم سمو الأمير فهد بن سلطان ورئيس محاكم المنطقة ومدير شركة استراً مما جعل الترابط بينما تهدف له هذه الوزارة من خدمة المجتمع من زاوية الدين عن طريق المساجد والدعوة والأوقاف والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حائل

هي البلد الوحيد في المقاطعات العشر الذي تأخرت زيارتي له مع الإطلاع على تاريخها الحافل بالأحداث؛ إذ هي عاصمة الجزيرة العربية في فترة من الزمن إبان حكم آل رشيد ومحل الصراع بين الشمال والجنوب والغرب والشرق من الجزيرة؛ حائل بلاد أجا وسلمى؛ الجبلان التي قد تسمى به بلاد طي وهي بلاد شمر؛ عرف أهلها بالمراس والعنفوان والقوة وصرامة الرجال في الحروب؛ مع الكرم الذي لا يضاهى تأسياً بسلفهم حاتم الطائي وإن كان نصرانياً؛ وقد بقي خبره وأثره ومتجه مصلاه إلى القدس؛ ينتابها الزوار ضمن الآثار التاريخية وذكر المآثر القديمة لسكان حائل.

وبتاريخ ٢٢/ ٧/ ١٤١٧هـ نطل على جبال أجا وسلمى في طائرة خاصة بمعية وزير الشؤون الإسلامية؛ ورفقة المشايخ: صالح الفوزان؛ وصالح السدلان؛ وعلي بن غيث؛ وعبدالله القصير؛ وإبراهيم الدباسي؛ وصالح المنصور؛ وصالح العلي السعود؛ وكلهم علماء فضلاء وباختيار معالي الوزير كانت هذه النخبة لسد برامج الدعوة وملئ الفراغ في محافظات المنطقة؛ وكان النزول في قصر أجا وهو القصر الملكي المخصص للملك وكبار الشخصيات من الوزراء ومنسوبي الدولة بإذن خاص؛ ومن المدن في منطقة حائل التي حظيت بالزيارة:

١ ـ محافظة بقعا (٦٥كم) لزيارة مكتب الأوقاف والدعوة والإرشاد وشعبة التوعية للجاليات.

٢ ـ مدينة موقق(٦٠كم) لافتتاح مكتب الأوقاف والدعوة والإرشاد وتناول طعم الغداء في مدينة موقق.

٣ ـ محافظة الغزالة.

٤ ـ مدينة الشملي.

٥ ـ مدينة فيد.

٦ ـ مدينة سمراء.

٧ ـ مدينة جبة.
٨ ـ مدينة الحائط.
٩ ـ مدينة الروضة.

وقد تبلغنا أن عدد مساجد المنطقة ١٩٦٢ مسجداً وجامعاً؛ أما عدد الأئمة فهو ١٥٦٧ إمام؛ وعدد المؤذنين ١٦٥٨؛ أما القرى التابعة للمنطقة فهي تزيد على الأربع مئة قرية مما جعل وزارة الشؤون الإسلامية تفتح فرعاً لها كسائر المناطق؛ لأهمية الأمر ومتابعة الأنشطة وتنفيذ المشاريع العمرانية من المساجد والأوقاف؛ وبهمة وزير الشؤون الإسلامية الدكتور عبدالله التركي كان لهذا التجوال أثره العملي في تشجيع الدعاة ولم شتات طلبة العلم الراغبين في الدعوة إلى الله رسمياً واحتساباً.

ومما اطلعنا عليه من الأنشطة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في فيد حائل الذي تركز على الدروس والمحاضرات وتوعية الجاليات والمكتبة في القرى المجاورة؛ كما اطلعنا على نشاط لجنة الشؤون الإسلامية؛ وبموافقة سمو أمير المنطقة تم افتتاح عشرة مكاتب للأوقاف والإرشاد في بقعاء والغزالة والشنآن وشملي وفيد وجبة وموقق والحائط والروضة وسميري؛ وكان يدير المكتب أيامها فضيلة الأخ الفاضل الشيخ: عبدالله بن صالح العبيلان خلفاً للشيخ سليمان العامر؛ وكان قبل افتتاح المكتب يبعث من الرياض دعاة أفراد للوعظ والتذكير؛ من هؤلاء الشيخ: علي بن عبدالله الدخيل والذي يوافينا بتقارير مذهلة عن كثافة السكان وأهمية الدعوة والإرشاد في القرى والمدن؛ حتى هيئ الله الأسباب لافتتاح المكتب وضم المساجد والأوقاف والدعوة والإرشاد في مسمى وزارة الشؤون الإسلامية؛ وأول وزير لها الدكتور العصامي الشيخ عبدالله التركي وفقه الله لكل خير.

وبعد هذه الزيارة الرسمية كان لقائنا بأبناء العم آل عتيق في حائل؛ والوسيط للتقارب وربط أواصر القربى الأخ الأستاذ: محمد سليمان العتيق وأخوه الشيخ حمود سليمان العتيق؛ لقد شنفنا الأسماع بما يسر عن آل عتيق في حائل؛ إذ فيهم الأمراء والوزراء ومناصري الحكم الرشيدي؛ ففي

وثيقة بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٣٥٩هـ (من عبدالكريم بن علي بن رمان إلى بنات ناصر بن عتيق من طرف البستان الوالد أخذناه؛ واليوم حنا مرجعينه عليكن تصرفن فيه ابن رمان أمير تيما قتل ناصر بن يحيى العتيق الملكف بإمارة تيما من ابن رشيد واستولى على بستانه وجميع أملاكه وأعاده لبناته حيث لم يكن له عقب من الذكور) ومما نشر في مجلة الدارة صفحة ١١٢ العدد الثالث السنة الثالثة والثلاثون عام ١٤٢٨هـ؛ أن محمد بن رشيد أرسل وفداً كبيراً برئاسة عبدالعزيز بن يحيى العتيق إلى اسطنبول ومعه أربعة خطابات؛ وخطاب إلى أحمد باشا السكرتير الثاني للسلطان هدية سلطانية؛ عبارة عن خمسة عشر رأساً من الخيل كان ذلك عام ١٣٠٦هـ؛ ولقد جد ما يوجب اللقاءات الأسرية من جميع المحافظات والمناطق في المملكة؛ وكان اللقاء الأسري في حائل في ١/ ٢/ ١٤٢٦هـ توافد الإخوان في كل من الرياض والأفلاج ووادي الدواسر والقصيم والزلفي وسدير؛ كما شارك آل عتيق من حوطة بني تميم وآل عتيق في العلاء وفي الجوف وسكاكا فكان جمعاً تاريخياً حفلاً وضحت ذلك في كتابي: «حوليات آل عتيق».

وفي عام ١٣٩٥هـ ظهرت شائعات على وجود بئر في حائل يستشفى بمائها من الأمراض الجلدية والحساسية؛ وكان لي ابن قد نفر جلده وتقرحت منه أطراف اليدين والرجلين من حساسية حادة؛ فأخذنا بالأسباب وتوجهنا إلى حائل وكنت يومها أملك سيارة تايوتا صحن؛ وصلنا إلى البئر فوجدنا خلقاً كثيراً شأنهم شأننا؛ يغتسلون ويشربون من ماء هذا البئر ولمدة ثلاثة أيام أقمنا حولها؛ ومما قيل: أن تيساً من ذكور الغنم قد حلبه صاحبه فأدر له اللبن؛ وكان هذا اللبن دواء لكل داء؛ أين هذا التيس" هو من حكايات الخيال؛ عدنا بعدها إلى الرياض من غير شفاء ولا وجع؛ ولكن الأمر كما كان أقول؛ كانت هذه الدعاية قبل وجود الجوالات ووسائل الاتصالات الحديثة؛ ولكنها الإشاعة تناقلها الناس من غير تعديل ولا تجريح.

www.moswarat.com

الكويت

في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٩ هـ، وفي أول جمعة منه؛ يخطب الخطيب في ذكرى الهجرة النبوي؛ة في حكاية رحلة برية من مكة إلى المدينة مع ذكر المعجزة في سلامة النبي ﷺ من أذى قريش ومكرهم مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وهكذا نسج الخطيب خطبته بذكرى هجرة المصطفى ﷺ كواقعة تاريخية فاصلة في مسار الدعوة بين ماض ومستقبل، وما أن انتهت الخطبة والصلاة حتى وقف ابن نجد وتلميذ الدعوة السلفية ليقول كلمته حول الخطبة، إذ أن الخطيب لم يقل السبب الصحيح؛ والحكم الشرعي في الهجرة ومشروعيتها وبقائها إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ولم تطب نفسه إلا أن يبرىء ذمته ويقول كلمة الحق وإن سخط من سخط، وقف عقب الصلاة خطيباً ليقول إنَّ سبب الهجرة؛ عدم قدرة المسلمين على إظهار دينهم في مكة المكرمة؛ فأمر الله رسوله بالانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وقد عنف القرآن من لم يهاجر مع قدرته على الهجرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

على كل الخطين، خط السياسة؛ وخط الدراسة في تلقي المعتقد الوهابي؛ في زعم من زعم أن الهجرة واجبة على كل من يقيم في بلد لا يحكم فيها بشرع الله، وهم بهذا الاعتقاد لا يفرقون بين الحاكم والمحكوم، والآمر والمأمور والقادر والعاجز والجاهل والعالم؛ مما يبرر وجهة نظر من خالفهم من علماء البلد وفقهاء المذهب.

هكذا صورة ما حدث في أول جمعة وفي مجمع كبير، قام هذا الشاب

النجدي والمتأصل في معتقده ما عليه علماء بلده كل دولة لا تحكم الشرع فهي دولة كافرة، يجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام؛ ما لم يكن هناك موانع شرعية؛ أو صوارف دولية؛ أو حواجز سياسية بتحديد الهوية والجنسية.

حوار ونقاش:

تفرق الناس وأخذ السرعان منصرفين غير مكترثين بما قاله المعقب والمذكر عقب خطبة الإمام وصلاته، غير أن فتية أربعة يلبسون البدلة الأفرنجية محلوقي اللحا والشوارب؛ أبدوا تقبلاً وقبولاً لما قاله المعقب واحتضنوه بحرارة وقابلوه بحماس مشجعين مؤيدين قوله وحكمه.

بدأ الحوار من القوم كانوا من فلسطين: لا أرى عليكم زي المواطن العربي؛ بل وقد خالفتم السنة في حلق لحاكم.

كلام غريب؛ وحكم أغرب؛ كيف يصدر هذا التعليل ممن ليس عليه سمة العلم ولا مظهر الديانة، السؤال لهم: ما هي حرفتكم؟ وأي عمل تمارسونه في الكويت؟ أجابوا: نحن أصحاب ملحمة، فرد عليهم السائل: وأي ملحمة؟ وما معنى ملحمة؟ قال أحدهم: أصحاب مجزرة لبيع اللحم؛ سبحان الله في ما نعهده أن أرباب المجازر ومن يدعون بالقصابين؛ هم من أصحاب الحرف التي تقلل من أهمية صاحبها في المجتمع والمكانة؛ حتى قال من قال بكراهية الصلاة خلف الجزار لأن حرفته ليس فيها شرف، وحري أن يكون في ثوبه دم أو طشاش منه، وفيما قيل أن أقسى القلوب ثلاثة: جندي وطبيب وجزار.

تم سياق هذا الحديث معهم في وقفة سريعة عاجلة وهو يعرضون الدعوة بشرب الشاي أو تناول بارد سريع، يعتذر لهم ويتم عقد موعد ولقاء فيه يتم الحديث والنقاش فيما يرونه حول ما تم الكلام عليه عقب صلاة الجمعة في حكم الهجرة؛ خلاف ما كتمه الخطيب أو تحرج في إبدائه وإعلانه فانصرف الجميع إلى موعد آخر ولقاء بعد أن تحدد ذلك الموعد.

لقاء آخر:

تم اللقاء وفق الموعد المحدد؛ فإذا هم يقدمون هدية من كتيبات في طباعة حسنة؛ وهم يقولون بهذه الكتب ندعو الناس إلى تحقيق مضامينها؛ تم القاء نظرة بعد قراءة العنوان.

المؤلف هو الشيخ تقي الدين النبهاني، أما العناوين فهي: الحكومة الإسلامية، النظام الإسلامي، أسلوب العمل لقيام الدولة الإسلامية، سياسة الدولة في التعليم، الاقتصاد، العلاقات الخارجية، إلى آخر العناوين المتضمنة لتلك الكتيبات، أعود لأقول لهم بصراحة: إن النبهاني هذا هو من مناوئي الدعوة السلفية في بلادنا، رد عليه مشايخنا، ولكنه قد مات وأفضى إلى ما عمل.

كان الكلام مفاجئاً بصراحته ووضوحه، قال الجميع: لا، لا هو موجود وهو حي ولعلك تعني شخصاً آخر.

تم البحث بعد التعارف وانتهينا على أن نلتقي مرة أخرى حيث أفادوا بأن انتمائهم حزبي؛ يقوم على دعوة الناس إلى إقامة الخلافة الإسلامية، هذا الحزب يدعى بحزب التحرير الذي تأسس عام ١٣٧٠هـ في فلسطين.

عدت مرة أخرى لأتصفح محتوى هذه الكتيبات فقلت للصحبة: طريقتنا في التعلم هو اقتناء الكتب الدينية؛ والتي تبدأ بنصوص من الكتاب والسنة تحت أبواب واضحة معبرة تترجم مضامين الآيات والأحاديث كما في صحيحي البخاري ومسلم، أما كتبكم هذه فإنها مجموعة أفكار ترسم نظماً بأسلوب المؤلف؛ لا يستشهد ولا يستدل بأحاديث على ما كتبه وحرره، فالأسلوب الإنشائي هو أسلوب يعتمده العصريون؛ الذين يأخذون بمضامين النصوص من غير إشارة إليها ولا استشهاد بها، وعلى كل فأنتم بدعوتكم هذه تقيمون الحجة على من لا يحكم شرع الله في أرض الله ولا سيما ممن أقدرهم الله، وإنما تنكبوا ذلك جهلاً أو تجاهلاً بالأحكام الشرعية.

حملت ما أهدوه لي من كتب ظلت معي أرددها وأكرر قراءتها، لا أدري هل سيكون لهذه الكتب صدى في أجواء العالم الإسلامي والذي أصبح تحت السيطرة والتأثير الغربي، وهل مثل هذه المجموعة التي لم تأخذ الإسلام في شعاره ديناً، وإنما اختارت قيام الدولة كيف يصح هذا؟

ولعل ما خفي من معتقداتهم أطم وأعظم فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبهذا ضاعت الخلافة وضاع الخلق بضياع الشعائر والشرائع، انتهى ما أردت تحريره في زيارتي الأولى للكويت عام ١٣٧٩هـ، والله أعلم أمضيت خمسة عشر يوماً في الكويت في حرة اللظي ضيفاً على أحد معارفنا السعوديين من أهل القويعية، كان تاجراً بالرقيق قبل التحرير، وكنت أعجب من تأثر أولاده بالبيئة الكويتية حيث يسمون الثوب بالدشداشة، والجح الرقيِّ، واستعمال الإمالة بقولهم بدل هنا (هنيه) وياه للتعجب؛ ومولي كلياً؛ وجاؤوا: ياؤوا، وكان سفري من الرياض إلى الكويت براً بطريق ترابي لا يعرف الأزفلت متراً ولا شبراً، مررت بقرية الحد الجمركي بين الدولة السعودية والكويت، وقد سمعت قولة من قال في هذه القرية: ماء هماج وجو عجاج ونسأل الله السلامة والمخراج.

كانت مدة الرحلة البرية من الكويت أربعة أيام بالسيارة الونيت؛ الذي لا يتأبى سائقه من الطرق الوعرة والمسالك المخيفة؛ ولكنها آمنة بأمان الله؛ بحكم الله الشرعي؛ وقوة الدولة الصارمة، وقد كانت قرية تابعة لإمارة الأحساء بالمنطقة الشرقية، وأميرها آنذاك الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي ـ رحمه الله ـ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرحلة الثانية للكويت عام ١٣٩٠هـ

في هذا التاريخ وقبله بسنوات وبعده، ظهرت طلائع الحركات التنظيمية على شكل جمعيات وأحزاب ومنظمات استهدفت دول الخليج وبالذات الكويت، والذي انقض إليه من سوريا ولبنان وفلسطين رجال الأعمال وأرباب الحرف مختلفي الصنائع، فالحركة القومية كانت تأخذ طريقها الرسمي والشعبي ولسانها «مجلة العربي» رئيس تحريرها الدكتور أحمد زكي؛ والأبواق المصرية الناصرية تنفخ في صور القومية العربية؛ حتى كاد العرب أن ينسوا رابطة الدين الإسلامي بين الشعوب والأمم المتناثرة في أرجاء المعمورة، وكانت الجامعة العربية في أوج نشاطها آنذاك؛ ومن فصيلة القوميين العرب الأحزاب السياسية كحزب البعث السوري ونديده العراقي؛ تمكن حزب البعث من نفوذه في صفوف الشبيبة السورية، ومنهم تأثر شباب الكويت، غير أن من تتلمذ في جامعة الأزهر ومارس أعمالاً تتناسب وفق دراسته وتخصصه؛ كالخطابة والإمامة والقضاء الشرعي في الأحوال الشخصية والانخراط في صفوف موظفي الدولة وبخاصة جهاز الأوقاف والشؤون الإسلامية أظهر استياء من ممارسة التكتل الحزبي أو التنظيمي المناوىء للخط الإسلامي مناوأة صريحة، فأثاروا فكرة التنظيم الإسلامي المدافع عن الإسلام ولإظهار مثله وتنظيمه، كما أن عامل الإثراء والانفتاح الكلي على الخارج كان من أهم العوامل التي دعت إلى إيجاد عمل إصلاحي إسلامي يأخذ طابعه الرسمي والشعبي، فكانت (جمعية الإصلاح) والله الموفق.

جمعية الإصلاح:

جمعية شعبية إسلامية تنظيمية؛ تم الاعتراف بها من قبل الدولة الكويتية فكانت الأولى من نوعها في الدعوة والإصلاح، وأصدرت الجمعية «مجلة المجتمع» وهي مجلة أسبوعية تنطق باسم الجمعية، وأبرزت هذه المجلة واقع العالم الإسلامي كواقع جريح؛ يفتقر إلى إعادة النظر في إصلاح الجوانب التي يفتقر إليها المسلمون في السياسة والاقتصاد والمجتمع، ذلك أن عواطف المسلمين تهفوا إلى الشعائر الدينية؛ وتتطلع إلى لسان ينطق باسم الإسلام في مجال الصحافة والإعلام، فكانت المجتمع كذلك، وقد لا نبالغ في القول إذا قلنا: أنها هي المجلة إسلامية في المحيط العربي ولا زالت تدافع عن الإسلام فتثير قضايا المسلمين ومشكلاتهم؛ إثارة تدعوا إلى الإصلاح والتنبه للغزو الغربي أو الشرقي لمقومات العالم الإسلامي ديناً واقتصاداً وسياسة، فنادت جمعية الإصلاح بإصلاح ما أفسده القوميون والبعثيون، وكان لهم كلمتهم في المجتمع والدولة، وجوانب الإصلاح التي اعتمدتها الجمعية كثيرة متعددة؛ فليس الدفاع فقط وليس العرض فقط وليس الإيضاح، وبرنامجهم الدعوي تعدى إلى المشاريع والمنشآت الخيرية في العالمين العربي والإسلامي؛ فهي جمعية إصلاحية بما تعنيه هذه الكلمة من شمول في الكويت وخارج الكويت جزاهم الله خيراً، وقد تتعثر في مسيرتها لمواقفهم الصلبة ودفاعهم القوي عن الإسلام من هجمات العلمانيين واللادينيين؛ من أرباب الأفكار المستوردة والمنظمات الدخيلة على المجتمع الكويتي.

ثلاثة لا ننسى ذكرهم:

أولاً: الشيخ عبدالله الصالح المطوع رئيس جمعية الإصلاح.

ثانياً: الشيخ عبدالله بن عقيل، مدير عام بوزارة الأوقاف.

ثالثاً: السيد هاشم الرفاعي وزير دولة وشيخ الطريقة الرفاعية.

ولمعت أسماء هؤلاء الثلاثة في داخل الكويت وخارجه؛ لما لهم من اهتمام واضح وتضحية فذة في سبيل الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ.

فجمعية الإصلاح قامت على سواعد هذا الرجل الصالح «المطوع» اسماً وضمناً، أما وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فكان الشيخ عبدالله العقيل؛ خريج الأزهر؛ سعودي الجنسية؛ زبيري المنشأ؛ والناطق باسم الإخوان المسلمين؛ هو الآخر عامل من عوامل الإصلاح فيما تقدمه الوزارة من نشاط دعوي داخل وخارج الكويت، وظل كذلك حتى انتقل عمله إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

أما الثالث: وزير الدولة السيد هاشم الرفاعي فهو سيد ينتمي إلى الطريقة الرفاعية وراثة ونسباً وله جهود مشكورة في محاربة الاختلاط والسفور في التعليم والمجتمع، وله شعبية تفوق من قبله ليس في الكويت فقط بل وخارجه، وقد نشط في الآونة الأخيرة في التجوال في دول آسيا كالهند وسيلان وأندونيسيا؛ معلناً طريقته الرفاعية وممارساً النشاط الصوفي من غير مصادمة بالاتجاهات الأخرى، وهو صديق لكل من يمد له يده أو يشرح له صدره، حدث أن كنت بزيارة إلى بيته؛ فوجدت عنده الشيخ عبدالغفار عبدالستار الدهلوي أمير جمعية غرباء أهل الحديث في باكستان، وكذلك رجلاً مصرياً ينتمي لأنصار السنة المحمدية في مصر فتعجب الرفاعي من تواجد الوهابية من نجد والباكستان ومصر؛ في بيت رجل صوفي ينتمي إلى الطريقة الرفاعية المشهورة بمخالفتها ما عليه السلفيون أو الوهابيون بمعنى أدق.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرحلة الأولى للبحرين

مضى القول فيما مضى عن دولة الكويت وتسجيلي بعض الذكريات والمذكرات في تلك الدولة من عام ١٣٧٩هـ، وها هو الحديث عن الدولة الثانية (البحرين) الجزيرة المتاخمة لحد المملكة العربية السعودية شرقاً الفاصل بينهما مياة الخليج، ومن الخبر المدينة التجارية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية؛ الميناء والمرفأ مما يلي دولة البحرين امتطى النش أو اللنج الباخرة الصغيرة من الخبر إلى البحرين، وذلك في شهر الحجة لعام ١٣٨٠هـ، حيث مضت بنا السفينة الصغيرة إلى المنامة عاصمة البحرين، ومن الصدف أو التوافق أن كانت الأجرة من الخبر إلى البحرين خمسة أريل سعودية؛ وذلك لمدة خمس ساعات لأنزل في فندق شط العرب بخمس روبيات، نزلت ذلك الفندق ولم يتحدد لي هدف وغاية في زيارة البحرين، ولكنه علق في ذهني وأنا أقرأ ديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين مدائحه في آل خليفة حكام البحرين، قدح في ذهني لو حاكيت ذلك الشاعر النجدي بزيارة مقر الحكم والحاكم الشيخ سلمان بن عيسى آل خليفة وليس لي من وسيلة سوى الشعر، فالشعر بضاعة الأدباء ووسيلة من وسائل الاستجداء؛ ولكن هيهات ذلك الشعر الرزين والقول المتين، شعر شاعرنا الكبير محمد العثيمين وآنى لي محاكاته أو تقليده، إن الأمر صعب جداً، ولكن العطاء على قدر الامتلاك.

حاولت أن أنظم قصيدة في مديح الحاكم الميمون الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى فجاء على لساني تسعة وعشرون بيتاً من الشعر؛ بدأتها بالتشبيب كما هو مذهب شيخنا الأديب الكبير وسنة من قبله من شعراء العرب وهي كما يلي:

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد: فهذه قصيدة في مديح عظمة السلطان سلمان آل خليفة حاكم البحرين قالها الشاعر إسماعيل بن سعد نزيل وادي الدواسر ذلك عند زيارته للبحرين في ١/ ١٢/ ١٣٨٠هـ:

خليلي ما أنكى الحياة من السقم
لفقد ذوات الخدر والردف والهضم
عرائس كان العيس رغداً بربعها
بقرب حبيب عز في العرب والعجم
فقد كنا في نعماء يغبطنا الملـ
ومسرح لذات مضت كما الوهم
نواصل تذكار الشباب مع الصبا
فنبكي بدمع ذكره لنا يدمي
فهيهات قد بان الصبا وانطوى المدى
فهيا لفعل الخير نرجع إلى الحلم
فما المرء إلا قارع سن نادم
إذا يكثر الأعمال بالوزر والأثم
فلله أيام تقضت بلا أسى
تمتع فيها كل عضو من الجسم
ولكن رزء الفقد غير محجبي
أقول لشعر في سلالة ضيغم
بلى إنه ذخر لكل مرزأ
فتجلو بذكر الشيخ فادحة الهم
فهذا أصيل المجد والمد والندى
فحيه يا ربع المحب وسلم
فقد كان شيخاً في صباه برأيه
كما كان محبوك البطولة والفهم
توطد هذه العرش من أصل ماجد
بسمر العوالي والندى للمسلم
فتشهد غارات ويشهد صارم
بأن الوغى في جانب الشهم كالسلم

فلا عبئها يزجى بنيل عطائه
ولا هو بدع أن يخوض بذي الدهم
فشنشنة حرب العدى مخضعي الهما
كما مزنه يسقى جيوش العرمرم
فلله شيخ قد حوى برده الندى
كما هو بؤس النازعين إلى الظلم
فقد كان طوداً للعلا مرتع السخى
له قصدوا من بالحلال وبالحرم
كما عمت الآفاق مطلع شمسه
ويحدو به الساري بليل مظلم
وإذا العيس تخدوا بلحن مرجع
إذا لم يكن شعر بمدح المكرم
وقد تنكر الأسماع مدحاً لغيركم
كما أن الشعر في غيركم من الجرم
فيا مستو على عرش مجد حكمه
عروش الملا تخضع لعرس الهيذم
هنيئاً لكم آل الخليفة مركزاً
له تشرأب العنق من أبهة الحكم
ومنزلة مرموقة تفلذ العدى
وكل حسود ليس له سوى الغم
فمرحى لكم مرحى أنتم السرى
وغيركم من جملة الصم والبكم
ولا أستطيع العدل إن قلت مدحكم
فلا وصفكم يحصى بنثر ولا نظم
ولكن قليل من كثير فإنني
أرجي عفواً من سموا المعظم
فهذا من الجهد المقل أتيتكم
لأقصده في صوت عي ملعثم

وعند ختام القول أختم كلمتي
بحوقلة تنبى عن العجز في النظم

وصلَّى الله على محمد وآله وسلم.

تعليقنا على ما تقدم أنها قصيدة قلتها في تجربة الشعر عام ١٣٨٠هـ، وهي لا تخلوا من النقص في الأوزان في عروض الشعر، ولكن القافية موجودة والحافز لهذه الأبيات في ذلك الوقت هو الاستجداء والتعرف على سيرة الحكام والقرب منهم، وقد وجدت إكراماً من هذا الحاكم إثر إلقائي هذه القصيدة وقال بلفظه: لا تروح حتى تأكل ذبيحتك؛ يعني الإكرام بذبح الذبيحة، نستغفر الله من زلة القلم وما جرى به، ولكن أعيد تحريرها للذكرى والاعتبار في سجل تاريخ العمر والله أعلم، وصلَّى الله على محمد.

الرحلة الثانية للبحرين

وفي ٥/ ٣/ ١٣٨٣هـ، عدت مرة أخرى لزيارة البحرين على أمل أن تمتد هذه الرحلة إلى بقية دول الخليج العربي قطر وما بعدها، غير أن الشيخ سلمان قد انطوت أيامه، وأفل نجمه وخلفه في الحكم نجله عيسى، بدا لي أن أطرق بابه بقريض الشعر مثل ما سبق مع والده، إلا أن هذه الزيارة للبحرين كان بصحبة مجموعة من الأحبة ممن ينتمون للدعوة والإرشاد، وإن لم يكن بيني وبينهم ذاك الارتباط الملزم بصحبتهم ومعيتهم، غير أن الضمير يؤنبني في استساغة المديح وقول الشعر مقابل دريهمات أو مكافآت لا تساوى ما يخسره المرء من دينه أو سمعته، وقال حادس آخر: ليس المال هدف وغاية إنما اللقاء بالأكابر ومعرفة أحوالهم ومجالسة الأعيان؛ هي من طموحات الرجال، والشعر وسيلة وليس بغاية المنال والعطاء، ولا سيما أن أهل هذا البيت لهم أصالة دينية ومشيخة إسلامية ولا زالوا يترسمون خطى أسلافهم في مجالسهم العربية ونخواتهم القبلية، فهم بهذا يكرمون الوافدين ويشجعون القاصدين على مجالستهم ومحادثتهم، فكانت الإرادتان بين الإقدام والاحجام، وتم تنفيذ الإرادة الراغبة في الزيارة للحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان وبنفس الوسيلة التي كانت لوالده ـ رحمه الله ـ، فحررت أبياتاً قليلة لأزج بها في نادي الأدب مجلس الحاكم الموقر، وعرض ما لدي من العطاء فكانت بمثابة الأولى وتكرم بالإجازة لما قلته، وكانت هي الأولى والأخيرة إن شاء الله ـ تعالى ـ، وها هي القصيدة للذكرى والتاريخ بنصها وفصها:

سعادة الحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، لا زال كعبة وذخراً لرواد العلم والأدب؛ ويمناً لذي الشرف والنسب، لقد سعى بي الحظ

أن وفدت على والدكم العظيم، وقد كساني حلة لا زلت أرفل فيها بثوب العز والكرامة مما أطعمني أن أتزلف لسموكم بهذه الأبيات، وما هي إلا قطرة من بحور جودكم تملي عليَّ فأكتب:

أحب نجواه لكن الهوى سقم
ويعتريني بفقد الصاحب الألم
جل الأنام وشاة في محبتنا
أعوذ بالله أن أكون مثلهموا
لولا اللبيب الذي أبدى محبته
وثغره من صفاء القلب مبتسم
ما كنت أحب أني في الهوى كلف
أو إني في شرك العشاق أقتحم
قبلي من الجن والإنس الذي عشقت
الله يغفر أن يبدوا لي اللمم
وكم تغنى وأسلى في تلحنه
أرباب فن وأصغت أذنها الأمم
وشنفت مسمعاً أعييت كواهله
حمل الهموم فولى عنه منهزم
لكن سلواي في دنياي أو شغفي
مجالس زانها بدر ومتسم
في عالم فاضل أو شاعر لبق
أو من حماة عرين والعلا لهم
الكل يستقيهمو من بحر همته
وتستقيه بحور عندنا خضم
عيسى عسى عرشكم طود توطدة
ما دامت الأرض والأنام والنعم
قد اصطفاكم لنا ربي وأخلدكم
حماده حق وساد الجود والكرم
ومعدن الجود من جرثومة لحقت
آل الخليفة والأصل الذي لهم

ما قلت شعراً ولاجمت سواقيه
ولا إستقام لنا نثر ومنتظم
حتى رأيت فعالاً وهي قائلة
الآن أكتب مما أملي هي الحكم
أيادي عيسى لها منّ ونائلها
من قال بالضاد والأعجام بعدهم
حج الحجيج فلا تجزم بحظهم
إلا الذين سقاهم هاطل عمم
من كفه قد أعار الجود لامسها
قد بارك الله كفا ربه العلم
ليس الكثير إذا ما أمطرت سحب
عمت سُواقيها من طبعه الكرم
الله يغفر للشيخ الذي حسنت أفعاله
وجميع الناس قد وصموا
بموته زعزع الآكام وارتجفوا
لفقده عرب العرباء والعجم
وحظنا منه نجل سار سيرته
واللاحقون لهم فضل إذا حكموا
المقسطون فلا تخشى بوائرهم
والمصلحون نفوس شابها الألم
أناشد الله من شكت حوادسه
هل غيرهم في سماء الجود يصتدم
وصلّى ربي على المختار سيدنا
شفيعنا يوم نار الكرب تضطرم

البحرين، فندق شط العرق
٥/ ٣/ ١٣٨٣هـ

وتعليقنا على ما تقدم أن هذه القصيد رتلت في عام ١٣٨٣هـ، مديحاً لحاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة تأسياً بما عليه شاعرنا

الكبير الشيخ محمد العثيمين الذي أشاد وأجاد في مديح الأسر الثلاثة آل سعود، وآل ثاني، وآل خليفة؛ وهم حكام العرب وزعمائه في هذا العصر وهم أهل لما قيل فيهم ما دامت النية حسنة والقصد جميل إن شاء الله ـ تعالى ـ ونعوذ بالله من زلة اللسان وسوء البيان؛ والله المستعان.

رفع
بواسطة المسوار الإلكتروني
www.moswarat.com

قطـــر

الجزيرة أو شبه الجزيرة؛ عاصمتها: الدوحة ومشايخها: آل ثاني من بني تميم؛ ما كدت أودع مجلس الشـــيخ سلمان آل خليفة حتى قدح في ذهني أن آل ثاني أولى وأحرى بالزيارة وحســـن الرفادة، وفي ســـاعات من الليل أمضيناهـــا من المنامة إلى الدوحة على ظهر ســـفينة شـــراعية في ليلة باردة وذلك بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٣٨٠هـ، ولمدة ثمان ســـاعات طيلة الليل فما أن أشرقت الشمس حتى رست السفينة في مرفأ الدوحة، ومن المرفأ إلى فندق «بسم الله» وأردفها بقولي أعوذ بالله، حيث كان هذا الأوتيل غير لائق في نظافته ومظهره، فقد ترددت طيلة ذلك اليوم في البقاء في هذا الفندق ولا بديل عنه، ولكن الله يهيء الأسباب ويرزق ابن آدم من حيث لا يحتسب، فقد رأيت شـــاباً وسيماً ذا خلق وحركة وحيوية تعرف عليَّ وعرفته بنفسي كما عرفني هو بنفسه، إذا نسب نفسه إلى النعيم أهل الأحساء، وهو وافد إلى قطر في هذا الفندق؛ يعاني ما أعانيه من ضيق وعنت في هذا الســـكن غير المريح، تبادلنا الحديث وتم الحوار والتشاور على أن نستضيف الحكومة القطرية فكلانا وافد وغريب، وتم الاتفاق على أن نصلي صلاة العصر في الريان مع الشـــيخ علي بن عبدالله بن ثاني حاكم قطر، وفي الريان قصره ومســـجده وضيافته فكان ذاك في وقته، فقد صلينا صلاة العصر مع الشيخ علي، وفور الصلاة نهض المصلون، كما أن الشـــيخ خرج من المسجد ومع ثلة من المشـــايخ وطلاب العلم، وقد جلس خارج مســـجده وبجوار قصره على مجالس من الطين بارتفاع نصف المتر من الأرض وهي ما تدعى عندنا في نجد «بالحبوس».

وبعد جلوس الشيخ تقدم القارئ عبد البديع صقر (مصري الجنسية) فقد

أمره الشيخ محمد بن مانع شيخ الحاكم ومستشاره في البداية بالقراءة، وكان الكتاب «مشكاة المصابيح».

ظل القارئ يقرأ والشيخ محمد بن مانع يوضح ويعلق، وبجواره الشيخ علي يستمع، وقد يسأل حلقة تعليمية وروضة من رياض الجنة يتصدر هذا المجلس الحاكم العابد التقي الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني؛ وبجواره العالم العلامة شيخ التعليم في الجزيرة العربية محمد بن عبدالعزيز بن مانع ـ رحمهما الله ـ، ظل صاحبي يتردد في الحديث مع من رآه خارج الجلسة ليخبره بأننا ضيوف والشيخ في حلقة التعليم لا يحسن السلام عليه ولا التحدث معه؛ فجاء إليَّ وقد أشار عليه أحد حراس الحاكم بأن يتوجه هو وزميله إلى ذلك القصر الأبيض والذي يبعد عن قصر الشيخ ومسجده قرابة خمسمائة متر، أشار لي صاحبي بالتوجه إلى ذلك القصر حتى نعرف مصيرنا قبل الليل، فنهضنا معاً وتوجهنا إلى ذلك القصر حيث نادى صاحبي بالاسم الذي أخبره به حارس الحاكم فظهر المنادي مرحباً مهللاً بالضيوف، وأخبرناه بأننا ضيوف الشيخ علي فزاد بالترحيب وفتح باب القصر، ثم تقدم إلى أحد الغرف فقال: تفضلوا هذا مسكنكم، وبادر بإدارة القهوة والتمر ثم قال: بعد صلاة المغرب يكون العشاء إن شاء الله.

فرحنا بهذا الاستقبال وبهذه الضيافة الكريمة من رجل الكرم والعلم والدين، صلّينا صلاة المغرب وعدنا إلى قصر الضيافة وليس فيه أحد سوانا، وما هي إلا دقائق حتى جاءنا المضيف يحمل سفرة من الخوص، ثم عاد وأتى بصحن من الرز وعليه ذبيحة «مفطحة» وقال: سموا بالله عشاءكم ما معكم أحد.

تعشينا على بركة الله، وبعد الفراغ من العشاء طلب صاحبي صابوناً لغسل اليدين، قال المضيف: لا نستعمل الصابون هنا، هذه ضيافة البدو وأنتم حضر فما الذي جاء بكم إلى هنا، أنتم تنزلون في القصر الأزرق

في الدوحة حيث ضيافة الحضر وبها الصابون والملاعق والمرق إلى غير ذلك مما يأكله الحضر، بقينا معه في المداعبة فماذا نصنع أن الدهن في أيدينا، فقال: جرت عادة ضيوفنا في هذا القصر أن يمسحوا بأيديهم لحاهم وسيقانهم بالدهن وأنتم إن شئتم فافعلوا مثلهم، وغداً تذهبون إلى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن الشيخ علي بن ثاني لينزلكم في قصر الضيافة الأزرق بالدوحة.

بتنا على بركة الله في ضيافة البدو، وفي الصباح الباكر توجهنا إلى الدوحة للسلام على الشيخ عبدالعزيز وزير الدفاع القطري والذي يطمح أن تكون ولاية العهد له بعد أبيه، فما أن وصلنا إلى القصر حتى تقدمنا بالسلام على الشيخ الشاب الذي لا يتجاوز عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً، ولكنه يطمح في التعرف على الناس وتعريف الناس به.

بعد السلام عليه وشرب القهوة تقدم صاحبي إليه وعرف بي وبنفسه، وقال: أنتم ضيوفنا حياكم الله، ثم نادى أحد حرسه ليكلفه بإعداد سيارة لحملنا وأخذ أمتعتنا ثم إنزالنا في قصر الضيافة بالدوحة، فكان ذلك في فترات قصيرة.

القصر الأزرق أو قصر الضيافة بالدوحة قد صمم على شكل فندق أو مساكن مؤثثة بالفرش والأسرة والدورات النظيفة والمطبخ الذي يعد الضيافة بطريقة غير الطريقة التي كانت في قصر الريان «ضيافة البدو»، والحمد لله استقر بنا المقام وكنا في راحة وطمأنينة وإكرام مدة سبعة عشر يوماً.

رئيس التشريفات هو أبو يوسف الهولي، وهو أشبه بالوزير المفوض في استقبال الضيوف وترحيلهم وصرف الإكرامية للضيوف، حاولنا التعرف على أبو يوسف الهولي ولكنه منصرف غاية الانصراف عن مثل هذين الصبيين أحسائي ونجدي، وُكِلَ بنا إلى مساعده يدعى بالأعضب وهو مقطوع اليد بالفعل، كان هو الذي يشرف على وجبات الطعام ويؤكد لنا

أن الضيافة لا تتجاوز عشرة أيام، في كل مرة يتصدى له صاحبي بأننا لن نغادر حتى نتسلم الشرهة من الشيخ علي أو من الشيخ عبدالعزيز، ولذا فقد امتدت إقامتنا في هذه الضيافة سبعة عشر يوماً ونحن بطالب بالشرهة وبتذاكر السفر لبلادنا، ولكن الأعضب ليس لديه أية صلاحية.

جاء دور الشعر في الاستجداء وطلب العون، وهل ستكون هذه القصيدة في الشيخ علي؛ أم الشيخ عبدالعزيز؛ أم الأستاذ الأديب أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات؛ الأول تقي ورع قد لا يقبل المديح، أما الثالث: فهو أديب وشاعر قد ينقد مقالتي وشعري؛ وغير لائق أن نمدحه وهو ليس أهل المدح فهو موظف ومكلف بمهام الضيوف، لكن الشاب الطموح هو الذي قد يتقبل القصيد والمديح ولو اعتراه نقص أو سوء تعبير، ثم جرى القلم بقصيدة مديحاً للشيخ عبدالعزيز فهو الذي أمر بالضيافة والإكرام؛ ثم بدا لي أن أكتب أبياتاً للأستاذ أبو يوسف حتى يتم صرف الشرهة.

وفيما يلي ذكر القصيدتين المشار إليهما، الأولى في الشيخ عبدالعزيز بن أحمد، والثانية في الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات.

هذه القصيدة قلتها وأنا في قطر مديحاً للشاب الأبي الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن علي آل ثاني في ٢٠/ ١٢/ ١٣٨٠هـ.

لم يكن في نيتي مدح لثاني
غيرك يا عبدالعزيز بن ثاني
ولم يكن من طبعي حب التواني
بشيء إذا قصدت ذو المعاني
ولم يخطر بفكري مدح شخص
إلى أن سما لي شبل الزماني
وأبصرت عيناي شبل أسد
تمثل بالكمال بذي المكاني
فخفة روحه ملكت فؤادي
رشاقة نطقه أملت بياني

فأحمد قد أجاد وجاد جد
وأنت الوتر في شتى المعاني
وأنت الفرد بعد الله فينا
لغيرك لا نبوء ولا نعاني
وإن العارفين أتوني قالوا
وحيد في الأنام بلا توانـي
فقلت الشعر من غير امتلاك
لتحسين البديع مع المعاني
فيا عبدالعزيز حجزت فكري
بمدحك والثناء لأل ثاني
باسمك قد تفائلت الشعوب
بأن الجود في ثبت الجنائي
وأن الجود فيكم مستمراً
وأنتم أهله في كل آن
وأنت يا بطل العرين فينا
بمنزلة القرآن من المثاني
نحييك والترحاب منا
وشيء في القلوب بلا امتنان
فأهلاً أنت لكل مدح
ولا يخفى لشمس من عنان
فهذا من مديحي وليس قصد
لشيء في القصيدة قد دعاني

تعليقنا على هذا أن هذه القصيدة قلتها في زيارتي لقطر، وقد قام الأمير الشاب بإكرامي وإنزالي في ضيافة الحكومة مدة إقامتي في قطر خمسة عشر يوماً، أعدت نسخها للذكرى في سجل التاريخ.

كتبت بهذه القصيدة للأديب الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات لحكومة قطر، قلتها وأنا في ضيافة الحاكم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني وفي ذلك في ٢٠/ ١٢/ ١٣٨٠هـ.

نرجي عسى فتحاً من الله قدرا
وما غيره يفتح إذا الأمر أعسرا
فقد طال هذا المكث من غير جدوة
ونحن كما طير بفخ تدهورا
فما قصدنا بذل السخا من ذوي الندى
جزى الله عنا آل ثاني وأكثرا
فقد ذاع صيت الجود من دوحة الندى
وحج له جواً وبراً وأبحرا
فلا فضلهم ينسى ولا جودهم يخفى
ونشكرهم سراً ونشكرهم جهرا
أبا يوسف لا تعجبن من تعجلي
فقد طال هذا المكث والهم أسهرا
وإني وما كنت بالشعر أبتغي
ولو كان ذا ساغ الشراب وأجدرا
أخي إنها من وصمة الدهر والأسى
إهانة طلاب العلوم كما ترى
ونحن ولا فخر لنا الأسوة التي
ترقى بها جد وعم وأشهرا
ونبني كما بنوا ونعلوا كما علو
بآداب دين والسماحة أثرا
إليك قصيدي لا أقول تكلفاً
ولكنه عفو الخواطر إذ جرا
سأذكر من أفعالك الغر لأخوتي
فيثنوا كما أثنت سراة لمن سرا
ولي جفوة منها استعاذ ذو التقى
وحتى شرار الناس منها تسترا
فيا لائمي دعني فذا من سجيتي
ولا الطبع في مر الزمان تغيرا

فكم طفت في أرض وكم شربت يدي
حوادث دهر والمعاش تكدرا
فلم أتزعزع عن شرفي ولا
أساير أبناء الزمان لأتجرا
أودعك الله فاسمع نصيحتي
لما كان من شعري وللنقص فأعذرا
بضاعتي مزجاة بذي الفن بل ولا
أحيط بما قد حاط من لي تفاخرا

في قطر ثلاثة يذكرون ولا ينكرون:

١ ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، من مواليد عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٠هـ، طوح في الديار لطلب العلم وله مشايخ كثر في الشام والعراق، تولى القضاء في قطر في عهد عبدالله بن ثاني عام ١٣٣٩هـ، وعاد للملكة بأمر من الملك عبدالعزيز ليكون منظماً للتعليم، وكان مديراً عاماً للتعليم في المملكة، والشيخ بن مانع يجمع بين الفقه والإدارة، طلبه الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني عام ١٣٧٥هـ، ليكون بجواره مستشاراً شرعياً ومعلماً في مجالس الشيخ علي مدارسته، فكان كما طلب حاكم قطر، قد عاش معه وبمعيته حتى عام ١٣٨٥هـ ـ رحمه الله ـ، والشيخ له يد طولى في طباعة الكتب المختارة من كتب المذهب على نفقة حكومة قطر، جزاهما الله خيراً.

٢ ـ الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس محاكم قطر وتلميذ الشيخ محمد المانع، برزت شخصية الشيخ بن محمود بما ألفه من كتب وما أظهره من اجتهادات واختيارات؛ كانت محل البحث والنقاش بينه وبين علماء الرياض، والشيخ عبدالله يتقد ذكاء وفطنة وله أسلوب بارع في الخطابة والكتابة، وإن غلب عليه السجع غير المتكلف؛ يعتبر الرجل الثاني في قطر من العلماء.

٣ ـ قاسم فخرو الدرويش، ومن أعيان قطر ومن طلاب الشيخ بن مانع،

له دور هام في قطر من حيث التعريف بالذوات والأشـــخاص الوافدين إلى قطر، بل له ضيافة يستقبل فيها كما تستقبل حكومة قطر، وفي مجلس عام من مجالســـه تحدث عن خلاف وقع بينه وبين رئيس محاكم قطر في أرض بســـاحل البحر دفنها ثم عمرها، وانتهت القضية بمراجعة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية حيث اعتذر سماحته عن الإفتاء بوجود الشيخ محمد بن مانع في قطر، قال الدرويش: وقد أفتى الشـــيخ محمد بن مانع بجواز الإحياء والتملك الشرعي للأرض المذكورة.

الرحلة الثانية إلى قطر

مضت الأيام والسنون، وفي عام ١٣٩٠هـ عدت إلى قطر في حلبة المرشدين والدعاة، وكررت زيارة قطر في كل صيف نجوب قراها وشواطئها في المساجد والمدارس والأندية؛ بمعية من المشايخ والعلماء من المملكة العربية السعودية، وقد انتفعنا ونفع الله بنا إن شاء الله، ونلنا كل تجاوب ومحبة من أهل قطر ومن مشايخ آل ثاني جزاهم الله خيراً.

في خيمة بدوي:

في أثناء الجولات ظهر لنا خيمة وبها بدوي قد اتكأ على شداده؛ وأوقد نار قهوته لوحده في هذه الخيمة أو الشراع، دلفنا إليه وبدأناه بالسلام؛ فرحب وهلل وتشرف بالزيارة في خيمته في هذه الصحراء التي قل من يغشاها من المارة أو الغرباء؛ سألناه وسألنا وتبادلنا التعارف فقال: قصتي أنا شاعر نبطي ولي قصائد في كل الملوك: عبدالعزيز وسعود وفيصل وكلهم كافأوني إلا فيصل؛ أما آل ثاني فأنا ربيب نعمتهم تفضلوا علي وجادوا، وهذه الخيمة لم أمكث فيها عن حاجة وعوز ولكنها هويتي وطبيعتي البدوية، أنا متزوج من مصر وكذلك ولدي ونسكن فلة خضراء بها الحدائق، ولكنني لا أرتاح إلا في هذه الخيمة.

حدثنا الأعرابي عن قصة زواجه في مصر، قال: ذهبت إلى مصر وأنا لا أعرف أحداً؛ فوجدت جندياً وسيماً فحدثتني نفسي لو كان لهذا أخت لخطبتها، فتقدمت له وعرفته بأنني من أهل قطر ومن أخويا الحاكم وجئت أبحث عن زوجة، وقد توسمت فيك الصدق فهل لك أن تساعدني على طلبي، قال الجندي: أنا أدلك على من يلبي طلبك إن شاء الله، قال: فتواعدنا بعد نهاية نوبته أن ينطلق بي حيث شاء وأراد للغرض المشار إليه.

في بيت العروسة:

انطلقنا سوياً حتى أتينا إلى حي من أحياء القاهرة فأشار إلى شقة وقال: عليك أن تقرع بابها وتطلب مقابلة صاحب الشـقة وتعرض عليه حاجتك؛ ولا تخبرها أنني أتيت بك إلى هنا، قال: ففعلت وفتح لي الباب غير أنني لم أجد رجلاً، وطلبوا دخولي إلى حين مجيء صاحب الشقة، وبعد فترة قصيـرة دخل رجل على أكتافه نجوم ثلاثة (ضابط كبير) أجمل ممن رأيت، وبعد التعريف عرضت عليه حاجتي فرحب وهلل وقال: ستقضى حاجتك؛ وموعـدك غداً في وقت حدده لي، وفي الوقت المحدد عدت، فإذا هو قد جمع ما يزيد على ثلاثين امرأة منهن فتيات ومنهن كبيرات، فدعاني وقال: انظر من تشـاء، قال: فخجلت واعتذرت مـن هذا العرض وقلت له: أنا قصدتك ولم أرد غير من تختاره لي من أقاربك، قال: فدخلنا داخل المنزل وأتت امرأتان وقال: اختر أيهما، هاتان من أقاربي، قال: فخجلت وقلت: هـن يخترن؛ من يختارني أختاره، قال: فرفعت إحداهن يدها وقالت: أنا أريده، قال: فقلت والثانية تكون لولدي.

بقينا مع هذا البدوي وهو يحمس قهوته ويدقها ويسقينا فترة ما بين العصر إلى المغرب، وجاء دور الشـعر فقلنا له: حدثنا عن قصائدك ومواقفك مع الملوك، فكان موسوعة شعرية نبطية أعطاه الله من الذكاء والفطنة والفصاحة ما يستدر به عطف الملوك؛ بحسن منطقه وبساطة مظهره ولباقته في المدخل؛ البدوي المذكور من آل مرة كما ذكر لنا، وهم يكثرون في قطر كما يكثر في قطر بنو هاجر والمناصير، ودعناه ونحن في شـغف ورغبة في تكرار الزيارة وفي هذا الخيمة، ولكن كانت هذه الزيارة وداعاً أخيراً ولم نره بعدها.

في قرية الوكير:

حيث يسكن آل عبدالرحمن من آل ثاني لغرض الدعوة والإرشاد، ذهبنا إلـى الوكير والوكرة لنصلي صلاة المغرب هناك، وبعد أداء الصلاة تقدمت

بإلقاء الكلمة بعد صلاة المغرب في مسجد يغص بالمصلين إلا أن في آخره ضوضاء الأطفال والشباب المراهقين، كان مزعجاً وغير مؤدبين في أداء الصلاة في المسجد، مما جعلني أضع موضوع الكلمة في الأدب وحسن أداء الصلاة، وقد اتفقت مع صاحبي على أن ننصرف فوراً وهم منشغلون في أداء السنة حتى لا يلزموننا بالدعوة إلى العشاء والمكث عندهم وفعلنا، ولكن ما كدنا نصل إلى الخط لنستوقف سيارة الأجرة حتى لحق بنا من يقول: على هونكم على هونكم، الشيخ يقول: ارجعوا للعشاء، فاعتذرنا وألح علينا حسب ما أمره به الشيخ فامتنعنا عن العودة وعاد وأخبر الشيخ بأنهم لم يقبلوا.

وفي وقفتنا وبعد دقائق لحق بنا الشيخ سعود بن عبدالرحمن بن ثاني حتى وقف بجوارنا وقال: تفضلوا اركبوا، وكأنه أمر لا خيار فيه، ثم ذهب بنا إلى قصر من قصور أعمامه وفيه العشاء بحضور جمع كبير من البادية، وبعد العشاء استئذنا في الخروج غير أن الشيخ سعود بن عبدالرحمن أمرنا أن نصحبه إلى بيته ففعلنا.

أخذ معنا في الحديث، من أين؟ إلى أين؟ وأخبرناه بمهمتنا فشكر لنا، وبعد شرب الشاهي والقهوة استأذنا في الانصراف فأذن لنا وقال: نوصلكم إلى الدوحة، وتقدم لنا بإعطائنا ظرفين مختومين لا ندري ما بهما، غير أن صاحبي اعتذر عن قبول مثل هذا فقال الشيخ: نحن نهدي لزوارنا وإخواننا، ولو من آل ثاني مثل هذا فاقبلوها منا هدية لا صدقة، فأقنعت صاحبي بقبول الظرفين وتم ذلك بحمد الله شاكرين له.

رحلة دعوية في قطر

الحمد لله وحده: كانت الزيارة لقطر في من ٥/ ٥/ حتى ٢٦/ ٥ عام ١٣٨٩هـ حيث أقمنا بها إحدى عشرين يوماً مارسنا خلالها النشاطات الممكنة وقد ركزنا على الزيارات الشخصية؛ ومحور لحديث الدعوة والدين؛ كما قمنا بجولات شاملة على أكبر عدد من المساجد لإلقاء المواعظ فيها؛ وقد أتيح لنا الصلاة والخطابة يوم الجمعة بدلاً من الأئمة الرسميين؛ وقد لمسنا بهذا أننا قد أدينا بعض المجهود مع ضيق الوقت وقلة الأنصار؛ ومن برامج الزيارات التي قمنا بها هي ما يلي:

١ ـ زيارة الحاكم الشيخ أحمد بن علي آل ثاني وذلك لمرة واحدة؛ وكان ذلك بتعريف من الأستاذ عبدالبديع صقر مدير المكتب الثقافي بالقصر.

٢ ـ الشيخ أحمد بن قاسم آل ثاني في الغرافة بين الدوحة والريان.

٣ ـ آل عبدالرحمن في الوكير؛ وقد التقينا بالشيخ حسن وعبدالرحمن بن سعود آل ثاني وكانت لقاءات موفقة ولها وقع في نفوسهم؛ وعلى وجه العموم لمسنا منهم حب الدين وإقام الصلاة وتقديراً لأهل العلم؛ إلا أن تلقيهم الدين فطري ومن غير دراسة ولا تعمق في مفاهيم الإسلام؛ لذا فإن من السهل أن يذوبوا في المجتمع الجاهلي وأن يتأثروا بمن حولهم؛ ولا زالوا يعشقون البداوة وحب الجمل؛ وجل من حولهم من بادية آل مرة وقليل من الهواجر والدواسر.

٤ ـ كما قمنا بزيارة العلماء الشيخ عبدالله بن محمود؛ والشيخ أحمد بن حجر؛ والشيخ عبدالله الأنصاري؛ والسيد طه أحمد الحسيني؛ وهؤلاء الأربعة هم المشار إليهم كعلماء يحملون مسمى العلم ويمثلون القيادة الدينية في قطر؛ وقد جرى الحديث معهم في أكثر من مناسبة حول ضرورة القيام

بالدعوة وملئ الفجوات في نفوس الشباب.

٥ ـ وزارة المعارف استخلصنا منها بعض المعلومات عن المناهج وسير الدراسة في المواد الدينية وبعض معلومات عامة عن التعليم.

٦ ـ المحاكم الشرعية وهي محكمتان الكبرى وبها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمود؛ جهاز مستقل ويتبعها إدارة الأوقاف؛ وشؤون المساجد في قطر والصغرى وبها فضيلة الشيخ أحمد بن حجر والظاهر أنه ليس بينهما ترابط في الإدارة والتنظيم ولكن الكل يحكم بما يحال عليه من قبل المحكمة العدلية التي يرئسها الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد ونائب الحاكم.

٧ ـ دار الكتب التي تعتبر المأثرة الأولى لآل ثاني لإحياء التراث الإسلامي وتوزيع ذلك مجاناً؛ والمشرف العام هو الأستاذ عبد البديع صقر ولها بناية ضخمة وجهاز مستقل.

٨ ـ عرجنا على القرى التالية وألقينا فيها المواعظ وهي الخور والريان والغرافة والوكرة والوكير ودخان وأم سعيد؛ وهذه أهم مدن وقرى قطر؛ والمنطلق لهذه القرى الدوحة العاصمة المعمورة وعلى ضوء ما عرضناه فإننا نحصر الحديث في أربع نقاط وعليها يدور فلك الأعمال وبها يعرف جوانب الإصلاح وهي:

ـ آل ثاني الأسرة الحاكمة.

ـ العلماء القضاة ومن يحاكيهم في المظهر والمخبر.

ـ الشباب يدخل فيهم عمال الشركة والمدرسين والطبقة الواعية فيهم.

ـ السواد الأعظم: أعني عامة الشعب ما سوى الأصناف الثلاثة؛ والحديث عن هؤلاء الأربعة حول نقاط الضعف التي قد تكون حجر عثرة في سير العاملين أو تكون سبب هزيمة للمقومات الدينية في المجتمع؛ وقد تحرينا في ذلك كل ما هو صحيح وواقع ولا نزكي على الله أحد والله المستعان.

أ ـ آل ثاني وعلى رأسهم الحاكم وأسرته القريبة يحكمون البلاد حكم

قبلي؛ جرياً على ما هم عليه قبل موارد الثروة وعجزاً منهم عن إدارة الأعمال وفق مقتضيات العصر ومتطلباته؛ ولم يتجه آل ثاني للإصلاح الجذري لا في نظام الحكم ولا في المقومات المعنوية؛ حتى في صفوف شبابهم فضلاً عن الشعب أورجال العمل؛ وقد لمسنا تذمراً يبدوا من فلتات الألسن على نظام الحكم القائم؛ وخاصة التصرفات في موارد البلاد ما لا يتفق مع مصلحة الجمهور والأنانية الكاملة من آل ثاني واعتبار غيرهم أمراً ثانوياً؛ وهذا شيء مؤذن بخطر وأخذ في التزايد وليس له من مقاومة غير التسليم المطلق لما تجري به الريح؛ ويكثر الحديث عنهم في الخلافات الجزئية بينهم وانقسامهم على أنفسهم وما يملكه كل منهم؛ سواء كان في قطر أو خارجه وتكاليف القصور المترامية الأطراف بالحدائق الغناء ووسائل الراحة؛ ورغم هذا فإنه لم يطرأ إصلاح وتجديد حول رغبات الشباب مما قد يخفف من سورة الغضب عليهم؛ اللهم إلا في مجال الترفيه وعدم الرقابة الجادة على وسائله.

ب ـ العلماء: وهم أقل من عدد أصابع اليد؛ الواحدة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ: عبدالله بن محمود القاضي الشرعي الأسبق؛ بعيد عن إدراك تطورات العصر؛ عندما سألناه عن النوادي الرياضية في قطر ومدى صلته بالشباب أجاب: بأن هذه النوادي شر محض؛ ونحن نطالب بإغلاقها وعدم السماح بتجمعات الشباب؛ إلا ما شرع فيه التجمع كدور العلم والمساجد؛ وهو بهذا يطلب محالاً ويسعى لمعدوم؛ كما ذكر لنا عنه أنه إلى عهد قريب لا يصدق بخبر الهلال إذا كان مصدر الخبر من الإذاعة؛ هذا نموذج من جموده وعدم اعتداده لكلما هو جديد وصالح؛ ولكنه في مجالسه عالم فقيه يمثل الطبقة الأولى من علماء نجد وصالحيها؛ وللناس عليه مأخذ قد يكون أكثرها ناتج عن سبب طبيعة العمل؛ ولأن هنا من يسخط بعد سقوط الحكم على خلاف ما يهوى وعلى العموم فهو رجل

فاضل من الطراز الأول؛ له كسب وعليه ما اكتسب.

ج ـ الشيخ أحمد بن حجر: مطلع ويريد أن يفهم كل شيء على وجهه الصحيح؛ ويقتني كل كتاب يصدر مما جد من الكتب الإسلامية؟ إلا أنه انزوائي لا يختلط بأحد ولا يعمل في غير وظيفته؛ لعل ذلك ناتج عن شعوره بأنه ضعيف في البلد وليس من أهل البلد الأصلين أو أن ظروف عمله تقتضي ذلك.

د ـ أما العالم الثالث فهو الشيخ: عبدالله الأنصاري قطري المنشأ والولادة؛ وهو عالم فاضل غيور يتشبث بالدعوة ويقوم على تغيير المنكرات؛ وهو يقوم بإدارة الشؤون القروية؛ وقد كان له كلمة مسموعة لدى الحاكم ولكثرة ما يراجعهم في انتشار المنكرات فقد خفت كلمته وضعف جانبه؛ إلا أن له شعبية ومحبة عند الناس وهو على ما يظهر من الرجال العلماء والقائمين بأمر الله؛ وله ابن شاب صالح خريج الجامعة الإسلامية يرجى له مستقبل حسن وتوفيق من الله.

هـ ـ أما السيد أحمد طه الحسيني؛ فقد قدم قطر منذ عشرين سنة كما قال بعد جولاته في المملكة الحجاز والظهران؛ وقد استقر به القرار إذ عينه الشيخ علي بن عبدالله الحاكم الأسبق إماماً وخطيباً لمسجد جامع أم سعيد؛ وهو أزهري وقد شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م كما يقول؛ يحسن الوعظ والخطابة الارتجالية وهو على جانب من الدين وحب الخير والعطف على الغرباء وخاصة جماعته اليمنيين الشمالين؛ ورغم أن وظيفته مرشد فهو لا يقوم بغير الخطابة في المسجد يوم الجمعة؛ ومن حيث المعتقد فقد ذكر لنا عنه أخطاء عقائدية والظاهر أنه لا يعدو أن يكون أشعري في الصفات؛ وله حديث في السياسة واستطلاع على الأنباء العالمية وتتبع السياسة العربية؛ وهو يميل حيث القوم مالوا؛ هؤلاء هم العلماء لنستطيع أن نقول من خلال ذلك إن قطر قفر من العلم والعلماء صفر اليدين في

التوجيه الديني؛ وكلهم سوى الأنصاري وافدون على قطر.

و ـ الشباب ومن في حوزتهم من مثقفي عمال الشركة خريجي المدارس ومن يدعون بالطبقة الواعية إذا صحة التسمية.

قطر في سطور:

١ ـ تعداد السكان ثمانون ألف نسمة في الدوحة سبعون ألف.

٢ ـ تعداد المساجد ٣٦٠ منها ٢٤ جامعاً.

٣ ـ القضاة الشرعيون والقاضي المدني واحد نائب الحاكم.

٤ ـ المدارس الابتدائية ٧٤؛ والمتوسطة سبعة؛ وثانوي عام اثنين مهني اثنين ثانوي معلمين اثنين المجموع ثمان وثمانين مدرسة في جميع المراحل.

٥ ـ لا يوجد غير وزارتين المالية والمعارف.

٦ ـ أسرة آل ثاني يتجاوزون ست مائة رجل.

٧ ـ تكثر النوادي الرياضة غير الثقافية سوى نوادي الشركة.

٨ ـ تعرض أفلام سينمائية وبشكل غير رسمي وبكثرة.

٩ ـ تعتمد قطر على المملكة في كثير من الواردات الاقتصادية.

الخاتمة: قد يلاحظ في التقرير ذكر الشخصيات والتعرض لأسرة الحكم وهذا شيء نراه ضروري لزاوية البناء؛ حيث صار أغلب الفساد من جهتهم فهم أيضاً عوامل إصلاح متى استخدموا لذلك ولم يكن القصد التشويه والتشهير بنقاط الضعف؛ ولكن ذلك جاء للمصلحة؛ هذا وقد أغفلنا كثيراً من المشاهدات والأعمال التي قمنا بها بغية الاختصار ولعدم أهمية ذلك في مجال العمل المستقبلي؛ والله ولي التوفيق.

حرر بتاريخ ١٠/٦/١٣٨٩هـ.

بقلم إسماعيل بن سعد بن عتيق.

حضرة الأستاذ الجليل عمر تهاني ناجي مختار سلمه الله وعافاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وقع في يدي كتابكم «تحفة الودود» في ترجمة علامة قطر عبدالله بن زيد آل محمود؛ وهو البحث الفائز بجائزة المسابقة الأولى عام ١٤٢٣هـ نهنئك لهذا التوجه إبراز الإعلام وترجمة علماء الإسلام فإنهم القادة والمثال للإقتداء والتأسي، والعلامة الشيخ عبدالله من أفذاذ العلماء ومن له الصدارة في العلم والقيادة مع شرف النسب وطيب المحتدى؛ إذ ينتسب إلى البيت الشريف وهو داخل إن شاء الله في من دعا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ وقد عرفت الشيخ عن ما يزيد على أربعين عاماً بل بالتحديد عام ١٣٨٠هـ ومن بعد هذا التاريخ تكررت زيارتي لقطر في زيارة شخصية وأعمال رسمية؛ منها القيام بالدعوة إلى الله في مناطق الخليج عام ١٣٩٥هـ وما بعده؛ وكان يصحبني في هذه المهمة أخونا الدكتور سعود الفنيسان وجرى اللقاء بالشيخ مراراً وتكراراً ولذا كتبت عنه ضمن من كتبت في كتابي: «أعلام وعلماء عايشتهم» وأوضحت بعض ما يجب له من الإكرام والتقدير وما هو عليه من مكانة علياء ومقام أسمى؛ وهو يستحق الإكثار فمناقبه عديدة ومساعيه حميدة؛ لا سيما وأنه قد أمضى حقبة من عمره في خدمة الدين والدولة في المملكة وفي قطر فهو بحق زعيم ورائد ومصلح ومجدد يغفر الله له ؛وبعد الإطلاع على كتابكم «تحفة الودود» وبالأخص ما أوردتم في صفحة ٩٢ مما نقلتموه عن الدكتور محمد الشويعر وما قاله الشيخ زهير الشاويش؛ وبينما قاله إسماعيل بن عتيق؛ كان بودي قبل تحرير ما كتبتم الإطلاع على كتابي «تاريخ من لا ينساه التاريخ» بدون قراءة جمل مقطعة ونقل ليس فيه توضيح؛ كما وددت أنكم أطلعتم على فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم؛ وبالأخص الجزء الخامس وفيه كتاب الحج والذي ضمنه الرد على الشيخ عبدالله بن محمود؛ وقد ذكر سماحة المفتي في

فتاويه أن الشيخ عبدالله بن محمود أطلعه على كتابه بعد أن نشره ووزعه وطبع منه الألوف فرغب من سماحته إعطاء رأيه في الكتاب؛ فعجب الشيخ المفتي كيف يطلب رأيه وقد وزع الكتاب في الداخل والخارج؛ ثم إن سماحة المفتي هم بالرد عليه غير أنه رأى إبلاغ ولي الأمر الملك سعود عن هذه الرسالة وما كتبه الشيخ بن محمود في مناسك الحج مناهض لما عليه العمل؛ قال الشيخ: وبعد مدة ليست بالطويلة؛ حضر ابن محمود الرياض وجرى البحث معه في ما كتبه بحضور بعض المشايخ والإخوان؛ فأظهر الشيخ بن محمود الندم والتوبة والرجوع عما قاله وكتب هذا بقلمه؛ قال المفتي: فحمدنا الله على توبته وإنابته؛ إلا أنه رغب أن يكتب كتاباً فيه تفصيل وتوضيح يناقض ماكتبه في المناسك؛ فكتب ابن محمود كتاباً آخر ووعد بإعداد كتاب ينقض ما كتبه في الكتاب الأول؛ ونص الرسالتين من الشيخ عبدالله بن محمود مضمنة في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم بنصها وفصها؛ ثم ذكر سماحة المفتي أنه مضى زمن ليس باليسير ولم يفي الشيخ عبدالله بوعده وتوبته ورجوعه؛ فلذا قام الشيخ محمد بن إبراهيم بكتابة الرد؛ وما نقلته عن الشيخ زهير أنه لم يتراجع عن رأيه فعل هذا أخذاً بما استقر عليه رأي الشيخ في عدم الرجوع بعد ما أستقر في قطر وابتعد عن المحاسبة والمناقشة؛ وفي ما نقله الدكتور محمد الشويعر: (عني لم يكن الشيخ محمد صاحب قلم وردود على أحد العبارة) فيها نقص كثير؛ إذ أنني عللت هذا بعلل منها: انشغال الشيخ في التعليم قرابة خمسين عاماً؛ وقد يكون في المردود عليه شهرة وإثارة لشبه مغمورة؛ كما ذكرت أن السلطة إذا كانت لها يد في الإصطلاح فهو أولى من الردود التحريرية؛ وذكرت ثلاثة أمثلة وهي أن الشيخ: عبدالرحمن بن سعدي ألف رسالة ذكر فيها أن يأجوج ومأجوج هم الصين؛ فاستدعي إلى الرياض من عنيزة بحضور الملك عبدالعزيز وجمع من العلماء؛ فرجع الشيخ عما رآه وذكر أن

الكتاب لم يطبع وإنما هو رسالة مخطوطة؛ وإذا يرى العلماء خلاف ذلك فإني لا أخالفهم؛ والمثال الثاني الشيخ: عبدالله بن محمود حينما ألف رسالته في الحج استدعي في مجلس الملك سعود وبحضور العلماء وجرى ما جرى مما ذكرته؛ أما الثالث فهو ما كتبه الشيخ: سليمان بن حمدان في عدم جواز نقل مقام إبراهيم من مكانه الحالي توسعة للمطاف؛ فسماحة المفتي رد على ابن محمود وعلى ابن حمدان؛ أما ابن سعدي فلم ينشر كتابه إلا بعد وفاته.

وقد ورد في كتابكم عبارة المناظرة بين الشيخ عبدالله وعلماء الرياض؛ والصحيح ألا مناظرة ولا جدل؛ وإنما هو بحث ومذاكرة؛ فالشيخ عبدالله يعتبر من الرعايا السعودية مولداً ونشأة وتعلماً وعملاً؛ كما أن تواصل الدولتين السعودية والقطرية إلى عهد قريب تواصل محبة وأخاء ووفاء؛ بحكم التوجه العقدي والمذهب الفقهي وصلة الأسلاف بين آل سعود وآل ثاني؛ وبهذه المناسبة فإني أذكر لك أنني كنت في مجلس الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر آنذاك وهو في لبنان بعالية (الجبل)؛ وقد جاء الخبر بدخول شهر رمضان في المملكة؛ غير أن الشيخ عبدالله بن محمود لم يعلن دخول شهر رمضان حسب رؤية المملكة؛ فأمر الشيخ علي أن يبرق لابن محمود بدخول رمضان؛ وقال: نحن تبعاً للسعودية في القديم والحديث.

هذا وفي الختام أشكر لكم زيارتكم في منزلي المتواضع بصحبة الأخ الأستاذ عبدالإله الشايع بعد عصر يوم مبارك؛ كما أتمنى لكم التوفيق والتسديد في توجهاتكم إبراز العلماء والأعيان؛ ولا يكون هدفكم نيل الجائزة فتحملكم على التصنع والمجاملة فإن الحق عليه نور فاصدقوا الله يصدقكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم:

إسماعيل بن سعد بن عتيق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإمارات العربية الخليجية

أبو ظبي - دبي - الشارقة - عجمان

أم القيوين - رأس الخيمة - الفجيرة

في عام ١٣٨٨هـ، كانت الجولة الأولى لدولة الإمارات العربية المتحدة، كان وصولنا إلى دبي وهي المركز التجاري والميناء العالمي لدول الخليج، كان طابع الرحلة دعوي محض من جملة مع المشايخ العلماء، فقد انفتحت الإمارات العربية إلى العالم الخارجي بعد تولى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عام ١٩٦٦م، وقيام الاتحاد عام ١٩٦٨م، مما جعل الخوف يساور الحكومة السعودية من تسرب مبادئ إلحادية أو ديانات ومبادئ خرافية، ولذا فقد بادرت بمد الجسر بينها وبين دول الخليج بإرسال الدعاة إلى الله - تعالى - وترشيح عدد من القضاة السعوديين أصحاب الكفاءة والخبرة والمرونة ليقفوا بجانب القضاة المدنيين، كما تم افتتاح معهد علمي تبعه دراسات عليا تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في إمارة رأس الخيمة؛ والإمارات تدعوا حاكمها بالشيخ مصطلح متعارف عليه.

وفي ذلك الوقت كان الحاكم للشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي وحاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي؛ وحاكم عجمان الشيخ راشد بن حميد النعيمي؛ وحاكم أم القيوين الشيخ أحمد بن راشد المعلا؛ وحاكم الفجيرة محمد بن حميد الشرقي؛ وحاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم؛ وحاكم أبو ظبي زايد بن سلطان آل نهيان.

كان مقر البعثة في دبي ومنها منطلق العمل في المساجد وزيارة الأعيان ومنهم الحكام والمدارس والأندية، وجدنا تقبلاً وارتياحاً وبخاصة في الإمارات الأربع (الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة)، ومما يذكر

أن هناك وشائج قربى بين القواسم والدعوة السلفية والحركية المرضية في الجزيرة العربية منذ القدم مما جعل الاستمرارية في الإكرام والتلقي باقٍ إلى يومنا هذا.

في منزل الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي للمرة الأولى نلتقي بالشيخ في مجلسه العام الذي يضم نخبة من التجار المستوردين للبضائع عن طريق البحر؛ والشيخ راشد هو رئيس أولئك التجار، كان مجلسه لا يمثل مجلس حكم أو إدارة أو مظاهر سياسية، وإنما كان مبسطاً للغاية.

جاءه رجل يشتكي إليه من أن شركة الكهرباء قد غرست عمود الكهرباء بجوار جداره الذي قد يشكل عليه خطراً؛ فقال الشيخ راشد: إن لم يرضك هذا فسنغرس العمود في رأسك، بهذه الإجابة انصرف صاحب الدعوى من غير تكرار لمطالبته، وكان الشيخ راشد يقول ذلك الحكم وهو يهز يده تهديداً وتخويفاً لمن يعارض المصلحة العامة.

جاء دورنا في الدعوة، عرضنا عليه أن في بر دبي قبراً يعبد ويعظم، فقال لهجته الدارجة: هذا مال العيم، والمعنى أن هذا القبر يخص الأعاجم، ويعني بهم مسلمي الهند والباكستان، فقلنا له: ولكنه في إمارتك، ومثل هذا لا يقر لأن فيه صرف عبادة لغير الله ـ عز وجل ـ، فاعتذر جدياً عن تغيير أو إزاحة هذا القبر، ولكن لا يمانع أن نذهب إليهم لنصحهم وإرشادهم.

انصرفنا آيسين من تجاوب الشيخ راشد في أمر كهذا؛ ولكن شاءت القدرة الربانية أن يقوم بعض أهل الغيرة بنسف ذلك القبر ليلاً وما عليه من المباني وأماكن الاعتكاف، ولم يحدث شيء يذكر من الاحتجاجات ولكنهم عادوا فبنوه مرة أخرى.

وسمعت فيما بعد أنه كلما بُني هُدم والحمد لله، وأظنه في الوقت الحاضر مهدوم وبأمر من الحكومة أن لا يعاد بنائه، وهذا يعطي صورة

مصغرة عن موقف الشيخ الحاكم من مثل هذه المظاهر الشركية البدعية.

في جزيرة أبو ظبي أو شبه الجزيرة حيث يجزر البحر؛ استعلمت الأخبار عن وضع هذه الجزيرة قبل السفر إليها، ومما علمته أنه لا يوجد فنادق ينزل فيها الضيف القادم غير ضيافة الحكومة، أو بالأصح ضيافة الشيخ زايد، فأبرقت برقية لسموه من دبي بواسطة مكتبه الذي أشبه بالسفارة أو القنصلية لأستخبر أحوال المسافرين إلى أبو ظبي، وفي اليوم الثاني ورد الموافقة على سفري إلى أبوظبي في الضيافة.

غادرت دبي بالطائرة، وعند سلم الطائرة في أبوظبي استقبلني مسئول التشريفات، ومن المطار إلى الضيافة حيث أسكنوني فيما يشبه الفندق من الدرجة الأولى فكان مريحاً للغاية، توقعت أن يسألونني عن برنامج عملي ومهمة رحلتي؛ فلم أجد من يستجوب سوى تقديم خدمات الطعام للوجبات الثلاث والمبيت بالضيافة.

وبعد يومين فوجئت وأنا أتقدم إلى غرفتي وجود ضجيج في الغرفة وازدحام فيها بالشباب المراهق ممن قدموا لدورة رياضية (كرة القدم)، ووجدت في غرفتي ما يزيد على خمسة عشر شاباً، النائم منهم والمستيقظ والمتفكه، وكان دخولي عليهم في غرابة المظهر أدى إلى تعجبهم، وهل يمكن لهذا الشيخ أن يظل مع الشباب، والحالة هذه تناولت حقيبتي وخرجت فوراً لأنام في بهو الضيافة حتى يأتي المسئول وأخبره بما حصل، وفعلاً جاء المشرف وعرضت عليه الحال، فقال: الأمر ما ترى هؤلاء شبابنا ولا بد لهم من سكن، خرجت مسرعاً في اليوم الثالث لأبحث عن مقر حتى أؤدي رسالتي على الوجه المطلوب، مع ما شاهدته من المتابعة لحركاتي وجولاتي في أبوظبي مما يدل على تخوفهم من الوافدين أياً كانوا، حيث كانت الإمارات في دور تكوين الاتحاد، وقد شاهدت جنسيات مختلفة في الضيافة.

في بيت الخزرجي:

الشيخ الخزرجي عالم فاضل مرموق في أبو ظبي وإن كان على خلاف مع العلماء أو أكثرهم في منطقة الخليج، صليت صلاة الظهر في مسجده وسرت معه حتى دخل بيته وأخبرته بأنني أرغب السكن، ولم أجد سكناً، فعرض عليَّ المكث في المجلس أو الديوانية بصحبة الشيخ ساطع الجميلي العراقي الوافد من دولة أوروبية، وهو الآخر كان في الضيافة، ثم فر منها إلى بيت الشيخ الخزرجي عفا الله عنه.

رضيت بالإقامة لسببين: عدم وجود سكن مريح في أبوظبي، والسبب الآخر التعرف على العلماء والاستفادة منهم أو التأثير عليهم؛ حيث أن المهمة تتطلب لقائي بطلبه العلم والمشايخ العلماء، بقيت في ضيافة الشيخ ومع الشيخ الجميلي وطال الحديث معه، وكان مرحاً فرحاً بالضيوف والوافدين إليه، وإن كانوا قلة حيث كان لا يشغل منصب ذا أهمية مما جعله يستقطب الوافدين وبخاصة طلاب العلم.

بقيت خمسة أيام حتى دبر الشيخ الجميلي مؤامرة لأغادر بيت الشيخ وينفرد هو بالحديث معه، قال لي الشيخ الجميلي وقد دخلنا المسجد لصلاة العصر إن الشيخ يعتذر عن الإمامة والصلاة في هذا الوقت وعليك أن تتقدم لتصلي بالناس، وفعلاً أمرت المؤذن وتقدمت للصلاة بالناس، فجاء الشيخ الخزرجي ونحن نصلّي، وبعد الصلاة انفعل الشيخ وغضب، كيف تقام الصلاة من غير إذن؟ ومن أذن لك بالتقدم، وكان الجميلي قد أدرك مقصوده في استثارة الشيخ وغضبه عليَّ، مما جعلني أعتذر إليه فيما بعد؛ ولكن مع مغادرة البيت والسفر إلى مدينة العين، المدينة الثانية في أبوظبي.

في مدينة العين ومقر الشيخ زايد

لم تكن العين بأسعد من أختها في تسهيل إقامة الوافد إليها، بل هي أشد وأنكى حيث يتحصن الحاكم في قصره ولا سبيل إلى الوصول إليه، سرحت طرفي وترددت في أمري كيف أصنع ولهيب الحرارة يكاد يشوي الوجوه والمدينة، لم تكن في مستوى المدن بل هي بيوت معدودة وأكثرها من العريش وصنادق الباعة من الهنود.

وقع نظري على بيت مجاور لقصر الشيخ زايد قد فُتح على المصراع الكبير، فوقع في نفسي أن هذا بيت يمكن أن أستضيف صاحبه، فتقدمت من غير استئذان حيث لم أرى أحداً ودخلت المجلس وانتظرت طويلاً فلم يأتِ أحد، فتناولت واحد من المتكآت ووضعت رأسي ونمت تلك الظهيرة، وقبيل آذان الظهر أيقظني شاب لعله من خدم ذلك البيت، فقلت له: متى يأتي عمك؟ فأخبرني أنه لا يأتي إلا في العصر، وطلبت منه الغداء أو القهوة أو ما شاء حيث أنني أحتاج إلى سد رمقي ذلك اليوم ولم أُطعم شيئاً، فقال: بعد صلاة الظهر يمكن تقديم الغداء، أذن لصلاة الظهر فصليت مكاني خشية أن يقفل الباب وأُحرم طعام الغداء.

بعد الصلاة وفّى بما وعد وجاء بغداء ليس بالكثير، ولكني وجدت فيه لذة وطعماً، حاولت أن أستنطق ذلك المستخدم عن صاحب هذا البيت أهو من الأمراء أو من الأعيان والتجار، ولكنه كان يلوذ بالفرار وعدم الإجابة، وقبيل صلاة العصر جاء صاحب الدار ورآني وهو يعبس وجهه ويسأل: من أنت؟ أخبرته بقصتي وحالي فقال: بيتي بجوار بيت الشيخ زايد، يريد أنه مراقب؛ ولكن والدي يحب السعوديين وسأذهب بك إليه لتكون ضيفاً عليه.

أمرني بالركوب معه إلى والده، والذي يقيم في العين، إلا أنه في مزرعة، وبيته من القش والخوص أشبه بالعريش، عرفته فيما بعد أنه من شيوخ البريمي وإن كان من القبائل البلوشية، لكنه ذو ثقل ومكانة عند بن جلوي وعند زايد.

رحب الشيخ بالسعودي الذي قدم لغرض ديني؛ وبقي يحدثني عن مواقفة مع سعود بن جلوي حيث قال: والله إني أحبه وأخافه، ونحن في هذه البلاد أمننا واستقرارنا بفضل الله ثم بهيبة ابن جلوي، ثم أخبرني بقصته حين دعاه ابن جلوي هو ومن يحب إلى الأحساء، قال: فما توانيت أو ترددت في استجابة أمره ولكن الخوف يساورني من ابن جلوي؛ فلعله يرى حبسي أو بقائي بجواره حيث كانت مشكلة البريمي قائمة؛ وبعد وصولي إليه أخبرني بأنه سيحج على السيارات ويرغب أن أصاحبه إلى الحج، فوافقت على ذلك من غير ارتياح ولا رغبة، ولكن هيبة الأمير تمنعني من الاعتذار، تم الحج معه والحمد لله، وبعد الانصراف من مكة قال لي: سنذهب إلى حائل وأنت تكون معي لوحدك، فقال: قلت في نفسي: حبسي في حائل والله المستعان، ولكن تبين بعد ذاك أن ابن جلوي يريد الزواج من بنت بن مساعد ويرغب صحبتي معه.

أمضيت قرابة أسبوع في بيت هذا الشيخ، فإن لم تخني الذاكرة اسمه محمود البلوشي شيخ البلوشن في البريمي؛ جزاه الله خيراً وغفر له.

www.moswarat.com

في مجلس حاكم الشارقة
الشيخ خالد بن محمد القاسمي

لم نرى في المظهر والمخبر ممن يمثل الإمارة حق التمثيل مثل الشيخ خالد، فقد كانت مجالسه تكتظ بالزوار والوافدين المحبين له غير المستجدين الراغبين في عونه، ولكن خلقه الكريم وتواضعه الجم وتعرفه على أحوال الزائر وانفتاحه في الحديث يجعل له في الناس منزلة تفوق أرباب العطاء والهبات الرسمية.

لقد تكررت الزيارة في مجلس الشيخ خالد حتى كادت أن تكون رتيبة، يجري البحث في مسائل اجتماعية ودينية وتاريخية، حدثنا هو قال: جاء إلى مجلسي الشيخ محمد نور من علماء دبي ومن المجاورين في مكة المكرمة، وأنكر عليَّ حلق لحيتي فأجبته فوراً: أيهما في رأي الشيخ حلق اللحية أم إقرار الوثنية والعبودية لغير الله ـ عز وجل ـ، يشير بذلك إلى أن ابن مكتوم ملتحي لكنه يقر عبادة القبور في بلده، قال: فما كررها بعد ذلك ولا غرابة، فإن جليسه ومشيره العالم والعلامة ذو الوجاهة الشيخ: عبدالله بن حمود آل محمود لا يكاد يفارق مجلسه، وعن طريقه تسير إليه قاطرة العلماء وبخاصة من المملكة، والشيخ عبدالله له مواقف صلبة وقوية مع بقية أمراء الخليج، وكان ناصحاً واضح الهدف فيما يدعو إليه ـ رحمه الله ـ وغفر له.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الإمارات أقرت كل دعم وتأييد من المملكة تجاه الدعوة والتعليم والقضاء، عدا إمارتين هما دبي وأبوظبي وحجتهم أنهم على مذهب الإمام مالك، ولهذا يستقطبون فقهاء المذهب المالكي من الأحساء وموريتانيا والسودان.

رفع
عبدالرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عجمان وأم القيوين

أشبه بقريتين نائيتين عن كل معنى في الحياة، غير أن عجمان يحكمها الشيخ راشد بن حميد النعيمي وهو يمثل في مظهره الزي السعودي بلبس عقال «المقصب المذهب» ويظهر العمل بما عليه الأئمة الحنابلة في الفقه وما عليه السلف في المعتقد، وأخبرونا بأنه يقيم الحدود الشرعية على مرتكبي من يستحق الحد، كالخمر والزنا، بل وقد أفادوا أنه بنفسه يباشر إزالة المنكر حينما يراه؛ ويدعو الناس لأداء الصلوات في المساجد، وهذه ميزة انفرد بها الشيخ راشد، وهو كث اللحية وسيم، حاد النظر ـ رحمة الله عليه ـ.

أما أم القيوين ويدعونها بأم القوتين وحاكمها الشيخ أحمد المعلا فلم نرى فيها ما يذكر غير أننا استضفنا في يوم حار الشيخ عبدالرحمن بن عتيق الذي يعتبر شيخ الإمارة، فقد أتى إليها منذ زمن وهو من أهل الخرج في نجد، لقد أجاد بإكرامنا ومعي أحد الأخوة بتقديم غذائه المتواضع؛ مع اعتذاره من عدم وجود أدم من اللحم أو السمك في مثل بلدنا هذا في هذا الوقت.

قبلنا عذره وطلبنا مساعدته في تسهيل تجميع الناس لنا في المساجد حتى يتم قيام الدرس، ولكنه اعتذر لأن أكثرية سكان البلد في البحر، وإذا جاؤوا ليلاً فإنهم على قدر من الجهد والتعب لا يتمكنون من الجلوس والإرتياح، كان هذا في عام ١٣٨٩هـ، والآن وقد تبدلت الأحوال أصبحت الإمارتين أم القيوين وعجمان من المدن الكبيرة، والذي تمت فيها الخدمات الضرورية كالكهرباء والماء والتعليم، وذلك بفضل الله؛ ثم باتحاد الإمارات وقيام دولتهم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رأس الخيمة

في نهاية الإمارات الخليجية تقع إمارة رأس الخيمة والتي يحكمها الشيخ صقر بن محمد القاسمي ابن عم حاكم الشارقة.

تعرفنا على الأمير صقر ودعانا لمأدبة عشاء ليلاً في بيته المتواضع، والشيخ صقر فيما حكي عنه أنه من أهل الطاعة والتوجه إلى الله ـ عز وجل ـ في أداء الصلوات وقيام الليل.

استجبنا دعوته وحاولنا التأثير عليه بتخفيف بعض المظاهر المخالفة في الإمارة، ولكنه يظهر من حاله أن النصائح قد تكررت على مسمعه من أمثالنا، غير إنه يخطوا خطوات إلى تقدم البلد والنظرة السائدة.

إن حرية الفرد وعدم مضايقة الأجانب هي من أسباب تقدم بلاد رأس الخيمة وتوابعها، لا زالوا يعيشون عيشة البساطة وعدم التكلف، أدركنا ذلك من بيت الشيخ ومأدبته التي قدمها لنا كضيوف، كان ذلك الوقت أي في عام ١٣٨٩هـ، كل الإمارات بهذا الحال وقد تبدلت الإحوال، قامت المملكة العربية السعودية بافتتاح المعهد العلمي ليكون نواة لجامعة إسلامية تحتضن أبناء الخليج لتخريج الدعاة والمدرسين والقضاة، غير أن مما يؤسف له عدم التقبل الكلي من أبناء الخليج خاصة بعد الثروة البترولية وميول الأكثرية إلى الترف بل وإلى المدارس الأجنبية، ولكن بحمد الله استمر المعهد وتم فتح دراسات عليا فيه، وظهرت آثار هذا المنار العلمي والحمد لله؛ فجزى الله حكومة المملكة وعلمائها خير الجزاء في استنقاذ هذه الإمارات من التشيع أو التعبد الخرافي كالصوفية وأرباب المقابر والحمد لله.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو ظبـــي

من ١٥/ ٤ إلى ٣٠/ ٤/ ١٣٨٩هـ أي خمســة عشــر يومــاً مدة الإقامة عشرة أيام في أبو ظبي وخمسة أيام في العين ومن خلال هذه المدة مارست جميع النشــاطات الممكنة واستخلصت فيها بعض معلومات أسجل منها ما له مساس طبيعة العمل وهي:

١ ـ أبو ظبي إحدى بلاد ساحل عمان؛ تقع في الساحل الغربي منه بين دبي من المشرق وقطر والمملكة من الغرب.

٢ ـ تنقسم إلى إقليمين رئيسيين أبوظبي والعين؛ وأبوظبي تقع في عرض البحر على رأس جزيرة مساحتها ١٢ ميل وفي حالة الجزر تكون شبه جزيرة والعين على بعد مساحة ١٤٠ كيلو متر من أبوظبي من حدود مسقط وإمارة عمان تلي البريمي جنوباً.

٣ ـ الســكان من ثلاث ســنوات وبعد عزل الحاكم الأول شــخبوط بن ســلطان من الحكم والذي دام حكمه أكثر من أربعين ســنة؛ تولى زايد بن ســلطان وفتحت البلاد ذراعيها للأجانــب؛ وفق مقتضيات الحال وضرورة إنجاز المشــاريع التي أمر بها الحاكم الجديد؛ لذا نجد الخليط من الناس عرباً وعجماً؛ ويكثر الفلســطينيون ويقدر عددهم بســبعة آلاف؛ ثم السودانيون فالمصريون فعرب الجزيرة من اليمن وعدن وبعض من قبائل مسقط وعمان؛ ومن غير العرب يكثر البلوش ولبنان والإيرانيون الشيعة والهنود والباكستانيون ولكنهم على مســتوى منحط من العلم والثقافة؛ أمــا الأوربيون فيندر أن تراهم لقلتهم وترفعهم عن مســتوى الأعمال البسيطة التي تستدعي مخالطة الناس أو بروزهم على صعيد العامة؛ وقل أن تجد من غير ما أشــرت إليه من أجناس البشــر؛ أما تعداد السكان الأصليين فبسؤال الشيوخ الكبار من

أهل البلد أجابوا بأنه منذ عشر سنوات لا يتجاوز سكان أبو ظبي ثلاث مائة رجل؛ والعين في حدود المائتين رجل؛ وقد يعنون بهذا القاطنين من الحاضرة غير البوادي ومن ليس له ملك في البلد؛ أو أن ذلك جاء في سياق كلام للتعجب من تطور البلاد وتقدمها وقد لا يخلو من المبالغة في قلة التعداد للسكان؛ أما من يعمل في الإحصاء فيقولون أهل أبوظبي والعين الأصليين لا يتجاوزون خمسة ألاف إلى سبعة ألاف؛ فقط وقد نشر في كتاب عمان والإمارات المتصالحة أن تعداد سكان أبو ظبي ثمانية عشر ألف؛ كما نشر في كتاب نهضة أبوظبي أن تعداد السكان خمسون ألف حسب آخر إحصاء في شهر مارس ١٩٦٨م؛ والأمر لا يخلو من مبالغات ومناورات في تعداد السكان.

٤ ـ الإدارة والحكم لا يكاد يذكر في البلد غير اسم الحاكم؛ حتى لقد قيل: إنه كان يخطط الشوارع بنفسه ويرسم البيوت الشعبية برجله ويخطها بعصاه؛ وقد ولي بعض أقاربه إدارة بعض الأعمال فجعل ابنه خليفة حاكم منطقة العين؛ ونائب الحاكم في غيبته وولي عهد؛ كما رشح مبارك بن محمد آل نهيان إدارة الشرطة والأمن العام؛ والشيخ أحمد بن حامد إدارة العمل؛ والشيخ خليفة بن محمد الكهرباء؛ والشيخ محمد بن خالد للمالية؛ والشيخ سرور بن محمد للعدل؛ والمعارف والصحة والمياه الشيخ حمدان بن محمد؛ وفي خطة الأعمال الخمسية ٦٨ـ ١٩٧٢ إحدى عشر مصلحة المعارف والصحة والزراعة والصناعة والمواصلات والبلديات والإسكان والعمل والسياحة والمباني العامة قروض؛ ويدير أكثر الأعمال الفلسطينيون تحت إشراف المشايخ الحكام أو أسرة الحاكم؛ ومن حيث الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ففي أبوظبي الشيخ محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي من طلاب العلم؛ فقد نصبوه قاضياً شرعياً يحكم ويصلح على المذهب المالكي وهو رجل فاضل لا بأس به من حيث المعرفة واللياقة.

وفي العين الشيخ مقرن؛ كبير السن ضعيف المعرفة أن يكون في قدوم الشيخ أحمد المبارك إلى أبوظبي ما يلفت أنظار الحكام إلى ضرورة تنفيذ حكم الشرع وإبطال الأحكام سواه؛ إلا أنهم أخيراً طلبوا من الأردن قضاة مدنيين؛ في العين واحد؛ وفي أبوظبي واحد؛ وقد استنكر الرأي العام سير القضاة الخلقية ومايصدر منهم من أحكام مخالفة للشرع ويمجها العقل السليم؛ فقد حدثني أن امرأة زنت فحكم القاضي الشرعي بجلد البكر ورجم الثيب ولم يرض الحاكم بهذا الحكم فأحالها إلى القاضي القانوني؛ فحكم بأن يسلم الرجل مبلغ من المال مقابل الاستمتاع بها وأن يتزوجها وله أن يطلقها فيما بعد إذا لم تصلح الأحوال؛ فكان حكماً غريباً يتحدث به الناس فهم ما زالوا على الفطرة إلا أن الشعب وخاصة الكبار منهم في السن لا يقدرون على مجابهة الحاكم؛ لاستنكار هذه الأحكام والحاكم نفسه يستجهل أهل البلد ولا يراهم أهلاً لاعتداد بآرائهم واستنكار ما أنكروه؛ ولو كان ذلك من تعاليم الشرع وأحكام الدين.

٥ ـ يبلغ عدد المساجد في أبوظبي قرابة خمسة عشر مسجد؛ وفي العين أقل من ذلك إلا أن القرى التابعة للعين عدد المساجد أكثر بقليل من أبوظبي؛ وقد ظهرت أحياء جديدة ومساكن شعبية لم يخط فيها خطة مسجد فضلاً أن تقوم الحكومة ببنائها؛ ومن الأسف جداً أن الشيخ خالد بن سلطان أخو الحاكم قام ببناء كنيستين للنصارى في أبوظبي في الحي المسمى بالخدية؛ وهذا يعطي صورة لا يستهان بها عن مدى وجميع ما في أبوظبي من المساجد يقوم ببنائها محسنون عدى المسجدين الرسميين في أبوظبي وفي العين؛ وإذا كان هذا من شأن عمارة المساجد من باب أولى عدم رعايتها للأمة والمؤذنين إلا ماكان من قبل المحسنين؛ كما أن من الملاحظ أن المصلين من غير العرب ونادراً أن ترى العربي يقصد المسجد للصلاة وقد يوجد ذلك في أطراف البلد.

٦ ـ التعليم كان في ما سبق يدير المعارف إنجليزي؛ وأخيراً انتدبوا الدكتور الهاشمي عراقي من بغداد؛ وفي مقابلتي له ظهر لي منه شخصية العالم؛ كما قيل عنه: إنه متدين؛ وقد اختاروه لإعداد المناهج الدراسية من الابتدائية منهج الأردن؛ وقد فتحوا منذ سنتين معهد سموه المعهد العلمي يضم فصلين أولى وثانية ويقوم بالتعليم بعض أساتذة من سوريا والأردن ويرجى له مستقبلاً حسناً؛ هذا وتقوم الحكومة بإبتعاث عدد من طلاب الخليج إلى أوربا لندن والقاهرة وبغداد للدراسة الجامعية والثانوية وبعضاً للابتدائية؛ وعلى العموم فالطابع في التعليم في أبوظبي طابع مادي لا يقوم على روح التدين لندرة المدرس المسلم؛ هذا وقد فتحت حكومة أبوظبي معهداً دينياً في عجمان وسارت الدراسة فيه سيراً حسناً.

٧ ـ سياسة: تتجه أنظار أبناء الساحل وخاصة دبي والشارقة وعجمان وأم القوين نحو إمارة أبوظبي وحكومتها المهيمنة عليهم؛ فبفضل تدفق البترول جعلت الحاكم يبدي سخاء ويبذل من وسعه على الإمارات المذكورة؛ فقد بنى أحياء شعبية وعمل الطرقات؛ بل لقد وفر تكاليف الكهرباء وبعث أربعمائة وسبعين طالباً لتلقي الدراسة في الخارج وفتح المعهد في عجمان؛ وبهذه المساعدات السخية العلنية منها والسرية يلهج الناس بالثناء العاطر على حكومة أبوظبي وعلى الشيخ زايد خاصة؛ كما أن الوافد لأبوظبي يلقى كل إكرام وإجلال؛ والفنادق في أبوظبي هي ضيافة الحكومة؛ وبهذا أخذت شوطاً في الدعاية وهي في طريقها إلى تثبيت شخصيتها والاعتراف بها كحكومة ترعى شؤون الخليج وثبت فيه روح الحياة وتؤمن له مستقبله؛ ويتحدث الناس في أن مطار أبوظبي سيكون أكبر مطار في الشرق الأوسط.

وقد كان لفتح المعهد العلمي في رأس الخيمة ووجود مدرسين من السعودية أحدث ظاهرة من نوعها؛ ولها أبلغ الأثر في تقوية الروابط

والصلة الروحية وتبادل المشاعر العامة لدى المواطنين أنفسهم وأسرة التعليم في المعهد.

٨ ـ أوجه الإصلاح: يمكن حصر أوجه الإصلاح في الأمور التالية الممكنة: المدرسة والمسجد؛ فالمحكمة؛ وفض الخصومات بين الناس على هدي من الله ونور؛ والمدرسة: تنشئ التعليم الصحيح والاطمئنان على مستقبل الجيل العقائدي والمسجد ينبوع الطاعة والإيمان بالغيب والحاجز المنيع لتسرب الشر لدى المصلين؛ وهذا جل ما يتطلبه المجتمع الإسلامي وينبني عليه قواعد الأمن ودعامات الإيمان؛ والطريق إلى إصلاح هذه المعاقل طريق شائك وعسر للغاية لا يكفي جهود الأفراد ولا تنفع فيه الشكليات والروتينيات الرسمية ولكن بتعاون الحكومات الإسلامية مع الهيئات الدينية ورجال الدعوة والإصلاح مع حسن المقاصد وسلامة النية؛ يمكن إصلاح ذلك وعلى ضوء ماتقدم تقترح مايلي:

أ ـ بالنسبة للمحاكم إرسال وفد على مستوى رؤساء محاكم وعرض المساعدات التي يمكن للحكومة السعودية تقديمها كتعزيز لإقامة الحكم الإسلامي والتعاون في مجال الدين وذلك لكافة الإمارات.

ب ـ الإيعاز لرؤساء الجمعيات الإسلامية خارج المملكة بتعهد أمراء الخليج بالمناصحات ومناشدتهم إياهم تحكيم الشرع في بلادهم سواء كان ذلك بالمراسلات أو الاتصالات الشخصية؛ ويعطى لطلاب؛ العلم فرصة لزيارة الخليج المتكررة للاحتكاك بالعامة والخاصة وللقيام بالتوعية الدينية حول قضايا معينة.

ج ـ أما بالنسبة للمدرسة فالعلة التي نراها في أبوظبي هي ما نشكوها في مدارسنا في المملكة؛ وذلك جلب المدرسين الدهريين توظيف من يتخرج من الجامعات الإسلامية في كل عام وهم عدد لا بأس به؛ وإيجاد صلة بين رئاسة الجامعة وإدارة التعليم في أبوظبي ليتم بذلك التعاقد مع

الراغبين للتعليم والإعدادي والثانوي في أبوظبي.

د ـ أما بالنسبة للمساجد فهي لا تقل أهمية عن ما تقدم؛ ومن السهل جداً أن يكثر عدد المساجد ويتنافس الناس في رفع مناراتها وزخرفتها ولكن هذا شطر من عمارتها؛ وأما بالنسبة للشطر الثاني وهو عمارتها المعنوية وإقامة الصلاة على الوجه المطلوب فيها واختيار الرجل الصالح فهذا الأمر لا يقل أهمية من الشطر قبله بل هو الأساس لعمارة المساجد؛ ولا أدري هل من الممكن أن تتفق الجهات الدينية في المملكة وفي أبوظبي على اختيار أئمة مساجد خاصة الجمع من طلاب العلم في السعودية؛ ويقوم بجانب ذلك بالتدريس والوعظ ومواصلة النشاطات الدينية؛ إذا تم هذا فسيكون للمساجد أثرها النافع في التوجيه وهذا يحتاج إلى تفاوض من الجانبين وليس بذلك أهمية في النواحي السياسية الداخلية.

هذا وفي الختام وبعد إعداد هذا التقرير الذي مضى على إعداده أربعون عام لم يكن سوى مذكرات شخصية وأراء فردية؛ لايبنى عليها إجراءات رسمية ولادراسة؛ ولم يكن في الذاكرة أن هذا التقرير يبقى في أرشيف مكتبتي الخاصة لأعيد النظر فيه وإدراجه ضمن مذكراتي في جولاتي عبر القارات؛ وليعلم القارئ الفوارق الزمنية بين إعداد هذا التقرير وبين الواقع الحالي؛ وما بين الزمانين من تباين شاسع واختلاف كبير؛ فلتاريخ سجلت وللمعلومات كتبت؛ والله يتولى عباده الصالحين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سوريا

رمت بنا الأقدار في عام ١٣٨١هـ، أن أكون في الشام دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية، والتي كانت تلك الأيام قد توحدت مع جمهورية مصر فكانتا جمهورية متحدة.

وفي فندق الوردات الثلاث، الفندق المتواضع والتي لا يتجاوز أجرة النزول فيه ليرة ونصف الليرة السورية، وكانت الليرة آنذاك تعادل ريال وربع الريال سعودي.

لقد انطبع في ذهني ذكريات كثيرة عن بلاد الشام العاصمة الأموية، وفيها الآثار العربيةوالآثار الإسلامية والتركية، وفيها من العلماء والقادة الزعماء رغم الضغوط الناصرية ورغم التشدد القومي والحزبي، حزب البعث الاشتراكي، نعم إنها دمشق معقل من معاقل الإسلام وعاصمة الدولة الأمويةوالتي استقر بها معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ فأسسها عاصمة للدولة الأموية، وفي هذه العجالة التي أكنها في ذاكرتي، وبعض ما سجلته أثناء زيارتي الأولى لسوريا والتي شملت دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية، غير أن استقراري وارتياحي كان في دمشق، وكانت مدة الإقامة في أول زيارة إلى سوريا في العام المشار إليه ثلاثة أشهر، كانت في الصيف، ولا أنسى ذلك الرغد في العيش ورخص الأسعار وتواجد الأشياء الضرورية وتنوع الفواكه؛ مما لم نعهده أو نعرفه في بلادنا آنذاك وكان الغرض من تلك الزيارة الاستجمام والراحة بعد علاج في لبنان دام عاماً ونصف عام.

المكتبة الظاهرية:

كان أول ما علق بذهني فور هبوطي الشام أن أرى المكتبة الظاهرية

وأستفيد من شيخها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فكانت أولى الخطوات إلى المكتبة الظاهرية، وهي مكتبة قديمة أثرية بها أنواع من التراث العلمي والثقافي.

كان الشيخ ناصر قد اختص فيها بغرفة للتحقيق والبحث والمراجعة في بطون كتب الحديث والمراجع، زرت المكتبة الظاهرية ورأيت الشيخ ناصر والطلاب يتوافدون إليه زرافات ووحداناً، ورغم أن الغرفة المخصصة له لا تتسع لأكثر من اثنين مع الشيخ، فإني لم أستطع الوصول إليه والتحدث معه على انفراد مما أساءني في أول وهلة.

تكررت زيارتي للشيخ ناصر في المكتبة على عجل، وفي دكانه والذي كان يشتغل فيه بتصليح الساعات والتي ينسب إليه كنسبة أرباب الحرف، وهذا ما جرى عليه كثير من علماء الشام فيقال الصباغ والدباغ، وهكذا الساعاتي ومثله القصاب مما اشتهر وعرف عن علماء الأمصار من غير ترفع أو اشمئزاز عن النسبة للصنعة والحرفة مما يختلف تماماً عند العرب وبخاصة عرب الجزيرة مع الشيخ ناصر في حلب، أقام في حلب جمعية تدعى بجمعية الصراط المستقيم، مؤسس هذه الجمعية ورائدها الشيخ محمد نسيب الرفاعي السلفي، والذي اتخذ الشيخ ناصر معلماً ومرشداً وموجهاً لهذه الجمعية.

كان من ثمرات هذه الجمعية أن طلبوا من الملك سعود منحاً دراسية لطلاب من سوريا للدراسة في المعاهد العلمية بالرياض؛ فكان ذلك بحمد الله.

وقد كان هؤلاء الطلبة هم غرس نواة للدعوة السلفية في سوريا بعد أن عادوا متخرجين من المعاهد العلمية وكلية الشريعة.

الشيخ محمد نسيب شخصية قوية وأديب شاعر ملم بعلم الحديث والتفسير، وكان يتطلع إلى زعامة دينية تحت راية السلفية في سوريا، إلا

أن الضغوط الناصرية والأحزاب الاشتراكية والطرق الصوفية، وهي أشد وأنكى على السلفية لم تنفسح له فرصة لتحقيق طموحاته.

كان أولئك حجر عثرة بل سداً منيعاً في تقدم العمل الإسلامي السلفي كعمل تنظيمي متطور، غير أن الشيخ ناصر بقي مرجعاً للفتوى والاستفسار والرد على الصوفية بكل وضوح وصراحة.

كان للشيخ ناصر برنامجاً شهرياً يتجول فيه على مناطق في سوريا (حمص، حماة، حلب)، استقراره في الشام، حضرت أحد جلساته وهو يناقش من ينفي علو الذات، فقال الشيخ ناصر: عليك أن تثبت أن الله في جهة، وإن لم تفعل فأنت تعبد عدماً، فصعق الرجل وقال: كفرتني يا شيخ ناصر، وكانت مناقشته فيها شدة وقوة ومراغمة تفقد اللين والحكمة ومحاولة هداية الآخرين؛ وكأن الذي يهم الشيخ هو إقامة الحجة عليه وإبراز رأي السلف بوضوح وبخاصة في الأسماء والصفات.

وفي حمص كان نزولي عصراً حيث توجهت إلى أحد المساجد لصلاة العصر، وبعد الصلاة تحلق شباب حول شيخ وقور فدلفو أبصارهم إليَّ فدنوت منهم وسلمت، وسألوا: من أين، فقلت: من الجزيرة العربية، قصدت من ذلك التعمية حتى لا أنسب إلى نجد الوهابية في أول تعرفي إليهم، ولكن الشيخ قال: أنت سعودي ومن الرياض؛ فكشف السر وبطلت الحيلة، فقلت: نعم جئت لأزور بعض قبور الصحابة، فعجب من ذلك وقال: ألست وهابي، قلت: نعم، نحب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنا على معتقده، فقال: فكيف تزور القبور وهذا خلاف مذهب الوهابي، فطلبت من الشيخ أن يرشدني إلى قبر عمر بن عبدالعزيز وخالد بن الوليد، ومَن هنا من الصحابة، ولعل فضيلته يكلف من يراقبني فيما أقوله عند قبور الصحابة وهو ماعليه محمد بن عبدالوهاب، فزال عن ذهن الشيخ ذلك التصور الخاطئ بعد لقاءات متكررة.

بعد زيارة المقابر، أوكل بي الشيخ شاباً اسمه منذر إسماعيل شركسي، فكان بصحبتي مدة إقامتي في حمص يومين، وقد أحرجني حين أصر علي أن أبيت في بيته ضيفاً له، وذكر أنه يسكن مع والديه وإخوانه وأخواته وليس هناك حرج عندما تنزل ضيفاً علينا فأجبته ليلة واحدة مع عدم ارتياح، وخاصة أنه شركسي وآثار الحاجة والفقر ظاهرة على فرشهم وأوانيهم، جزاه الله خيراً على الإكرام والمحبة.

أخذني منذر إسماعيل ليعرفني على حلقات الذكر وشيوخ حمص فتعرفت في يومين على حلقتين، حلقة ذكر وحلقة تعليم في مكانين مختلفين من حمص.

حلقة الذكر:

الطريقة الأحمدية، ما كدنا نصل إلى البيت والذي يقام فيه حلقة الذكر حتى سمعنا شهيقاً وصياحاً أشبه بنهيق الحمر، وهم يكررون هوه هو الله هو هوه؛ بأصوات وحناجر يسمعها البعيد.

لقد دخلنا بلا استئذان وكانوا قد وقفوا قرابة خمسين رجلاً متلاصقين مترابطي الأيدي وهم يكررون الذكر: الله الله هوه هوه.

لقد أشار عليَّ رفيقي بالدخول في الصف والمشاركة في الذكر؛ ففعلت ذلك حتى لا نلفت الأنظار أو تثور الفتنة بين سلفي ومبتدعي.

بقينا في الصف قرابة نصف ساعة، فأشرت إلى صاحبي هل أجلس أو أنصرف، ولكنه قال: لا مانع أن تجلس؛ فجلست مع صمت ونظر في واقع هؤلاء، وكان الطبول قد رصفت على الحيطان وذلك عندما يفترون من الذكر يتناولون الدف والطبل ليكون ذلك أنشط لهم كما زعموا، وبعد ساعات طويلة جلسوا وهم يضحكون ويتبادلون الحديث والتندر، بل رأيت منهم من أشعل سيجارته في حلقة الذكر كما زعموا.

هذه صورة شاهدتها في حلقة الذكر في حمص وبئس ما صنعوا،

أخبرني صاحبي أن أكثرهم جهال وليسوا بالعلماء، والعلماء لهم حلقات فيها البحث والمناقشة وتبادل الآراء في المسائل الفقهية والعقدية فهيا بنا إليهم.

جلسة العلماء:

توجهنا من حلقة الذكر إلى مجلس العلماء في حمص، وكانوا قرابة عشرين عالماً قد تعمموا بالعمائم التركية (الطربوش الأحمر والعصابة البيضاء تحيط بالطربوش) دخلنا بلا استئذان وكان المجلس قد امتلأ فجلست أنا وصاحبي قرب مدخل الباب ولكن كان منظري يشير إلى غربتي في البلد.

وبعد انتهاء البحث فيما بينهم سألوا منذر إسماعيل، من هذا الشاب، فقال: هو من السعودية، فسألني أحدهم: كم تصلون صلاة التراويح، فقلت: عشرين ركعة والوتر، وقال الجميع: عجباً لكم؛ ففي سوريا من ينتسب إليكم وهم يصلون التراويح أحد عشر ركعة؛ يعنون بذلك الشيخ ناصر الألباني، فقال أحدهم: يا أخوان وهابية السعودية غير وهابية سوريا؛ وهابية سوريا متشددين متنطعين، وشيخهم الألباني الذي لا يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة؛ فقلت لهم: أما نحن في المملكة فمذهبنا حنبلي، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وقاموا يعانقونني واحداً واحداً، ثم عادوا إلى البحث والمناقشة بين وهابية السعودية ووهابية سوريا وما بينهما من فوارق واختلاف، وذكروا مسائل انفرد بها الشيخ ناصر فيما يفتي به أو يقرره على تلامذته.

انتهت الجلسة وودعنا علماء حمص من غير لقاء آخر.

العودة إلى دمشق:

وفي مجلس وحلقة الشيخ أحمد كفتارو بحي الأكراد في دمشق، الشيخ أحمد مفتي سوريا كردي يتمذهب بالمذهب الشافعي، شيخ الطريقة

النقشبندية، له شخصية جذابة وأسلوب في الحديث مع المريدين يتفنن بأسلوبه الساخن في جذب الشباب إليه، لقد تكرر زيارتي لحي الأكراد والذي فيه مقام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي صاحب «الفصوص في رد النصوص»، وهو مقام يتردد عليه الزوار صباح مساء، وحول هذا المقام أو بالأصح الوثن، يسكن الشيخ أحمد كفتارو، وبجوار منزله مسجده الذي يقيم فيه الصلوات وحلقات الذكر والتعليم.

كان لقائي الأول بالشيخ أحمد في مجلسه حينما قال: لقد زار الرئيس جمال عبدالناصر فاستأذن العلماء بالشام زيارته حين نزوله دمشق، ولكن الرئيس رفض مقابلة العلماء، ومع هذا فقد ذهب هو بنفسه إلى زيارة بيت الأساقفة والقساوسة من نصارى الشام، وسؤالي للشباب: لماذا هذا الصنيع من رئيس جمهورية عربية إسلامية وهو مسلم يرفض مقابلة علماء المسلمين في ديارهم ويذهب هو لزيارة رجالات الدين النصراني؟ فما هو الجواب؟

تردد الشباب في الإجابة وقال هو: إنما أنا أجيبكم؛ الرئيس زار النصارى لأن لهم وزن وقيمة عند أتباعهم، وكأنه زار كل النصارى، أما نحن علماء المسلمين فلا وزن ولا قيمة لنا عندكم تخولنا أن نلتقي بالرؤساء، فضلاً عن أن يزورونا في بيوتنا، أليس هذا هو الجواب يا شباب؛ قولوا نعم ولا تستحوا.

كانت الجلسة بعد كل عصر، وقد سجلت بقلمي في وقتها ما نصه: قال الشيخ باب الإيمان: قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

ثم عرّف الإيمان وقال: الإيمان هو نور ينقذف في القلب الطاهر ويشع في النفس، ويؤثر بالأعصاب والفكر فتندفع الأعصاب والجوارح إلى امتثال

أمر الله والابتعاد عن محارم الله، ثم أورد أحاديث:

١ ـ «**الإيمان عفة عن المحارم، وعفة عن المطامع**» [رواه ابن نعيم].

٢ ـ «**الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه**» [رواه ابن شاهين في السنة عن علي].

٣ ـ «**أشرف الإيمان أن يأمنك الناس؛ وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك، وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات؛ وأشرف الجهاد أن تُقتل فيغفر لك**».

٤ ـ «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**» [رواه الطبراني وأبو نعيم].

٥ ـ «**أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت**» [رواه الطبراني عن معاذ بن أنس].

٦ ـ «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب من ماله وولده**» [عن أبي هريرة].

فهمت من شروح الشيخ وتعليقاته على هذه الأحاديث وتعريف الإيمان مسلك التصوف المبتدع، فقد عرَّف النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**».

ومع تعريف الإيمان اللغوي وتعريفه الشرعي يتجلى الخلاف بين ما عليه السلف وما عليه المبتدعون، ومع هذا فقد واصلت حلقات تعليمه ودروسه بعد كل عصر، وفي المغرب تقام حلقة الذكر لخواص المريدين، وقد اشتركت في تلك الجلسة في ضوء خافت بعد مغرب يوم ما حيث رددوا الأذكار والأدعية بصفة الخشوع والتضرع، ولكن الذي لم أفهمه أو يفهمونني إياه هو قولهم: الرابطة الشريفة، وقد فهمت معناها من غيرهم:

أن تربط قلبك بالشيخ ليوصلك إلى الله، فقد شبهوا الشيخ بالنافذة التي لا يمكن الوصول إلى الله إلا عن طريقها وبتصور ذات الشيخ وحضور عظمته في القلب يقترب منك تصور الذات الإلهية، وهذا هو معنى الرابطة الشريفة والتي هي من مستلزمات أورادهم اليومية.

علمت أن هناك خلوات أشبه بالزنزانات في السجون، يخلوا بها المريد لبضعة أيام للذكر والخلوة، ويقلل من الأكل ومستلزمات قوام الجسم المادي حتى يصل إلى الله، وإن لم يصل إلى مرحلة الفناء، ولكنه صالح لأن يكون ذو رتبة عند الشيخ الأكبر ويكون ممن يربي الأجيال أو بالأصح يكون شيخ طريقة، كنت أعرف هذا، ولكنني لم أدخل معهم في بحث أو نقاش عن مشروعية أو بدعية هذا الصنيع لأنه لا فائدة في ذلك.

مع بعض مريدي الشيخ:

لقد تلطفت لبعضهم ممن يحضرون حلقات الذكر وأبديت له رغبتي في الحديث معه، ولكن ليس في المسجد ولا في حلقات الذكر، دعوني إلى منزل أحدهم بحي الأكراد، فبادرت بالحديث عن محيي الدين بن عربي وأنه من أصحاب وحدة الوجود القائلون أن كل موجود هو عين المعبود، فأنكروا ذلك وقالوا: هو من علماء الصوفية وهو محيي الدين بن عربي، فقدمت لهم رسالة مما كتبه الجد الشيخ حمد بن عتيق وهي «الفرق المبين بين مذهب السلف وبن سبعين وإخوانه الملحدين»، ورجوت أن يقرؤا هذه الرسالة ويكون لقاء بهم حول بحث هذا الموضوع، أعني وحدة الوجود والشيخ ابن عربي، ولكنهم أبوا كل الإباء المناقشة والبحث والجدل، وطلبوا مني الانضمام إلى حلقة الذكر ومتابعتها فستنجلي عنك هذه المخيلات أو المفاهيم الخاطئة عن الطرق الصوفية وبالذات الطريقة النقشبندية، وببركة الشيخ أحمد كفتارو ودعائه يفتح الله عليك آثار علمه ورحمته.

وأما الجدل والنقاش فهو يترك للفقهاء والعلماء المتبحرين والراغبين في

إدراك المعارف الفقهية والشرعية، أما أصحاب السلوك فهم لا يرون الجدل في خواص العبادة كالذكر السري، وبهذا عرفت أن لا فائدة في المريدين والبحث معهم في أبسط مسائل العلم، وبالذات في العقيدة.

وقد اشمئزوا بعض الاشمئزاز حينما عرفوا أنني من نجد وممن تتلمذ أو قرأ كتب ابن تيمية وابن عبدالوهاب، وعلى صلة بالشيخ ناصر الدين الألباني شيخ الحديث في الشام، مرة أخرى في مجلس الشيخ أحمد كفتارو، حينما بدأ حديثه بقوله: هؤلاء الوهابية، انظروا كيف تنكروا لدينهم عندما ذهبوا إلى موسكو، اسألوا أخاكم فاروق كيف كانت حالة البعثة السورية إلى موسكو وفيهم الوهابيون كيف كان صنيعهم، لقد تنكروا لدينهم، ويعني بهذا طلبة من سوريا ذهبوا إلى موسكو كما ذكر وهم ممن ينتمون إلى الوهابية في زعمه.

لقد تأثرت بهذه الكلمة وكان بجواري أحد مريديه ممن عرفته فلمزني قائلاً: لقد علم الشيخ بوجودك في هذه الحلقة فأراد أن يتكلم عن الوهابية ولأول مرة يطرق ذكر الوهابية أو من يخالفه، ولكن بالمناسبة ذكر هذا القصة فقلت له: كيف والناس كثير، هل علم الشيخ بوجودي، فقال: هو يعلم كل شيء، يعني بذلك علم المغيبات، نعوذ بالله من الفتنة، ولعل هذا مفهوم خاص لهذا الطالب ولا أظن الشيخ كفتارو يدعي علم الغيب.

كانت هذه الزيارة الأولى للشيخ أحمد والتي تكررت في استماع دروسه وحلقت تعليمه؛ وفي عام ١٤٠٦هـ كنت في مهمة رسمية خاصة للشيخ أحمد كفتارو وبمعية الأخ الفاضل الشيخ سعد الحصين، وذلك لتقييم معاهده وإمكانية التعاون معه؛ فكان لقاؤنا بالشيخ كفتارو لقاء رسمياً فيه مجاملات، والحديث العام عن شئون المسلمين، وأخبرنا أنه قدم من روما لمقابلة البابا في الفاتيكان ويفتخر بهذا اللقاء بين الديانتين الإسلام والمسيحية فكأنه هو يمثل الإسلام، وذلك يمثل النصارى؛ وبلقائهما يكون التقارب.

جمعيات في سوريا:

وفي الزيارة الأخيرة أي في ٢٠/٣/١٤٠٦هـ، زرنا بعض الجمعيات الإسلامية والتي أذن لها الحزب الاشتراكي البعثي بالتنفس وممارسة نشاطها الديني المحدود تحت عين وأذن المخابرات السورية البعثية، بعد أن تقشعت سحابة الحركيين من الإخوان المسلمين والجماعة السلفية، ولا بد للفراغ النفسي والطموح لدى الشباب المسلم السوري من ملاء وإشغال في حدود وإطار الإسلام العام؛ مع ما يشوب ذلك التنظيم من نقص وعدم توجهه لخدمة الإسلام بمفهومه العام الشامل.

١ ـ جمعية الأنصار: وتقع في حي الأكراد من دمشق ويرأسها الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية، وتقوم بنشاطها من خلال مسجد أبو النور والمعهد الشرعي للدعوة والإرشاد، وكلية الدعوة؛ وجميع طلابها وطالباتها سبعمائة؛ ومناهجها دينية في الغالب مضاف إليها بعض الدروس العصرية اللغة الإنجليزية والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة وهي مجانية، وتقوم على التبرعات وتقدم بعض المساعدات المالية الضرورية لطلابها الفقراء.

٢ ـ جمعية الفتح الإسلامي: في دمشق؛ ويتركز نشاطها في معهدها الديني ويقوم على التبرعات؛ وعدد طلابه سبعمائة طالب وأكثر طلابه من تركيا ومن خارج سوريا؛ ومنهجه يماثل المعاهد الدينية الأخرى إلا أنه يختص بالمذهب الحنفي والعقيدة الأشعرية وشهادة المعهد معادلة من الأزهر.

٣ ـ جمعية الفرقان: في حي المهاجرين من دمشق؛ وأبرز نشاطها المعهد الشرعي، ويقع تحت جامع المرابط، وقد قام على تأسيسه الشيخ أمين المصري ـ رحمه الله ـ وعدد طلابه مئة وستة وتسعون طالباً غالب طلابه من خارج سوريا؛ ومنهجه مماثل للمناهج في المعاهد الأخرى في سوريا.

٤ ـ جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية من دمشق؛ ونشاطها كما يبين من اسمها يتمثل في معهد العلوم الشرعية، وعدد طلابه تسعون طالباً من أفريقيا وتركيا ويوغسلافيا؛ ومديره الشيخ عبدالله دك الباب سلفي المعتقد.

٥ ـ معهد القرآن: يرأس هذا المعهد أخونا الفاضل الشيخ عبدالله علوش الذي تخرج في كلية الشريعة بالرياض، وكان ضمن المدرسين في المعهد العلمي في بلجرشي في بلاد غامد، وقد سمي هذا المعهد معهد الرئيس حافظ الأسد، وقد عاتبناه على هذه التسمية إلا أنه أبدى مبررات لهذه التسمية، وهو أي الشيخ عبدالله من تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني إلا أنه أسيء الظن فيه بانتظامه بعمل حزبي؛ وهو فيما أعلم بريء كل البراءة من أي تنظيم حزبي سياسي، ولكنه في حالة جيدة من العمل المثمر في خدمة القرآن وعلومه وهدا الله الجميع وهدانا وبصرنا بما ينفعنا في دنيانا وأخرانا، والله ولي التوفيق.

ومن قابلنا في هذه الرحلة:

١ ـ السفير السعودي الشيخ أحمد الكحيمي؛ وقد قابلنا بما عرف عنه من نشاط وحيوية وحسن استقبال ورغبة في التعاون؛ وله خدمة طويلة في أرض الشام حيث كان سفيراً للمملكة في الأردن وخمسة وعشرين سنة كما عمل في لبنان قبل نقله إلى سوريا.

٢ ـ الشيخ حمزة عابد الملحق التعليمي السعودي في سوريا؛ وقد قضى أكثر حياته في خدمة التعليم موظفاً في وزارة المعارف؛ ومن آخر الوظائف التي شغلها قبل عمله في الخارج مدير عام للثقافة؛ ثم مدير عام التعليم؛ وهو رجل معروف بالصلاح وحسن الخلق والرغبة في الخير؛ ويمكن الاستفادة منه في بعض مهام مستقبلاً.

٣ ـ الشيخ عبدالقادر قدري الأرناؤوط المحدث المعروف؛ وقد لازمنا

أكثر الفترة التي أقمنا بها في دمشق؛ وهو عالم سلفي المعتقد مجتهد يشتغل بالدعوة إلى الله في سوريا ويوغسلافيا؛ كما يشتغل بتحقيق الكتب وتخريج أحاديثها وهو من أنشط الدعاة وأعلمهم؛ وله دروس منظمة في مساجد دمشق يحضرها عدد جيد من العامة والخاصة.

٤ ـ الشيخ محمد ناصر ترمانيني؛ طالب علم سلفي المعتقد يقيم في حلب وقد درس في كلية الشريعة في الرياض؛ وهو من أبرز تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني وعلى منهجه في الدعوة.

٥ ـ الشيخ عبدالله علوش في دوما من ضواحي دمشق؛ تخرج من كلية الشريعة في الرياض ويعمل مدرساً رسمياً في مدارس وزارة التربية السورية وإمام لجامع دوما الكبير؛ ويقوم على مدرسة للقرآن في مسجده.

٦ ـ الشيخ عبدالرحمن الحكواتي يقيم في حلب ولا يمارس عملاً منتظماً في الدعوة؛ قفل المعهد الشرعي في ادلوب الذي كان أحد مدرسيه بسبب الفتنة؛ وقد كان في أوغندا داعية تابع لدار الإفتاء.

٧ ـ الشيخ محمد حبش إمام مسجد الزهراء في دمشق (المزه) ومن أنبل تلاميذ الشيخ أحمد كفتارو شاب في الثانية والعشرين من عمره؛ يدرس في السنة الأخير في كلية الشريعة بدمشق ذكي يتوقد نشاطاً وحيوية؛ صلينا معه الجمعة وكان خطبته في معجزات النبي ﷺ وقد حث المصلين على قبول ما صح منها في القرآن والسنة؛ ونبذ ما لم يصح من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ورد أقوال من نفاها جملة وتفصيلاً؛ وقد قضينا معه نصف النهار في البحث والمناقشة وكان يجهر ويرفض الخرافات التي ترد في ذكر بعض الصالحين والموالد.

٨ ـ الشيخ عبدالله دك الباب؛ شاب سلفي المعتقد يدير المعهد للعلوم الشرعية التابع لجمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية بدمشق.

٩ ـ الشيخ محمود الحلو شاب سلفي تخرج من جامعة دمشق ومن تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني وينهج نهجه؛ ويؤم ويخطب الجمعة في قطنا غرب دمشق.

١٠ ـ الشيخ عبدالرؤوف أبو طوق؛ وهو خطيب مسجد كبير في دمشق بناه التاجر أكرم عجه؛ والشيخ عبدالرؤوف من أحباب الشيخ أحمد كفتارو وينهج نهجه.

١١ ـ الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا وعالمها الأكبر رسمياً؛ التقينا به بعد عودته من الفاتيكان وتحدثنا معه كثيراً في مجالات العمل الإسلامي؛ وخاصة أن هذه الرحلة بأمر وموافقة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس إداراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ وذلك بطلب من الشيخ أحمد كتفارو لرؤيا نشاطه التعليمي وتقريب وجهات النظر في التعاون بين المفتيين: مفتي سوريا؛ ومفتي السعودية؛ وقد أعددنا ما يلزم من تقارير بعد ما رأينا ما يقوم به من نشاط تعليمي ودعوي؛ وقد أشيع عن الشيخ أحمد كفتارو وهو الواقع فعلاً أنه شيخ الطريقة النقشبندية في عموم سوريا والمفتي العام وهو يلتأم مع الدولة وئاماً تاماً لذا بقي في منصبه أكثر من ثلاثين عاماً؛ هذا وقد ضمنت في كتابي «أعلام وعلماء عايشتهم» سيرة الشيخ أحمد كفتارو كما تقدم في أول الحديث عن سوريا لقائي به عام ١٣٨٠هـ يغفر الله لنا وله.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عام في لبنان

جرت المقادير وتنفذ القضاء بإصابتي بأوجاع استدعت سفري إلى لبنان عام ١٣٧٩هـ؛ وفي مصح هملين في قرية حمانا بلبنان كان مهجعي لمدة عام أتقلب بين الآلام والآمال مع الغربة والحاجة وافتقار الحال؛ إلا أن الثقة بالله كانت أكبر عون على يقيني وصبري بما قدر الله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦].

وقد اكتسبت في هذه معلومات عدة من نواحي دينية واجتماعية بل وسياسية؛ ولبنان آنذاك سوق رائجة لكل دعوة أو دعاية بل هي البلد الحر الذي تمارس فيه شتى الأنشطة على مختلف الطوائف والأحزاب والمذاهب والاتجاهات؛ فكان دور الإعلام الحر بالصحافة والكلمة والكتاب دور يأخذ بالألباب؛ إلا أن الله لطف فقد كنت ولا زلت والحمد لله أنحو نحو المتجه الأسلم؛ مع الحذر الشديد عن الاندماج الكلي مع بعض من عرفته في تلك الرحلة المرضية القسرية؛ في بلد أختلط فيه الديانات والاتجاهات حتى لا تستطيع أن تصنفها تصنيفاً دقيقاً؛ ولكن باختصار كانت الديانة النصرانية بشتى طوائفها لها دور بين أسرة المرضى والفقراء وبالذات المستشفيات التبشيرية كهذا المستشفى؛ ويليهم في الخطورة المذاهب المنتمية للإسلام كالدرزية والشيعة ويدعون بالمتاوله وهم طوائف شتى.

أما الإسلاميون فالاختلاف بينهم أمر طبيعي فكرياً وعقائدياً وسياسياً وحزبياً؛ مما يستوجب الشقاق والنزاع بين تلك الاتجاهات الإسلامية كحزب التحرير والإخوان المسلمين ومن ينحو نحوهم؛ وكذلك القوميون العرب لهم دور في التخريب.

القسيس البروتستانتي الأمريكي:

وقفة مع القسيس البروتستانتي الأمريكي والذي يتردد كل يوم أحد على المرضى؛ ويدعى كروكن يحمل هدايا من الورود والحلويات ومعه الكتاب المقدس (الإنجيل القديم والجديد).

لقد تكرر نظري إليه من غير أن ندخل معه في النقاش والجدل الديني؛ ولكنني ملزم بأخذ ما لديه واستماع ما يقوله فهو ركيزة من ركائز هذا المستشفى التبشيري، ويتكرر الزيارة واللقاء مع هذا القسيس جرى البحث والمناظرة مع قسيس كروكن؛ زعمتم أن الله ثالث ثلاثة؛ الأب والابن والروح القدس إله؛ واحد فهل أنت ابنك وابنك أنت؟ وهل كان الله واحداً قبل وجود عيسى؟ ثم كان ثلاثة بعد وجوده؟ وهل العبادة للرب الواحد أم الثلاثة؟ وهل كانوا يشتركون في الصنع والإماتة وتدبير الكون؟ هذه أمثلة من أسئلتي التي وجهتها للقسيس كروكن الأمريكي مما جعله يأخذ الحيطة ويعاملني بحذر ويتوقف من البحث والجدل في الدين؛ ولكن يقدم الهدايا ويعرض سيرة المسيح الذي افتدى البشرية بدمه؛ وهو يحب الإنسان وكل إنسان يحبه؛ وعلى هذا ديدن القسيس الأمريكي ولا يزيد على أنه يحبب الناس للمسيح لأن المسيح يحبه مع تقديم كتيبات ونشرات للمرضى الراغبين، كانت صلتي بالقسيس سطحية للغاية؛ فقد خشي أن أثير ضده المرضى من العرب وبخاصة من عرب الجزيرة وهم كثر من قطر والإمارات والبحرين.

عراقي يطلب من القسيس:

لقد طمع القسيس في مريض عراقي أن يقوم بدور الترتيل يوم الأحد في كنيسة؛ على أن يلبس سلسلة الصليب ويتقدم للمنصة للترتيل والترنم بما يسمونه الصلوات يوم الأحد؛ فكان العراقي على أتم الاستعداد لتوجيهات القسيس ولكن بشرط: أن تضاجعه البنت سعاد وبأمر من القسيس؛ والبنت

سعاد ممرضة تابعة للمستشفى وهي الأخرى مبشرة؛ فوافق القسيس على الطلب ووعد بإلزام البنت بمضاجعة المريض العراقي في أي وقت يرغبها؛ فلما تأكد العراقي من صدق القسيس وجديته في الأمر تنكر له وقال: أنت رجل دين البعيد ديوث وجرار؛ كيف تزعم أنك تحمل أمانة الدين وأنت ترضى ببنات الناس فعل الفاحشة التي يأباها الإسلام وتأباها النصرانية؟ أي دين هذا؟ ثم كيف تطلب مني أن أتقدم بالتراتيل وأنا لست من النصارى؟ هل تكون هذه عبادة للشخص لا يدين بها؟ أم هي تسلية وطرب باستماع الموسيقى والترانيم فكان موقف القسيس موقف المحرج الذي سقط في يده؛ مما جعل العراقي يعلن للناس خبث قصد هذا القسيس وإفساد المرضى؛ بل زاد على ذلك بأنه ليس رجل دين وإنما جاسوس للغرب بدليل أنه تجول في كثير من الدول العربية، وقد ذكر القسيس أنه كان في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ولديه أفلام سينمائية يزيد عمرها على أربعين سنة؛ فكان فرصة السعوديون لمشاهدة هذا الفيلم عن المملكة وهو فيلم تاريخي مماجعل القسيس يستأنف نشاطه بعرض الأفلام على المرضى.

مع الفيلم التاريخي:

لقد وعد القسيس ووفى بوعده بعرض هذه الأفلام السينمائية على المرضى جميعاً؛ وهي تحكي حالة المملكة عام ١٣٤٠هـ بالتقريب؛ فقد عرض مدينة الرياض ومبانيها القديمة وكيف كان الري عندهم بطريقة السواني؛ وكيف تجلب المياة للبيوت بواسطة السقائين على الحمير، كما استعرض صوراً للملك عبدالعزيز وأبنائه حال فتوته وقوته؛ مما جعل السعوديون يستنكرن على القسيس لعرضه هذه الصور القديمة والتي أصبحت أثراً؛ وهددوا القسيس بسحب الفيلم وتكسيره له إلا إذا كان لديه تصريح من الجهات الرسمية تسمح له بعرض هذا الفيلم؛ فما كان من القسيس إلا وقد عرض على الشاشة نص التصريح بتوقيع الوزير الأسبق عبدالله بن

سليمان وزير الملك عبدالعزيز؛ مما جعل السعوديين يتراجعون عن ما عزموا عليه ويطلبون من القسيس عرض أفلام أخرى عن تطور المملكة العمراني؛ فلبى القسيس الطلب وفوراً عرض أفلاماً حديثة عن نهضة المملكة في شتى المجالات العمرانية والتعليمية مما جعل السعودين يرتاحون بعض الارتياح، ومن هذا وأمثاله ندرك أن هؤلاء القساوسة هم تحت مظلة عالمية تخطط لهؤلاء باسم الدين والمسيحية ليقوموا بعدة أدوار؛ ومن أهمها: التجسس ورصد المعلومات؛ مع تخريب أو تشكيك الاتجاه الديني السليم؛ وربط الناس بالغرب وإظهار حضارته وقدرته وخدمته للإنسان؛ ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل؛ اللهم اجعل كيدهم في نحورهم.

مع الشيخ فارس الدرزي:

لقد صادفت إقامتي في المستشفى صحبة الشيخ فارس؛ ولا أستطيع وصف ذلك الفارس بنظراته المريبة وشكله المرهب؛ فلحيته تقرب من سرته؛ وشواربه عشرات السنتيات؛ مفتول قوي طويل القامة مرعب في منظره؛ ومظهره دائم الصمت؛ يلبس السروال الواسع الفضفاض باللون الأسود وربما تعمم أحياناً؛ كان هو الآخر مريض يشكو من داء السل، لقد دنوت منه من غير أن أعرف أنه من الطائفة الدرزية ولكن حينما حان وقت الصلاة طلبت منه أن نصلي جماعة فقال: قد صليت؛ قلت: متى فقال: وأنا على سريري؛ إن الصلاة صلة روحية تربط العبد بربه ولا حاجة لهذه الأعمال التي تصنعونها من الركوع والسجود؛ هذه صلاة الجهال والعامة؛ ومن هنا عرفت أن الرجل ذو فلسفة وديانة ولكن ماهي؟ فسألته: على أي مذهب أنت؟ فقال: محمدي؛ بقيت مع الشيخ فارس على صلة طيبة كصلة العربي بالعربي ولكنه يرفض الحديث عن الدين إلا أنه ذات يوم أسر لي بسره وقال: لقد كدت أصل إلى درجة شيخ العقل؛ غير أن وجود سبعة من أولادي كانت حاجزاً ومانعاً من الوصول إلى هذه الدرجة من الرتبة

في الديانة؛ فتلطفت له وسألت كم عاماً وأنت تعذب نفسك بالالتزام بهذا المظهر المهيب والتعبد السري؟ فقال: أما المظهر فهذه عادة جماعتنا؛ وأما التعبد السري فمنذ الطفولة وأنا الآن أبلغ أربعين عاماً؛ فسألت الله العافية وأن لا يضلنا بعد إذ هدانا.

مع الدكتور المسلم الكردي الحزبي:

ممن تعرفت عليه الدكتور الموصوف بالصفة أعلاه من حزب التحرير، كان قوة وحماساً وتوقداً على نهضة المسلمين وضرورة الخلافة الإسلامية فقد ضاع المسلمون بضياعها؛ سمعت حديثه واستمعت لأفكاره وتسلمت كثيراً من منشورات الحزب السياسية وبواسطته تعرفت على مكتب الحزب في بيروت وقد كان لي مع هذه الجماعة موقفاً سجلته في زيارتي للكويت ولقائي بهم لأول مرة، أما هذا الدكتور فهو من العناصر القيادية في هذا الحزب؛ وهو طبيب ماهر يقف ضد القومية العربية والحزبية الاشتراكية موقف الجاد والصارم والواضح من عداوته؛ رغم وجود الوحدة السورية المصرية ورغم الدعايات بزعامة عبدالناصر؛ كان صريح الهجوم على عبدالناصر بالذات وعلى الوحدة القومية وكان يعلن مبادئ الحزب في كل مناسبة؛ والحزب كما هو معروف سياسي مشبوه أسسه تقي النبهاني وهو فلسطيني وذلك عام ١٣٧٠هـ لغرض قيام الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية؛ ومما يلفت النظر دقة المعلومات التي تصدر من هذا الحزب مما لا يمكن الحصول عليها إلا بواسطة مخابرات عالمية وتنظيم سري؛ وكان الحزب هو أول من يفضح تلك الاتجاهات السياسية وبالذات في الدول العربية وبالأخص لعبة عبدالناصر بين القومية والاشتراكية؛ ولقد زرت مكتبهم في بيروت ذات يوم فوجدت شباباً ذا حماس يحملون هوية الجدل والمناظرة لمن زارهم أو تحدث معهم حول الخلافة ونظام الحكم الإسلامي؛ وكنا كذلك في الحديث معهم شحذاً للأفهام وزيادة في المعلومات إلا أن ضربيتهم

اللازية تتجه إلى المملكة العربية السعودية فكأنها الخصم الألد لتوجيهات الحزب لأنها زعيمة المسلمين؛ أو هي التي تمثل دور الإسلام في الحكم، وكان مبدأ الخلاف في تحديد أو تعيين الملك أو الخليفة؛ حيث كان من مبدأهم أن الخلافة والحكم لا يكونان إلا بالشورى واتفاق أهل الرأي كما هو في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة، وإجابتي على هذا تتبع سيرة التاريخ من بعد الخلفاء الراشدين؛ فالدولة الأموية انتصرت بالقوة وأخذ الحكم وبايع العلماء والمسلمون الحاكم الأموي كخليفة وإمامة عظمى للمسلمين؛ ومن بعدهم الدولة العباسية كانت كذلك انتزعت الحكم من بني أمي؛ة ومثلها الدولة العثمانية هل كان ذلك بالشورى أو الانتخاب؟ وقل في الدولة السعودية ما قلته في الدول قبلها؛ وباتفاق العلماء أن الحاكم إذا اغتصب الحكم واستتب الأمن والاستقرار فله البيعة وحكمه وإمامته شرعية ولكن القوم أصحاب هوى؛ وقد اختلط عليهم الحكم الإسلامي ومبادئ الديمقراطية التي تحكم أراء الشعوب بصرف النظر عن أحقية ما يطلبونه فهم الجهة المشروعة ولو فيما حرم الله، ولهذا كان الحزب محل اشتباه وتشكيك في اتجاهاته السياسية؛ وقد غلا بعضهم وزاد أن صلاة الجماعة وإقامة الشعائر الدينية الظاهرة لا تكون إلا بوجود الخلافة والإمامة العظمى والتي تمثل جميع مظاهر الشرع في الحدود والحقوق وهو قليل؛ وقد يكون هذا من ملتزمات مبادئهم ولم يفعله أحد؛ نرجو أن يكون كذلك؛ أعود إلى الدكتور الكردي والذي لا أنسى فضله وجهوده في مواقفه الصارمة ضد الكنيسة والمبشرين الذين يلزمون العمال من الفلسطينيين أو السوريين ممن يعملون في المستشفى بدخولهم الكنيسة يوم الأحد للصلاة والدعاء وارتباط مرتباتهم أو تشجيعاتهم على المواظبة والمحافظة على الصلاة في الكنيسة يوم الأحد، لقد انبرى هذا الدكتور للقساوسة وأعلن حربه عليهم بالكلام وإن لم يتحقق ما يريد فسيحمل عليهم حملة الغضب وإن لجاءوا إلى الغرب،

كما قام بتجميع المسلمين في المستشفى بإقامة صلاة الجمعة وإلزام المستشفى بتهيئة مكان مناسب للصلاة؛ وكان كاتب الأسطر هو الإمام لصلاة الجمعة فترة إقامتي هناك، الدكتور الكردي متحمس للغاية لمبادئ حزبه وتوجهاته السياسية وكان في شدته وحدته بل وشجاعته الأثر الطيب بين صفوف المرضى من المسلمين وبالأخص من دول الخليج العربي؛ كان صديقاً وفياً ومحباً صادقاً لما أبداه من تحمس للدعوة إلى الله بصرف النظر عن توجهاته السياسية؛ وقد أفدته في كثير من المفاهيم في التوحيد والعقيدة ومحاربة الشرك والبدع وهم لا يختلفون في هذا وإن كان زعيمهم النبهاني وسلفه لهم بعض التوجهات العقدية المخالفة لمنهج السلف غير أن الحزب لا يهمه هذا؛ وليس من دعوتهم تصحيح العقائد أو الإيمانيات وإنما الخلافة فقط والحكم الإسلامي هو ما يهدفون إليه؛ وهم بهذا يمكن أن يلتقوا بأي مذهب أو طائفة من المنتمين للإسلام متى توحدت الغاية السياسية.

مع جمعية الأخلاق:

وفي طرابلس لبنان تقوم جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والذي كان هو الآخر يدعو إلى نهج سياسي ولكن مع الأخلاق والآداب والعبادة والتشريع؛ ذلك هو المنهج الذي ينتمي إليه الإخوان المسلمون، وقد كان الشيخ فتحي ضمن المجموعة التي كان يرأسها الشيخ عمر الداعوق تحت لافتة عباده الرحمن في بيروت؛ فالشيخ عمر الداعوق كما يحدث عن نفسه ليس هو من رجالات العلم ولكنه ممن يتجه لخدمة الإسلام بالاستعانة بالحكام والأمراء؛ وقد طلب من الملك سعود إنشاء مسجد له ولجماعته وما يدعونها بالخلية التي من خلالها يقوم ببعض النشاطات النسوية؛ فوافق الملك على دعم مجموعة عباد الرحمن بإنشاء مسجد وخلية مما جعل الشباب المنتمون للفكر السياسي يختلفون مع الشيخ عمر الداعوق واستعانته بالملوك واعتبروا هذا الدعم احتواء لعملهم؛ فكانت

جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والتي تحولت فيما بعد إلى اسم الجماعة الإسلامية وأصدروا صحيفة إسلامية سياسية هي (الشهاب)؛ وكانوا أشد نشاطاً وأقوى حماساً وكما أشرت كانوا يقومون بتربية الأجيال الروحية والبدنية والفكرية على مبادئ وتعاليم الشيخ حسن البنا؛ كانوا يسيرون ولكن الأستاذ الأكبر لهم والموجه هو الدكتور مصطفى السباعي في دمشق ولهم اتصالات بالإخوان في الأردن وفلسطين، وبحكم البيئة والمجتمع الشامي كان الترابط القوي بين التنظيم الإخواني على فكر الشيخ حسن البنا؛ إلا أن التعاون لم يكن على أشده وإنما أفكار وتوجهات سياسية أخذ بها الدكتور مصطفى السباعي حيث كان هو المعلن والمتحدث باسم الإخوان.

عام ١٤١٣هـ تسلم الشيخ فتحي يكن كرسي عضو البرلمان في حكومة لبنان وقد سمعنا ما أسر الخاطر من نشاط الشيخ فتحي يكن؛ حيث طلب إقامة صلاة الجمعة وإيقاف المجلس وقت الصلاة فكان له ذلك وكان هذا بتاريخ البرلمان اللبناني حدث لم يكن له مثيل من قبل؛ وعلى العموم فالإخوان أو الجماعة الإسلامية كما يسمونها هم ممن يتجهون اتجاه كلي لجمع النشاط السياسي والديني والأخلاقي والاجتماعي؛ وإن كانت تلك النشوة والاندفاع الكلي قد قلت أو ضعف إلا أن العمل يسير بخطى ثابتة وبتطور ملموس مع اصطدامهم بالتيارات السياسية والعقدية والمذهبية؛ ولا سيما بعد الحروب الطاحنة التي دامت أكثر من خمسة عشر عاماً مما جعل النشاط يضعف ويقل ويبقى الفكر وخطة العمل، كانت صلتي بالجماعة طيبة وحسنة في حدود العقل والمنطق والرابطة الأخوية الدينية.

وفق الله الجميع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نافذة على الموت

كنت أطل على الموت من نافذة هي أصدق تعبير وأدق تلميح؛ حيث شاهدت عشرات المرضى كل يئن من الآمه وأحزانه في المستشفى؛ وكلهم غرباء مثلي من قطر والبحرين؛ وكل القطريين من البادية السعودية من آل مرة وبني هاجر؛ إلا أنهم لجئوا إلى قطر وأخذوا الجنسية القطرية من أجل العلاج وقد يكون الكثير منهم على صلة وقرابة بالقطريين الأصليين بحكم التجاور بين الدولتين، نزلت المستشفى بعد مجاعة وسوء تغذية؛ حين كنت في القصيم بريدة وعقب تناول الطعام المنظم ثلاث وجبات كل يوم الإفطار والغداء والعشاء على مدار الساعة الأربع والعشرين؛ ولا يلتفت هذا التنظيم إلى طول ليل أو قصر نهار فيأتي على كل وقت وجبة كل ثمان ساعات تناول الإفطار فيه قبل الفجر أحياناً حسب التوقيت العددي للوجبات؛ ومما كانت أحبه من الأطعمة ما يسمى بالمجدرة أشبه ما تكون بالجريش عندنا وبالعصيدة من البر والذرة مما كنا نأكله عادة في بلادنا قبل استيراد الرز وتكاثره وكثرة استعماله؛ أسلمت جنبي للسرير الأبيض شاخصاً بصري إلى السماء؛ يا رب هذه الأغطية البيضاء هل سيكون منها كفني؛ سألت هل أحد يموت في هذا المستشفى من جراء العمليات ومتابعة العلاج؟ كان الجواب: قليل من يموت أو لا يوجد بسبب العملية لكن طول الزمن هو القاتل فقد يمضي البعض ثلاث سنوات وبالأخص كبار السن ومنهم لا يتقبلون العلاج بسبب الضعف وقلة التصريف للأغذية والعلاج بالحبوب والشراب لا أجد ألاماً تضني غير السعال وخروج البلغم وفقد الدم وقلة الوزن؛ لم يكن الالتهاب الرئوي قد التهم الرئة ولكن كان من جانب واحد تكهف وضمور؛ ومع انشراح صدري من حسن التعامل

ولطف الممرضات والممرضين زادت الطمأنينة بأن لا خطر من العلاج ولا شكوك في أداء الأطباء وواجباتهم؛ الدكتور شارل هو صاحب المستشفى الذي قتل والده وهو يتعاطى مهنة الطب في هذا المستشفى؛ وقد عمل له تمثال نصب في مدخل المستشفى مما جعل الدكتور شارل يحذر كل الحذر من معاكسة المرضى أو الإساءة إليهم؛ فقد يتجاوز عن حقوق المستشفى عن المرضى خشية إزعاج المريض ومضايقته فينفعل ويغضب ويكون ردة فعل.

لقد شهد الدكتور مع اللجنة الطبية في هذا المستشفى صنيع الطبيب الشعبي الذي أجرى تجاربه على صدري بالكي بالنار؛ كان ذلك في الرياض وقبل سفري إلى لبنان؛ أربعة أكوية من اليمين اثنان ومن اليسار اثنان على طول عشر سنتي؛ ومن علامة نجاح هذا الكي أن يدمي ويتقرح؛ وفي لغتهم ناقل فإذا نقل وتجرح وأخرج الصديد كان ذلك علامة إصابته المرض والشفاء يأتي عقب ذلك؛ قال لي الدكتور: إن هذا الكي على نبضات القلب وأخطر مكان من الجسم؛ تذكرت قول الطبيب الشعبي وهو يضع إصبعه على نبضات القلب؛ هذا هو محل المرض وسيكون الكي عليه، لقد تحملت ألام الكي رغبة في الشفاء والعافية؛ ولكنها التجربة التي جعلتني بعد ذلك لا أسلم نفسي ولا أولادي لطبيب شعبي مهما كانت التزكيات وصدق التجارب عنده؛ وقد قيل: يفسد الأديان نصف عالم ويفسد الأبدان نصف طبيب.

لقد زال عني شبح الموت وعدت أطمئن نفسي على نجاح هذه السفرة العلاجية وانفتح لي باب التفاؤل وأغلقت نافذة الموت؛ دخلت المستشفى بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٩٥٩م والعمر اثنان وعشرون عام الوزن ٤٥ كيلو الطول ١٦٨ الحرارة طبيعية والتشخصيص تدرن رئوي متقدم مزدوج متكهف أيمن؛ هذا هو الطب البشري نتيجة الفحوصات لأشعة وتحاليل الدم والبلغم والبراز ومقياس الضغط وما إلى ذلك؛ أما ذلك الطبيب مما أسميه بالطبيب

الحيوانـــي إذ كان الحيوانات غالباً ما تعالج بالكي؛ وليس هذا اعتراض على الحديث «**الشفاء في ثلاث وذكر منها الكي**» ولكن الاعتراض على الطبيب الجاهل بالطب ومثله من لا يحســـن تركيب الأدوية والمقاييس فقد قال ﷺ لرجل: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**» لأجل اســـتعمال العسل ولم ينجح معه؛ إنها الأسباب التي لا يحكم بنجاحها إلا بإرادة المسبب والمتسبب يفعل السبب ويترك الأمر لربه والله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

لقـــد كان هذا المرض أول مرض طويل عرفته في حياتي؛ فأفادني مبادئ هي القواعد الأبدية لســـير حياتي الاعتماد على الله واليقين بأن ما شاء الله كان وما لم يشـــاء لم يكن لا أحد يتحمل عنك ألام أو يســـدي إليك من جسده أو روحه ما يعيد لك الصحة والعافية؛ وشيء مهم المادة فهي محور الحياة وترابط البشر وعربون الصدقة والمحبة وأساس التعامل البشري الفطري وتســـيير الأعمال؛ ثم الأســـباب التي هي عوامل النجـــاح في الحياة بتلك القواعد كان لي دور في المستشـــفى مع المرضى البدو ولقد دعوني بالمطوع؛ التف حولـــي منهم الكثير وكنت حملت معي بعض الكتب المدرســـية في التوحيد والفقه رغم أن المستشـــفى تابـــع للجامعة الأمريكية في بيروت وبه إرســـاليات التبشير تكثف نشاطها بين المرضى المسلمين؛ قمت بدور إيجابي في التحذير من تقبل النشرات والكتيبات التي يهديها القسيس كل يوم أحد؛ حيث يؤدي الصلاة مجمع المرضى المسلمين وهم لا يطمعون في تنصيرهم ولكنه التعبد الـــذي يلزمون به كأداء وظيفة رتيبة والقيام بالواجب الوظيفي ومن هنا كانت تقام صلاة الجماعة لخمســـة أوقات بل تجاوز ذلك إلى أداء صلاة الجمعة في المستشـــفى من غير اســـتئذان من إدارة المستشفى؛ وكنت الخطيب يوم الجمعة أما صلاة الأوقات فكل جناح من المستشفى يقيم عنده صلاته ولو لنفر يســـير؛ لقد دبت الحيـــاة الإيمانية في صفوف المرضى حين نذكرهم بالله والبعد عن الشـــهوات المخلة بالشـــرف والدين؛ إذ أن بعض

المرضى يتسللون إلى بيروت للسمر ومعاقرة الخمر هدى الله من شاء هدايته وساعدني على ذلك الطبيب الكردي الذي جاء للتدرب عقب تخرجه من الجامعة الأمريكية في بيروت إلا أنه كان يبدي حماساً ضد جمال عبد الناصر والوحدة بين سوريا ومصر مماجعل السوريين من المرضى لا يميلون إليه ولا يرتاحون لحديثه وكان التصادم والجدل بين هذا الدكتور والسوريين والعراقيين أنصار جمال عبدالناصر إلى أن طلبوا من المستشفى طرد هذا الدكتور الكري المنتمي لحزب التحرير وبقي العمل في تجميع الجمع وإلقاء الدروس في حدود لا يلفت النظر أما السوريون والعراقيون فهم أبعد الناس من التدين والإلزام بالصلاة في أوقاتها هل كان هناك احتجاجات على القسيس كروكن عقب طرد الدكتور الكردي المسلم لقد كان لهذين الحدثين نشاط القسيس بين المرضى وإبعاد الدكتور الكردي صدى في غرف المرضى وتجمعاتهم بطلب طرد القسيس إذ لم يكن طبيب يعالج ولا موظف إداري يؤدي عمل ونسبة النصارى في المستشفى أعداد قليلة والأطباء لا يحضرون لصلاة الأحد وحتى لا تعود عقارب الساعة إلى العنف فيقع له ما وقع لوالده أمر الدكتور شارل القسيس أن يخفف من زيارة المستشفى وأن لا يخاطب المسلمين في الديانة الإسلام أو النصرانية وأن يكون على حذر من صدور ما يسيء للمستشفى.

أمضيت مع المرضى مدة إقامتي في المستشفى كمرجع ديني وأقمنا صلاة عيدين مع ما نصليه يوم الجمعة والأوقات دعاني الدكتور شارل وأشار إلي بضرورة الراحة على السرير فإذا كان لدي بعض الفراغ فيمكن أن يستغل بأعمال يدوية خفيفة أو رسوم أراد من ذلك صرفي عن متابعة المرضى والإكثار من الحديث معهم في قالب النصح من أجل الصحة لزاماً علي ولو من باب المجاملة إغلاق غرفتي علي وعدم السماح بالزيارة ويكفي صلاة الجماعة.

بيروت ملتقى الفئام ومجمع الأخلاط

قد لا تحكم على السحنة اللبنانية أهي فرنسية أوربية أم عربية شرقية؛ قد رقت أصوات الكثير من اللبنانيين ونعمت بشرة الوجوه بفضل الإدهان والتجميل والتزيي بزي الخواجات؛ أعني النصارى فالمهم عند السواد منهم: حسن الزي وأناقة المظهر الجميل وعذوبة المنطق وحسن العرض والطلب؛ مما جعل لبنان ملتقى الشعوب وهو المركز التجاري العالمي ومنبر الإعلام لمن يشتري ويزيد؛ مطابع تلفظ الأصناف الكتب ومصنفات الديانات والمذاهب والاتجاهات؛ ساحة البرج في بيروت ساحة التفرج على أصناف البشر من عرب وعجم لا تكاد تخلص من منظر إلا ويسابقك المنظر الآخر؛ وعرب الخليج هم صيد الفراء وهم أقرب إلى التأثر مما يشاهد ويرى بخلو الذهن وسخاء اليد ووفرة المال؛ وإن شئت فقل ضعف الدين وتسلط سلطان الشهوات؛ فهذا مسرح الفاروق تكتظ أبوابه بلابسي الدشداشة ومنكسي العقل درجوا على مدارج المسرح وألفوا ما فيه من المستنقع؛ وإن كان في نظرهم يسر ويفرح؛ أما طرابلس لبنان فهي المدينة الثانية بعد بيروت وبها الأكثرية من المسلمين لبناني الأصل؛ ولكن لا تخلو من تأثر الجارة بيروت؛ طلب زميلي ونحن في طرابلس أن ندخل أحد الكازينوهات بغرض الاستطلاع ومشاهدة ما لا يستساغ في نظر المتدين؛ فأجبته على طلبته ودلفنا نحو المقهى وكنا نسمع بالليالي الحمراء ولم نفقه هذا المعنى إذ لم يكن لنا عادة في المسامرة ولا في المغامرة؛ عرضوا علينا ماذا نشرب؟ فقلنا: البيبسي؛ فجاءتنا فتاتان كل واحدة بزجاجتين من البيبسي وجلستا حذونا وعرضتا علينا الدنس بمعنى الرقص أو استماع أي أغنية تعجبنا؛ فاعتذرنا عن هذا وذاك ولكن كان المقهى يضج بالأصوات والنبرات والنغمات؛

واستأنا من النظر والخبر وقمنا نريد الانصراف؛ وضعنا ليرة واحدة على الطاولة عن الأربع الزجاجات حسب ما هو مسعر خارج المقهى؛ إلا أن الأمر لم يعد كذلك فقد طلب منا دفع عشرين ليرة لبنانية لكل زجاجة خمس ليرات فكانت الوصمة؛ اعتذرنا لأول مرة ندخل الكازينوهات ونحن من البدو فأقبل منا ليرات وسامحنا عشر فأبى إلا دفعها أو البوليس.

أما الجبل عاليه وأبو حمدون وحمانا فكل المصطافين في جنة لا تكاد تصف ما فيها قصور شاهقة ومراتع الإبل لمشايخ الخليج؛ تشم عبيق الأزهار وتستظل تحت أعمدة أشجار الصنوبر وترقى على صخرة وتهوي إلى نهر؛ لقد كان ممن يصطاف بعالية حاكم قطر: الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني؛ وكنت على صلة بالعلامة الشيخ: محمد بن مانع جليس الحاكم ومستشاره؛ وأتردد لزيارته وإن كان قد بلغ سناً أعجزته عن المنادمة والمحادثة إلا أنه يبش في وجه الزائر ويفرح بالمسلم؛ وفي حمانا مركز الاستشفاء أسس خصيصاً بعلاج الدرن والالتهابات الرئوية وفيه ومنه أكتب مذكراتي وأستنزف ما بقي في ذهني من تلك الذكريات؛ في حمانا التي نسيت الكثير منها وبقي ما بقي لأسجله وأستذكره بعد ثمان وأربعين عاماً كنت في عز الشباب وعنفوان النشوة؛ ولكن مصرع الأمراض وعجلة الأعراض كانت هي الباقية في ذاكرتي مما أنقله لأجيال قادمة وربما الأقربون أولى بقراءته واستذكاره.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النارسات أو الممرضات

هن من الراهبات المتدينات سعاد ويسرى وبرناديت وماما، فالأولى كانت تناولني الأدوية بالتوقيت الزمني حسب التقارير الطبية؛ والأخرى تنادمني الحديث وتفتح لي باب الأمل في الشفاء والعودة إلى الوطن؛ وبرناديت الثالثة خاصة بالمشغل لإعداد الخيرزان والخياطة في خدمة المرضى؛ أما الرابعة (ماما) فهي التي تسهر طوال ليلها لمراقبة المرضى والاطمئنان على نومهم؛ استيقظت ذات ليلة وخرجت خارج الغرفة فجاءت (ماما) لتعرض علي الخدمات؛ فقلت: جائع ولست كذلك ولكن لا بد أن أبدي لها حاجة؛ فذهبت وأتت بالأكل وهي تقول: هذا الطعام أبقيته خشية أن يقوم أحد يرغب فيه فكان نصيبك؛ إنها (الماما) لكبر سنها وصبرها على متابعة المرضى في نومهم فلا تسمح لمريض بالسهر ولا رفع أصوات المذياع ولا بالمحادثة لأحد؛ إذ كان التوقيت لوجبات الطعام كالتوقيت للنوم والراحة في أثناء النهار؛ وبهذا ينتظم المريض في ضبط وقته وملاحظة صحته، أما الأرمني فقد خص لكل مجموعة من المرضى إرمني من بلاد روسيا الذين هجروا إلى لبنان لتكاثر النصارى وغلبة المسلمين في العدد؛ إذ المسلمون الأكثرية عدداً بحكم التناسل وخصوبة الأرحام عند المسلمات بخلاف النصارى فهم يهتمون بالكيف لا بالكم؛ سنة الأوربيين وطبيعة الغرب بخلاف المشرق الإسلامي أو المسلمين والأرمن وإن كانوا تبع الكنيسة الأرثودكس لكنهم يدخلون في مسمى النصارى وهم أقل درجة من البروتستانت ديانة أمريكا وإنجلترا؛ كما أن ثقافتهم ضحلة وتخصصاتهم العلمية مفقودة؛ لذا كانت مهمتهم تنظيف المرضى والخدمات الصحية كالتغسيل وكي الملابس؛ ومن تعاليم المستشفى أنه لابد كل أسبوع يوم يكون للتنظيف وتغيير الملابس

بواسطة الأرمني المتخصص في دلك أجسام المرضى بالصابون والماء الفاتر؛ وربما يمضي نصف ساعة أو أقل بغرض التدليل حتى قص الأظافر والأمر بإزالة العانة بعد فراغه من التدليك الظاهري؛ كسب هذا الأرمني ود الكثير من المرضى وأغضب البعض لقدرة بعضهم على خدمة نفسه في الحمام إلا أن الأمر فوق الاختيار بالاستسلام للأرمني بتنظيف الجسد ومراقبة تغيير الملابس في كل أسبوع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس الأعلى
www.moswarat.com

الأردن

لم يعلق في ذهني من ذكريات ما يوجب تحريره وتصديره للقارئ الكريم، حيث كانت زيارتي للأردن متأخرة وفي مهمة رسمية لم تدم سوى بضعة أيام غير أن من قابلته وعرفته أكثرهم من المعارف والأصحاب القدم فلذا لم يستجد عندي ما يوجب تحريره ولا سيما أن الأعمال الرسمية لا ينبغي تسطيرها لقارئ لا يعرف عن خلفيات العمل ولا هوية الكاتب فقد تحمل على غير محملها الطبيعي؛ وممن قابلته في هذه الزيارة بعض المشايخ المهتمين بالدعوة والإرشاد؛ وممن لنا بهم سابق معرفة:

١ ـ فضيلة الشيخ يوسف البرقاوي: عالم فاضل يتعاون مع جمعية الأوقاف، أو لعله المسئول الأول في مدينته ببرقا وهو ذو حماس ونشاط في الدعوة، قوي البنية، قوي الإرادة، سريع الخلاف مع من يجادله ويناظره وهي سمة ظاهرة لجميع السلفيين أو المنتمين للسلفية يعتمدون على قوة الحجة وضعف الخصم وقوة الدليل، وهذا شأنهم مع أصحاب الطرق والبدع، أما في السياسة فإنهم يضربون صفحاً عن الجدل والتفاسير ولا سيما عندما يتطرقون إلى تسمية أسماء بعينها، فلذا فإن حكومة الأردن ترضى عن مثل هذا الخط السلفي، وقد تستعين بهم ضد الأخوان أو جماعة حزب النبهاني، فلذا مجالهم مفتوح من غير اعتراض إلا من جهات شعبية غير رسمية.

٢ ـ الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين: المشرف العام على الدعوة في الأردن وفلسطين من قبل رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، والشيخ سعد له تاريخه الطويل؛ وسيرته المليئة بالعجائب والغرائب، فقد تقلب في عدد من المناصب كان آخرها

مديـــراً عاماً للتعليم الثانوي في وزارة المعـــارف بالمملكة، وثقافته مزدوجة فهو خريج كلية الشـــريعة بمكة، ولقد تلقى دراســـات فـــي أوروبا وأمريكا قرابة ســـبع سنوات جاب فيها مدن وأقاليم دول الغرب، كان آخر ما توجه إليه أن يكون داعية وخادماً للدعوة خارج المملكة، وضحى بكثير من وقته وصحتـــه وماله في هذا المضمار ومع علمه وفضله فإنه جم التواضع، يرى خدمة المســـلمين ديناً وعبادة، حتى أنه يقوم بطهي وتقديم الأطعمة للفقراء والمحتاجين في الأردن.

حدثني عن نفسه: أنه في رمضان يفطر عنده ما يربو على ثلاثمائة رجل ينفرد هو زوجته فقط لخدمتهم وتقديم وجبة الإفطار والعشـــاء للصائمين؛ والشـــيخ ســـعد أخ وحميم وصديق وفي، إلا أن الخلاف بيني وبينه عدم اســـتقراره في التوجهات الدعوية، وقد يرى اليوم ما لم يره بالأمس ويتفق مع شخص أو مجموعة في يوم ويختلف معه أو معهم في اليوم الثاني.

وهو حســـب توجهه يدين الله بما يراه ويعتقده ولا يرى التقليد والمجاملة ولـــو في الظواهر الاجتماعية، ولعله بهذا تأثـــر بالغرب بعدم اكثراتهم إلا فيما اقتنعوا به.

٣ ـ الشـــيخ ناصر الدين الألباني: شيخ الشام والمحدث الشهير بعد أن لفظته سوريا وخرج منها هارباً، استقبلته الأردن فكان شيخ الشباب ومرجع الفتيا، وله جلسات وندوات في الأردن، ولم يكن الشيخ ناصر في يوم من الأيام عزم على التنظيم والتكتيك الحزبي أو الجماعي، ولكن شعاره السلفية ودعوته الأخذ بالدليل في جميع المســـائل والقضايا العقدية والفقهية؛ لقد وجد الشـــيخ ناصر متنفســـاً في الأردن ليقول كلمته ورأيه حتى في الأمور السياسية والقضايا العامة.

وقد ذاع ذكر الشـــيخ وكثر رواد مدرسته، إما باللقاء أو بدراسة كتبه في الكويت والخليج العربي والمملكة، التقيت بالشيخ ناصر في الأردن وذكرته

مقابلتي له في الشام عام ١٣٨٠هـ حينما أخبرته أنني سمعت في المملكة أنك مرشح للتعليم في المدينة، فقال لي: لي معشوقة في دمشق لا أفارقها وهي لا تصحبني فغاب عني مغزى كلامك، فقلت: معشوقتك هي المكتبة الظاهرية وها أنت قد فارقتها، قال: نعم وهكذا المقادير.

وما شاء الله، كان الشيخ ناصر الألباني قوي الشخصية قوي الحجة يفقد العاطفة واللين مع كثير من أخوانه، وقد حدث أن اختلف مع صديقه الشيخ نسيب الرفاعي في قضية عصمة زوجات الأنبياء من الزنا، فالشيخ نسيب يقول: هن منزهات عن الفاحشة، ولا نقول بعصمتهن، وسبب ذلك هجراناً من الشيخ ناصر مدة تزيد على عشر سنوات ولا تزال؛ عفا الله عن الجميع وغفر لهما.

المكتبات في الأردن (عمّان):

ومما يلفت النظر كثرة المكتبات التجارية الدعوية، وقد تنفس المسلمون بعد الضغوط في سوريا، وأقاموا دور نشر لها إمكانياتها في نشر الفكر الإسلامي، والتوجه الدعوي، وباختلاف التوجهات الدعوية تكثر الخلافات بواسطة النشر والطبع والشريط، فكان للمكتبات أسواق رائجة تموج بالأفكار والانتماءات الإسلامية، وساعد على ذلك أن حكومة الأردن لا ترى بأساً من اختلاف بين الطوائف أو الهيئات الإسلامية مع إعطاء الحرية للكلمة في حدود مقبولة.

نضرب لذلك مثلاً في وقوع حادثة سمعت عنها وعرفت صاحبها: الشيخ أسعد بيوض التميمي زعيم الإخوان المسلمين؛ حينما خطب في مهرجان نعت الملك حسين بالقزم الماسوني، قال الراوي: وقد اعتقل الشيخ أسعد؛ وبعد فترة استدعاه الملك حسين لمعاتبته شخصياً، قال الملك: زعمت أن لا حرية في البلد، فقال أسعد: وأنا من أين جئتك أمن بيتي؟ أم من المعتقل؟ فعجب الملك حسين لبداهته في الإجابة وقوة حجته فقال له:

اذهب فقل ما شئت فأنت في بلد حر، ويعطي الحرية لشعبه، ومع هذا فإن الملك كان يستفيد من التنظيم الإخواني أكثر من غيرهم في مجالات عدة، فوزير التعليم كان من الإخوان؛ والملك يطلع ويعلم جيداً جميع الاتجاهات وموقفها من الدولة، ومع هذا فهو يعاملهم معاملة الملك لشعبه على السواء.

مناخ الدعوة في الأردن:

تعتبر الأردن في نظري من أفضل البلاد الإسلامية، وبالذات العربية مناخاً للدعوة، فمع وجود نظم تمنع من استعمال المساجد للوعظ إلا بعد موافقة الدولة؛ فإن النظام لا يستعمل ضد الداعية إذا هاجم سياسة الدولة مباشرة أو تسبب في إثارة نزاع مع جمهور المصلين يصل إلا تقديم شكوى ضده.

وعلى هذا توجد جمعية نشطة للإخوان المسلمين؛ وتقوم جماعة التبليغ بعمل واسع؛ ولأهل الحديث تأثير واضح رغم ضعف حركتهم، وللأسف لا يوجد تعاون بين الجماعات الرئيسية الثلاث وإن كان هدفها واحد، وكل منها يقوم بجهد مطلوب يكمل بعضه بعضاً، وحتى في المناطق المحتلة لا تعترض السلطة على الدعوة إلا إذا تضمنت تحريضاً على العصيان بأنواعه، وللصوفية وجود يتمثل في الزوايا المتناثرة وحلق الذكر، ولكن ليس لهم من التأثير أو الانتشار ما للصوفيين في مثل المغرب والسودان والقارة الهندية.

ومشكلة الأضرحة تتركز في المناطق الفقيرة والنائية، ولكن نحسبها ولله الحمد في أفول مستمر بسبب انتشار المعرفة في المجتمع الأردني أكثر منها في أي مجتمع إسلامي آخر، وفي المناطق الفقيرة خاصة توجد كثير من المنكرات مثل الذبح الشركي عند الضريح أو حماية البناية الجديدة والسيارة الجديدة أو مؤنسة الميت، وهناك حساسية رسمية شديدة ضد إثارة أي نزاع بين المسلمين والنصارى، وكذلك فيما يتعلق بالوهابية ومع كل ذلك توجد

حركة جيدة واتجاه قوي نحو الإسلام ورغبة في سماع الموعظة وتقبلها.

تصحيح الاتجاه:

تقتصر الدعوة على موضعين رئيسيين: العقيدة وأحكام العبادات والمعاملات حيث تقوم الجماعات الإسلامية والهيئات الرسمية بمهمة الوعظ العام، ويطلب من كل داعية تنظيم وتحضير درس أسبوعي ينفذ في عدد من المساجد، وكذا الاشتراك في الجماعات الإسلامية الرئيسية، ومن ذلك الكسب السياسي والدعاية.

والدعوة نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، وكذا مناصرة القضايا والشعوب الإسلامية، وكل هذه من ملتزمات الدعوة وللمشرف العام على الدعوة التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

دوره الإيجابي في مناصرة الدعوة والدعاة وتعاونه الشخصي الرسمي مع الجهات الدينية والرسمية هناك، وفي تعداد الدعاة التابعين للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ما يجعل لهم دورهم الإيجابي في التغلغل في صفوف المنظمات الأخرى لفرض الإصلاح والدعوة وتضييق الفجوة بين المنظمات الإسلامية العاملة، ويرتبط عمل الدعاة في الأردن وفي المناطق المحتلة برباط التعاون وتوحيد الاتجاه في تصحيح المفاهيم العقائدية، ولا سيما وأن حرية الكلمة تمنح كل داعية أن يقول ويناقش ويجادل، وهذا دليل على مصداقية ما ورد من الآثار على أن بلاد الشام تكون مهبطاً للمسيح ـ عليه السلام ـ ونزوله من السماء فيها فيكسر الصليب ويحكم الشرع ويدين الناس بدين الإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اليمن الجنوبي وعاصمته عدن

في الشهر الحادي عشر من عام ١٣٩٧هـ، وبعد جولتي في جيبوتي والصومال توجهت إلى عدن، بعد محاولة كادت أن تفشل في حصول على تأشيرة دخول عدن من جيبوتي، والتي كانت أعني اليمن الجنوبي في كنف الشوعيين الملحدين من الروس والصين، وكان محظوراً أو شبه محظور على العرب غير المنضمين إلى الجناح اليساري دخول عدن، ولكن بعد إلحاح وتوسط من جهات رسمية دبلوماسية حصلت على التأشيرة ولمدة خمسة أيام فقط.

وصلت إلى عدن، البلد الحبيب الطيب الذي ظل على ثغرة من ثغور الجزيرة العربية (باب المندب)؛ والذي لا يزال محط أنظار الأمم واتجاه السياحة من غرب وشرق، ما كدت أتسلم جوازي من مطار عدن وأدلف إلى السيارة حتى أسر إليَّ صاحبي بالخبر الدستوري الذي أصدرته حكومة عدن بتخفيف الحكم من الإعدام إلى ما هو أخف منه على من يتلبس بجريمة اتصال بأجنبي داخلي أو خارجي.

ويعتبر الأجنبي هو: غير اليمني الجنوبي، والاتصال أدناه المحادثة، وكان هذا الخبر عنوان ينطبع في ذهني عن هذا البلد العزيز والعهدة على ناقله، إلا أن الخبر اليقين هو أنني ظللت أجوب البلاد وأدخل المساجد والمقاهي والأندية، فلم أرى من يقول السلام عليكم ولا من يرد عليَّ السلام إلا سراً وبدون صوت، انقطع الأمل من الاتصال بأحد أو كاد ينقطع حتى ألم بي أحد رجال المباحث وسألني: هل أنت حضرمي؟ وقد سمعت أنه من كانت عليه سمة الحضارمة يرسل للتجنيد قسراً، فنفيت بشدة وقلت: أنت لا تعرف الناس، أنا سعودي من نجد، ثم سألته: ما هو عملك؟ فقال: خدمت في الجندية عشرين سنة واليوم أعمل حارساً في هذا المكان، وأشار إلى عمارة

قريبة منا، فرددت عليه أن عمل كهذا لا يكفل لك كرامتك بعد مضي عشرين سنة في الخدمة، فقال: آه أرضكم أرض السعادة والخير، الله يعلم الحال.

أُذن لصلاة المغرب فقلت: هيا لنصلي، فقام ونهض معي مسرعاً وهو يحدثني بحذر وصوت خافت حتى صلينا المغرب فنظرت إليه حتى قام ليؤدي سنة المغرب فخرجت مسرعاً، ولكن ما كدت أخرج من باب المسجد حتى رأيت الرجل خلفي، فعرفت مهمته وهي التجسس.

مدينة عدن هي البلد العربي الأصيل المتحضر الذي لا يزال في بداية الطريق لمستقبل مظلم قاتم إلا أن يتداركه الله برحمته، لم أرى ثغراً باسماً أو أسارير وجه متطلعة على من يصب الشعب العدني جام غضبه، أهو على السياح وهم قليل، أم على النظم المستوردة الغاشمة، يرجع علم هذا إلى من غضب وثار.

اكتفيت من عدن بإعجابي بالأمن التام إلا من جهة واحدة (الدولة) وبرؤية العمارات الشاهقة التي كانت إبان الاستعمار الغربي والتي أصبحت مأوى كثير من الشعب اليمني المسكين، وعن قبر العيدروس المعبد الذي سمح له أن تفتح أبوابه للزيارة والتبرك طيلة النهار ومعظم الليل ويتبعه مسجد يزخر بالمصلين والزائرين، وهو الواجهة العريضة للإسلام في عدن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في حي لينين:

ولجولة على مدينة عدن رأيت حياً من المباني الحديثة، قد كتب عليه (حي لينين) وهو هدية من الدولة الشيوعية لحكومة عدن، وما أكثر العناوين واللافتات بأسماء الماركسيين وزعمائهم في عدن البلد العربي الإسلامي الأصيل.

تجولت في الحي، ورأيت أمراً عجيباً وهو الصمت، وإن شئت فقل الظلم؛ رغم هذا السخاء الشيوعي والإغراء للشعب العدني يتبني الشيوعية، قال لي أحد الناس: إن بهذا الحي تنظيم خاص للأسرة العدنية، ومن البرامج

المتبعة أن تكون اللقاءات النسوية في الأندية بعد الواحدة ليلاً ليكون الرجل في بيته وبين أطفاله والمرأة تباشر عملها بعد الواحدة ليلاً حتى الصباح ليبدأ عمل الرجل في الصباح حتى بعد الظهيرة، ولا يدري الرجل أين تذهب المرأة، ولماذا تذهب، ولا يحق له السؤال والمناقشة.

ومما بلغني أن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ كلف رئيس الجمهورية المصرية أنور السادات أن يتفاوض مع حكومة عدن بإلغاء تسمية هذا الحي (لينين)، فرفضت الحكومة، رغم أن الدولة السعودية أو الملك فيصل وعد ببناء حي مماثل لحي لينين، ولكن التعصب من حكام عدن آنذاك أصروا على التبعية للشرق الملحد الشيوعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقفة على البحر:

وقفت على البحر العربي وحدي، وكان عن يميني شيخ معمم على بعد خمسة أمتار، نظرت إليه بابتسامة لعله يرد ببشاشة وجه أو فرح بلقاء، فقد رأيت عليه سمة التدين، فهو ملتحي ومتعمم، ولكنه لا يقدر على الخروج من الدستور الجهنمي.

رأيته وهو يسكب عبرات الدموع، تعبر عما في نفسه وما يكنه ضميره من مودة ومحبة للمسلمين وخاصة من يفد من المملكة العربية السعودية، ولعل هذا آخر قدرته على التعبير والله المستعان.

مكثت في عدن خمسة أيام لم أكلم أحداً، ولم يكلمني أحد حتى خدم الفندق تكون خدمتهم بالكلمات السريعة العاجلة والخفة الخائفة؛ اللهم إلا في سفارتنا السعودية، فقد كان لقائي بهم يومياً وهم يحذرونني عن التحرش بأحد اليمنيين، قال لي مندوب السفارة: لقد جاء أحد كبار علماء هذا البلد يطلب تأشيرة زيارة لمكة والمدينة فأرسل جوازه مناولة سائقه، فلما علمت أنه موجود عند بوابة السفارة نزلت إليه للسلام ودعوته لتناول فنجان حتى تنتهي إجراءات تأشيرة الزيارة، فقال لي: بصراحة أود هذا، ولكنني

في حرج، فأرجوك لا تحرجني ولا توقعني في مشاكل، والمعنى أن دخول هذا العالم للسفارة السعودية يعتبر فيه إحراج وإيجاد مشاكل لهذا العالم، ومثله كثير، والله يتولى عباده وهو أرحم الراحمين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اليمن الشمالي وعاصمته صنعاء

ما كادت الثورة اليمنية تزول زوبعتها وتهدأ عواصفها بعد مضي سبع سنوات، كانت سنين عجاف من الحرب والسلب والنهب بين المواطنين أنفسهم وبمناصرة عدو في صورة صديق، الرئيس الأسبق جمال عبدالناصر عليه من الله ما يستحق، إذ حشد ما يزيد على خمسين ألف من الجنود المصريين في اليمن لمناصرة الثورة العربية الاشتراكية، في زعمه المكذوب.

أقول: ما كادت تهدأ تلك العواصف حتى انفتح للشعب اليمني أبواب المملكة العربية السعودية بالدعم والمساعدة والمنشآت التي ترى الدولة السعودية أن ذلك واجب أخوي، وكان من ضمن الدعم والتأييد إيجاد النشاط الدعوي، ومد يد التوجيه والإرشاد للشعب اليمني الغافل المستغفل لهدايته وإرشاده.

صدر التكليف من جهة رسمية للشخوص إلى اليمن لتقييم العمل الإسلامي وطرق وأساليب الدعوة التي يمكن أن تستخدم لمناصرة اليمنيين القائمين على الدعوة والتعليم الديني، فكان ذلك بحمد الله وبمعيتي من يُعينني على أداء مهمتي على الوجه المطلوب، فقد كان الأمن في ذلك الوقت لا يزال في اضطراب وغير مستتب؛ ولا زالت بعض النفوس المريضة تسيء الظن في الدولة السعودية من عدم ارتياحها للثورة أو معاكستها خط التقدم الثوري، ومع هذا فقد استعنت بالله وتوجهت مع رفيق إلى صنعاء في عام ١٣٩٥هـ، ومن مطار الرياض إلى مطار صنعاء بتأشيرة عادية وبدون توجيه رسمي أو اتصالات بجهات رسمية في اليمن، وإنما علاقتنا مع المواطنين وبالذات العاملين في حقل الدعوة والإرشاد وهم ممن سأذكرهم أو بعضهم.

في مدينة خولان وبعد جولة سريعة في عاصمة اليمن صنعاء، وهي العاصمة الزيدية المتأصل فيها المذهب الزيدي الإمامي والشيعي؛ لم نلمس في صنعاء أي قبول أو توجه أو رغبة في الحديث عن العلم والتعليم، غير أن المستمع في المساجد بالذات المساجد في أطراف العاصمة كثيرون، ففي أثناء إقامتي في صنعاء كنت ألقي بعد كل مغرب من كل يوم محاضرة أو كلمة بعد الصلاة ولم نلمس أي مخالف أو معارض، فلعل الجميع يأخذون كلامي مأخذ الواعظ المتجول من غير قصد في تحريف أو اتجاه سياسي، ثم من صنعاء إلى مدينة خولان المعهد الإسلامي ورئيسه الشيخ صلاح، وذلك المعهد الذي كان ولا زال منارة للتعليم الإسلامي رغم ما كيد له ولصاحبه الشيخ صلاح، فقد شاهدنا أثر القذائف النارية على بناية المعهد تهديداً لطلابه وتخويفاً لصاحبه من قبل الشيوعيين والقومين العرب ممن تتلمذوا على المدرسة الناصرية، غير أن الشيخ صلاح سار بمعهده سير الصابرين والمحتسبين، وكانت زيارتنا له زيارة دعم وتأييد ومناصرة، فقد تم التوثيق والتعارف بين صاحب هذا المعهد ورجالات العلم والدعوة في المملكة العربية السعودية، فكان بحمد الله معهداً إسلامياً لا نقول سلفياً، ولكنه لا يعارض السلفية، وهو أشبه بالمعهد التحرري من المذاهب الفقهية التقليدية على حد سواء، ولعل هذا بتأثير من العلامة الداعي إلى الله الشيخ عبد المجيد الزنداني وفقه الله لكل خير.

أمضينا في خولان ثلاثة أيام نرقب حركات الطلاب، وبرامج تعليمهم والنشاطات التي يمارسها الطلاب، وكان من بين الأساتذة أخوة من السودان لهم توجه دعوي واضح وهو النهج الإخواني، ولعل هذا كان من أسباب غيظ الشيوعيين والقوميين على هذا المعهد، وكان الطلاب ينشدون الأناشيد الإخوانية.

هو الحق يحشد أجناده
ويعتد للموقف الفاصل

إلى آخر القصيدة، وهي من إنشاء وهتافات الإخوان المسلمين في مصر، وهم ألد أعداء عبدالناصر، جرى التشاور بين أبناء الشيخ صلاح وأساتذة المعهد حول رسم خطة منهجية في العمل، لا تشعر بأي انتماء واضح لغير الكتاب والسنة مع احترام وتعزيز مقام أولئك العلماء في البلاد، كالإمام الصنعاني والإمام الشوكاني، وأشرنا عليهم بتقرير عقيدة تطهير الاعتقاد وهي عقيدة ضد الإلحاد، ومثل ذلك تواريخ أعلام اليمن الذين لهم يد في الإصلاح، فإن النزعة الوطنية لا تزال في أذهان الكثير من اليمنيين ولا يمكن إنكار فضل من سلف أو غمط حقوق من جاهد؛ ولا سيما والتاريخ قد سجل لهم أمجادهم، هذا بجانب الفقه الإمامي مع ملاحظة أخذ بالدليل في المسائل الخلافية، وكان للمباحثة في هذا المجال الأثر الطيب مما جعلهم يعدون بتنفيذ تلك المشورة والتوصيات.

من صنعاء إلى مأرب ببلاد قحطان وبالطائرة، توجهنا إلى مأرب البلدة السلفية والتي حماها الله من التأثير الزيدي في صنعاء، أو الإسماعيلي في نجران.

مأرب هو كما في القرآن الكريم حيث كان بلد الحضارة والعمران: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥]، لقد بقينا في مأرب خمسة أيام في ضيافة شيوخ مأرب وطلاب العلم فيها، ولعل من أسباب عدم التأثير عليهم في المذهب الشيعي أو الإسماعيلي انتمائهم القبلي إلى قحطان وارتباطهم بقبائلهم في المملكة، وقد شاهدنا ما أثلج الصدر من قيام المدارس القرآنية والدعوة والإرشاد في مدينة مأرب، وقد لا نسميها مدينة، فهي قرى ومزارع على ضفتي الوادي، وقد شاهدنا سد مأرب المذكور في القرآن، وقد تهدم وبقيت آثاره، غير أن الشيخ زايد بن نهيان رئيس دولة الإمارات العربية أبدى عرضاً لحكومة اليمن بتبني إعماره وتشييده للاستفادة

منه، وكان هناك حوار بين مشايخ مأرب وحكومة صنعاء، وقد رفض المشايخ أي اتفاق بين حكومة صنعاء والشيخ زايد فيما يخص السد إلا بدخول المشايخ في الرأي واشتراكهم في المشورة حول تنفيذ مشروع إعادة السد، ثم بعد مضي سنوات تم الاتفاق وتم المشروع على نفقة الشيخ زايد بن نهيان.

في مدينة إب مدينة الشوافع أو أرباب المذهب الشافعي؛ وبها نلتقي في المعهد العلمي والتي أسماها صاحبها بالمدرسة العربية، وهو الشيخ أحمد راشد الأبي والشيخ أحمد راشد من الزملاء في الدراسة بالرياض، وتخرج في كلية اللغة العربية عام ١٣٨٣هـ.

وكان ضمن المدرسين في معهد صامطة بمنطقة جيزان، ثم بدأ له أن يقيم عملاً إسلامياً بواسطة التعليم وافتتاح معهداً علمياً بواسطته يمكن إيصال المعلومات واختبار من يتلقى هذا العلم، فكان له ما أراد.

حدثني الشيخ أحمد راشد وقال: زار الرئيس إبراهيم الحمدي مدينة إب، وقد شاهد المعهد ونشاطه فقال: كيف تأسس هذا المعهد وبأموال من؟ قال فأجبته: من التسول والشحاذة، فقد كنت أكلف كل طالب يأتي بكيس أسمنت أو بأبلكة واحدة في كل مرة حتى تكون البناء، قال: فعجب الرئيس الحمدي بهذا، وأمر بدعم المعهد دعماً سخياً دفعنا للعمل أكثر.

وقد شاهدنا من التنظيم والترتيب بسير الدراسة في هذا المعهد ما يثير العجب، مما جعل أبناء اليمن يسارعون في إقامة تنظيم للمعاهد الإسلامية في جميع مدن اليمن يبدأ العمل فيها بصفة شعبية ثم تطالب الدولة بدعمها وتشجيعها فكان ذلك حيث تأسست المعاهد العلمية في كثير من مدن اليمن على غرار المعهدين المذكورين، معهد خولان ومعهد إب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

سلطنة عُمان

ما كادت مشكلة البريمي تنتهي ويتم تسوية الخلاف مع المملكة العربية السعودية وأبوظبي وعمان حتى تنبهت الجهات الدعوية في المملكة بضرورة اللقاء وتبادل المعارف، ولا سيما وعمان يدين أهلها بالمعتقد الأباضي.

كلفت مع زميل لي من العلماء للشخوص هناك عام ١٣٩٣هـ لاختيار الأرضية وإعطاء فكرة عن مشروع إقامة عمل إسلامي دعوي يتجه إلى تخفيف الفوارق بين الدعوة السلفية وما عليه الجماعة الأباضية.

كان طريقنا على دبي حيث بقينا خمسة أيام نتنظر الفيزة أو تأشيرة الدخول إلى عمان رغم تدخل السفارة في دبي ورغبة السفير السعودي في عمان الملحة في تواجدنا قبل بداية شهر رمضان حتى يكون لنا دور إرشادي بمناسبة الشهر الكريم رمضان، وبعد حصولنا على التأشيرة «سمة الدخول» لعمان كان وصولنا إلى مطرح حيث المطار، ومطرح مجاور لمسقط العاصمة.

كان السفير آنذاك الشيخ صالح الصقير، وقد بذل كثيراً من التسهيلات لمقابلة بعض من الشخصيات؛ وبالأخص وزير الخارجية والداخلية ومفتي البلاد ورئيس علمائها الشيخ الخليلي، لقد أثلج الصدر وفتح باب الأمل حينما تبلغنا أن الحاكم السلطان قابوس قد أمر بإقامة الجمعة في المساجد بخلاف ما عليه مذهب الخوارج أو الأباضية، وهو أنه لا تقام صلاة الجمعة إلا في خمسة مساجد، كما هو في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ، وهي الحَرَمان والقدس ونزوى والشام، وهي في زعمهم الأمصار الرئيسية وغيرها لا تجوز إقامة صلاة الجمعة فيها.

كذبة سياسية:

ونحن نتجه إلى مكتب وزير التعليم ثم مكتب وزير الخارجية، تأخرنا عن موعده عشر دقائق ونحن بمعية السفير صالح الصقير، فقال الصقير مداعباً: سنكذبها كذبة سياسية عن تأخرنا في الموعد؛ وفور السلام على الوزير والتعريف قال الصقير: نأسف عن التأخر حيث كنا في الميناء لنرى السيارات القادمة هدية من وزارة التعليم في المملكة إلى أشقائهم في عمان وعددها مئتي سيارة، أراد السفير بهذه الكذبة شيئين: الإخبار بوصول السيارات والاعتذار عن التأخير، وهو كاذب فيما قال، فلم نرى السيارات ولا المرفأ ولكنه تحقق عن وصولها فأخبر بها من غير مباشرة.

ومن الجدير بالذكر أن سفيرنا المحترم العبقري في سياسته وأسلوبه قد باشر أعماله السياسية في كثير من الدول: الهند والعراق، وأخيراً قابلته في تركيا وحدثته عن الكذبة السياسية في عمان؛ وأخوه الدبلوماسي الفاضل الشيخ علي الصقير الذي زاملناه في نيجيريا عام ١٩٨٧م، والآخر له سمة العقل والسمت والدين والسخاء، كثر الله أمثالهما.

بقينا مع الوزير العماني فترة دقائق لنخبره بالمهمة فرحب وقال: الإعلام في خدمتكم، وأين الإعلام آنذاك ليس سوى خيمة منصوبة في البرية وفيها الأجهزة الصغيرة البدائية هي نواة الإعلام العماني، ومع هذا فقد تهيأت لنا أسباب التحدث في هذه الإذاعة المحدودة الصغيرة، وكانت المواضيع حول بعض الشبه التي تزخر بها حضارة الغرب وموقف الإسلام منها كالاختلاط وتعدد الزوجات والمواريث إلى غير ذلك.

مع الشيخ الخليلي وعلماء مسقط:

اتسمت زيارتنا للعلماء بالمجاملة وعدم الخوض في الخلاف، حيث أن الخلاف السياسي قد انتهى ولا نريد فتح الخلاف الديني، فتحوا لنا صدورهم بالتحدث عن حضارة الإسلام وتقدُم المسلمين وعن ما يجب أن يكون في

وحدة الأمة الإسلامية، وأهدوا لنا كتباً تاريخية عن عمان وتاريخه المجيد كتراث، وأشار فيما كانت عليه عمان وهم في ما يظهر أنهم يلحنون في عدم خضوع عمان وما جاوره للنفوذ السعودي في أي عصر من العصور، وهو خلاف الواقع، ومع هذا فإننا نحجم عن الخوض في تاريخ ما مضى وانقضى.

الشيخ الخليلي شخص قيادي له نفوذه وهو بارع في الكلام والجدل وله شخصية نافذة، وظل كذلك حتى كان ولا زال هو العلم الشامخ بين علماء عمان مما جعله يستنكر النشاط السعودي خشية التأثير على مذهبه، وقد قامت الحكومة السعودية بدورها الدعوي حيث تم افتتاح مكتب للدعوة والإرشاد في عمان كما فعلت ذلك في دول الخليج عامة، ولكن الخليلي يسبر الحركة ويرقب التأثير، فما كادت الأعمال تسير وفق مخططها حتى قامت قائمة علماء الأباضية بطلب إغلاق هذه المكاتب وتوقيف النشاط السعودي، أقول من مهمتنا فحص الأرضية والاستعداد، وعلى أثر ذلك قام النشاط المذكور إلا أنه انتهى من غير تأثير يذكر، والآن لا تزال عمان ترفع راية المذهب العقدي للخوارج والأباضية، وأصدروا مجلة العقيدة للبرهنة على مذهبهم القديم، والله المستعان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرحلة إلى اليمن مرة أخرى

من الرياض بداية الرحلة إلى صنعاء، أمضينا ثماني ساعات، دخلنا صنعاء يوم السبت في اليوم السادس عشر من الشهر السابع عام ١٤٢٩هـ كان ميعادنا من مطار الرياض إلى صنعاء، لإنهاء إجراءات السفر على الخطوط اليمنية، وبعدها تم الوصول إلى صنعاء وكان في استقبالنا الأخ الفاضل العقيد علي حمود الجايفي، إذ كنا على موعد معه حين زيارته الرياض ومقابلته بمعية بعض الإخوة اليمنيين منهم الأخ محمد النهاري، وكان الأخ علي بلباسه الرسمي، لذا انتهت إجراءات المطار بسهولة واحترام، وإلى بيت الأخ المذكوركان استقرارنا تفضل بالدعوة وألحَّ بتناول العشاء وكان بصحبته أبناؤه الأربعة، أمضينا ساعة ونصف الساعة في بيت الأخ علي قَدِمَ من جوده وكرم الضيافة بالأكلات اليمنية ومنها ما يسمى: (بنت الصحن) المكونة من البر والعسل والسمن، وأضاف المأكولات مما نعرفه وما لا نعرفه شكر الله له أستأذنَّا الأخ علي كي يختار سكناً في وسط صنعاء؛ فلبى الطلب بعد عرضه المؤكد أن نكون ضيوفاً له في البيت، وكنا ثلاثة؛ إسماعيل بن عتيق، وعبد الإله الشايع، وعبد الرحمن الشتري وقبل أن ننصرف من بيت الأخ علي وصل الشيخ شاكر الهتاري أحد أعضاء البرلمان، وخريج المعاهد العلمية في صنعاء وبصحبة الأخوين توجهنا إلى اختيار السكن في صنعاء، وكان نزولنا في فندق الشلال.

يوم الأحد ١٧ رجب كانت جولة في صنعاء بمعية الأخ الفاضل الشيخ: علي فرأينا صنعاء مزدحمة بالحركة المتتابعة بالسيارات والمشاة وعرفنا بهذا أنها من كبريات عواصم الدول العربية، يقطنها ما يزيد على مليوني نسمة والازدحام فيها ظاهرة من ظواهر مدن عواصم العالم، بدأنا بزيارة المكتبات

التجاريـــة، ومنها مكتبة الجيل وهي من المكتبات التجارية القديمة التي تعنى بالقـــديم والحديث، ولها فروع عدة في داخل صنعاء وخارجها، ومن أبرز ما في هذه المكتبة: الكتب التراثية التاريخية لليمن.

وفي جولة دامت نصف ســـاعة انتهينـــا منها إلى مكتبة الحضارة وهي: مكتبة حديثة متعاونة مع كثير من دور النشر في داخل اليمن وخارجها اقتنينا منها بعض الكتـــب التاريخية ومنها «النهضة الأدبية في اليمن» جزئين، ثم توجهنا إلى صنعاء القديمة والتي يذكر أن تأسيسها مضى عليه ما يزيد على ثلاثة آلاف عام، ومما أشار إليه صديقنا الفاضل جهة في صنعاء قال: هذه تســـمى: البيت الخرب وهو المكان الذي أراد أبرهـــه أن يجعله عوضاً عن الكعبة المشـــرفة أو يضاهي به بناية الكعبة المشـــرفة ولا يزال خرباً تلقى فيه القاذورات والنفايات وكان يدعى قديماً (القليس) دخلنا أسوار صنعاء القديمة وهـــي من الطين المرمم ورغم أن بيـــوت صنعاء من الحجارة والجبس إلا أن الســـور كما شـــاهدناه من الطين، دخلنا مسجد الجامع الكبير جامع صنعاء الذي تقدر مساحته بما يزيد على ألفي متر، وكان الأتراك قد بنوا في ساحته بنية جعلوا فيها المخطوطات ومنها: الخط العثماني للمصحف الشريف كما ذكر الإخوة.

أُذِّن لصلاة الظهر وزادوا في الأذان «حي على خير العمل» كما فعلوا في الإقامة ولم نرَ حرجاً في الاقتداء بالإمام الزيدي، إذ أن الخلاف بين ما نحن عليه وأهل اليمن خلاف لا يؤدي إلى عدم الإتمام بهم لاســـيما أن الكثيرين من اليمنيين يعتبرون الإمامين الشوكاني والصنعاني ممن يوقتدى بهم. مكثنا في المسجد مع التجوال فيه، وشاهدنا اكتظاظه بالمصلين من القراء والحفاظ، ومما شـــاهدناه: تميز السادة وآل البيت بالعمامة البيضاء والثوب الأبيض مع ســـعة في الأكمام وهـــم يَلْقَون الاحترام والتقدير مـــن الجماهير، وإن كان البعض منهم لم يرق إلى درجة العلم.

عدنا إلى منزلنا وقد كان في استقبالنا: الأخ الكريم الشيخ شاكر عضو البرلمان، فأبى إلا أن يضيفنا بطعام الغداء، وقد أوسع في الإنفاق ونوَّع المأكولات مما نعرفه، وما لا نعرفه؛ فجزاه الله خيراً، وقد أنسنا بحديثه الممتع، وبيانه المبدع عما كانت عليه المعاهد العلمية، وما لها من تأثير عقدي وسلوكي في الناشئة اليمنية إذ كان هو أحد خريجيها، وقد أزالت هذه المعاهد الجفوة بين ما عليه أهل السنة والجماعة وبعض مقلدي الزيدية وبالأخص الجهات التي فيها المعاهد الدينية، وهذا شيء لمسناه في كثير من المساجد التي صلينا بها غير المسجد المركزي (الجامع الكبير)، والشيخ شاكر شاب يافع متحدث يتسم بصفات الشجاعة والبلاغة والبيان مع حسن الخلق والأدب الرفيع، وقد كنا معه في شجار أخوي؛ حيث أراد أن يقوم باستضافتنا في الفندق طيلة المدة التي نقيمها في صنعاء نحن الثلاثة، وتجاذبنا معه الأحاديث الأخوية وأفهمناه أننا بخير، ولا نسمح ولا نرضى أن يقوم بتسديد فواتير الفندق من سكن وإعاشة، وتوسلنا بالأخ علي حمود أن يكون في صفنا وإعانتنا على الأخ الشيخ شاكر، ولا شك أن هذه صفة عربية وأرومة أصلية في العرب المسلمين غير أن الزمن تغير بتغير المدن، وتقارب البلاد، وتسهيل السكن التجاري للزائر والسائح بما يسمى: بالفنادق أو الشقق المفروشة مما يبرر عدم قبول ضيافتنا للأخ الكريم الشيخ شاكر.

وبعد استراحة قصيرة بين الغداء والعصر توجهنا لزيارة العالم الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع الذي طار ذكره وعلا صيته بين الأدباء و المؤرخين وأبرز ما كتبه مؤلفه المشهور: «هجر العلم ومعاقله في اليمن» ستة أجزاء ومع أن الشيخ إسماعيل تجاوز التسعين عاماً فإن بجانبه الهاتف يجيب من سأله ويستقبل من طلب زيارته وقد أوعدنا حينما هاتفناه أن تكون الزيارة بعد العصر أي بعد ساعة إلا ربع من الاتصال به، ومن هذا

التحديد عرفنا دقة الرجل وانضباطه.

وجرى السلام عليه بتقبيل رأسه وكنا أربعة وقد سألت الأخ المرافق الشيخ علي بأن عادة اليمنيين تقبيل أيدي العلماء والسادة، فهل نفعل ذلك فأشار علينا بأن مثلكم يستحسن منه أن يقبل رأس العالم كما تفعلون مع علمائكم، وبالنسبة إلى عادة اليمنيين في تقبيل أيدي العلماء فإن الأولى تقبيل رؤوسهم، وفعلاً تتابعنا على تقبيل رأس الشيخ ومصافحته وكلّاً منا يُعّرف باسمه وهو يتثبت من الاسم ويعيده بلفظه، جلسنا حوله وظل يسأل عن أحوال البلاد والعلماء، وذكر لنا الشيخ عبد الله التركي وأثنى عليه خيراً كما ذكّرهُ الأخ عبد الإله الشايع بزيارته لمركز الملك فيصل قبل أعوام وإلقائه محاضرة في المركز عن المخطوطات في اليمن، فذكر ذلك وأثنى على علماء المملكة وقادتها[1] ومما ذكر أن ابن الشيخ إسماعيل من الساسة اليمنيين وكان سفيراً في المملكة، وقد قابلنا من أبنائه المسمى محمد، وابنه محمد الذي كان في استقبالنا وتوديعنا.

أما الشيخ إسماعيل فقد بلغ من العمر عتيا حيث لم يستطع القيام للزائر وكان جالساً ولكنه متمتع بسمعه وبصره مع خفة في وزنه، أمضينا مع الشيخ الأكوع عشرين دقيقة تقريباً، وكان منزله مما يشار إليه من البيوت الأثرية الفخمة مما يدل على تراثه ومكانته الاجتماعية، وقد طلبنا من حفيده محمد أن يتحفنا بترجمة لجده مما هو مكتوب ومطبوع؛ حيث سمعنا بذلك، ولكنه اعتذر بعد البحث؛ بسبب عدم وجود نسخة، ووعد بتحضيرها عند زيارته مرة أخرى إن شاء الله، ودعنا الشيخ قبل المغرب، واتجهنا إلى زيارة شيخ أخر من أعلام صنعاء وعلمائها المشهورين، وهو الشيخ العلامة القاضي: محمد بن إسماعيل العمراني يذكر أنه كان قاضياً في عصر الإمام يحيى حميد الدين، كما ذكر بعض طلابه أن ولادته عام ١٣٤٠هـ وقد اعتاد

(١) توفي ـ رحمه الله ـ بعد زيارتنا له بشهر تقريباً.

أن يجلس بعد كل عصر وقبل المغرب؛ لاستقبال الاستفتاءات والمراجعين والمسلِّمين فكنا ممن أتوا للسلام فقد اقتربنا من الشيخ فرفع رأسه لينظر من يسلم عليه إذ كان جالساً على متكأ، وقد وضع له فراش خاص مرتفع عن الأرض بعشرات السنتيمترات سلمنا على الشيخ واحد بعد الآخر مصافحةً، وكنا أربعة وكان يرد السلام بتحفٍّ، وإكرام ويسأل عن أحوالنا وعن أحوال البلاد، ومما سأل عنه: هل بقي من آل الشيخ أحد في الدرعية، فأجبناه بأن آل الشيخ كلهم سكنوا الرياض قال أحد المجالسين له: أنت إمام أهل السنة في اليمن؛ فلم ترضه هذه الكلمة وقال عن نفسه: إنه لا شيء في العلم، قال: أن زيارتكم هذه؛ لما سمعتم عني ممن يدعوني بالعلامة وأنا لست كذلك.

كان شيخاً مرحاً خفيف الظل يستقبل الاستفتاءات التحريرية ويجيب عليها بقلمه تحت الاستفتاء، ويرد كثيراً من الاستفتاءات إلى المحاكم الشرعية وإلى الدولة إذا كان فيها طرف منازع، وقال عن نفسه: إنه يفتي في الصلاة والطهارة، والحج، وما إلى ذلك أما المسائل الكبرى والتي لها مساس بأطراف متنازعين فالأمر يعود إلى الحاكم، يذكر أن الشيخ عندما يكتب فتوى أنها تعرض على الجهات الرسمية لتصديقها وإن لم يكن مفتياً رسمياً إلا أنه محل ثقة من الدولة ومن الشعب.

سأله الأستاذ عبد الإله زميلنا في الرحلة أن يعطينا الإجازة العامة، ذلك بعد أن ذكر الشيخ سلسلة سندة إلى الإمام الشوكاني، وسماه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وبينه وبين الشوكاني ثلاث رواة وطلب ورقة بيضاء وكتب بقلمه أسماءنا وكان يدعونا بالعلامة فاعترضت عليه فقال: الجزاء بالمثل؛ أنتم سميتموني كذلك، وكتب لنا الإجازة وذكر الأخ عبد الإله أن يجيز أولاده معه فأجاب لذلك بسرعة خطه صفحة كاملة وقال: إن رغبتم تصويرها وإعادتها إليَّ لأصادق على كل صورة فعلت، وحان

وقت صلاة المغرب وأذن المؤذن من غير أن يقول: «حي على خير العمل» لا في الأذان ولا في الإقامة، مع أن المسجد من كبريات مساجد صنعاء وفي الحي القديم وهي مركز المذهب الزيدي، يذكر أن الشيخ العمراني ممن يأخذ بالسنة وينهى عن البدعة في العقيدة والشريعة؛ بهذا التف حوله عدد كبير من الطلاب الراغبين في العلم وقد رأينا بعض جنسيات من شرق آسيا لعلهم من ماليزيا أو أندونيسيا في درس الشيخ، وكان الدرس بعد صلاة المغرب في كتاب «سنن ابن ماجه» مع أحكام الشيخ الألباني، وكان الباب في كتاب الأطعمة وقد كان مع كل طالب كتاب، وكان عدد الطلاب يتجاوز الخمسمائة طالب وكان الشيخ يلقي درسه بالاقوط (المكرفون) ومما يلفت النظر: كثرة المصورين بآلات التصوير الفيديو، والجوال، والتسجيل الصوتي لدرس الشيخ ومع أن صوته جهوري إلا أن لهجته اليمنية ومداعبته للطلبة والنكت كانت في درسة عادة يتخذها، استمعنا إلى درس الشيخ وكان يمرُّ الدرس إمراراً من غير إطالة شرح ولا استنباط أحكام ولا تعرض للغة إلا أنه يقرأ أحكام الشيخ الألباني، بقينا في درس الشيخ إلى قبيل العشاء حيث أنهى الشيخ درسه وأخذ يستقبل الأسئلة، استأذنَّا الشيخ وودعناه ودعونا له بالتوفيق، وقد ذكر أحد الإخوة أنني سافرت كثيراً للعديد من الدول وكتبت عن بعضها؛ فقال بروح المرح والمداعبة: لعلك جئت إلى هنا؛ لتضيف لمذكراتك هذا اللقاء.

عدنا إلى منزلنا وكنا على موعد مع الشيخ عبد الرحمن العيزري أحد مدرسي جامعة الأندلس في صنعاء ويحضر الدكتوراه في علم الحديث في جامعة صنعاء وله مصنفات منها: «اختيارات الشوكاني» و«مصنفات الشوكاني وموارده» وغيرها سألناه عن جامعة الأندلس فقال: هي أهلية مسجلة رسميّاً بتمويل من بعض تجار وأخيار المملكة العربية السعودية. بقي معنا ما يقرب من ساعة نتبادل معه أطراف الحديث وكان شاباً مرحاً يظهر

منه الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، وكل دراسته في صنعاء، ذكر لنا أن من علماء اليمن قديماً وحديثاً من يكره الشوكاني؛ وذلك لما عُرف عنه من التجديد والإصلاح وعدم التقيد بالمذهب الهدوي الزيدي، وذكر كثيراً من علماء اليمن قد كتبوا عن الشوكاني ولكنهم لم يعطوه حقه ولم ينصفوه حق الإنصاف؛ فلهذا جعلت من صالح أعمالي خدمة مؤلفات الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ.

الشيخ المذكور له تواصل مع بعض طلبة العلم في المملكة منهم الأخ الفاضل الشيخ صالح العصيمي يواصله بالمراسلة وتبادل كتب، وأخيراً ودَّعنا الأخ الكريم ولم يكن لنا به تواصل بعد ذلك؛ إذ عرفنا من حاله أنه ليس كثير الاختلاط بالناس، وأنه متجه لتحصيل العلم، ولا شك أن هذا توجه سليم وحميد لمن أراد العلم وتحصيله؛ فإن الانشغال بالأمور الاجتماعية والخلافات السياسية تُذهب على طالب العلم وقته مع عدم القدرة على التغيير والتبديل، شكرنا الأخ وشكرنا له الزيارة، وبتنا على خير في فندقنا الشلال الذي وجدناه فندقاً مريحاً فيه جميع الخدمات الضرورية للمسافرين مع الأدب والاحترام ولم نرَ في هذا الفندق ما نكرهه أو سمعنا ما لا نريده؛ حيث كان اختياره لنا من الأخوة الفضلاء الشيخ علي حمود والشيخ شاكر الهتاري.

يوم الاثنين ١٨ رجب أعددنا برنامجاً لزيارة جهات عدة في صنعاء ومنها المكتبات الأثرية في صنعاء، وفي الساعة العاشرة من هذا اليوم وصلنا إلى المكتبة في زحام السكك والأزقة الضيقة داخل صنعاء، ومما يلفت الأنظار في داخل صنعاء كثرة المتاجر للأواني المنزلية القديمة، والألبسة المتنوعة من تقاليد اليمن فهي لا تزال تحتفظ بتقاليدها وأعرافها؛ فلذا ظل العرض المتميز لما هو قديم في هذه الأسواق الشعبية القديمة.

وصلنا إلى المكتبة وكان في بوابتها جندي تلطفنا له بالقول في فتح الباب ودخلنا المكتبة وفي بهوها أربعة رجال طلبنا منهم فتح باب المخطوطات؛ فاعتذروا بأن الأمين المدعو عبد الملك المقحفي غير موجود حالياً وأنه سيعود بعد قليل وفعلاً عاد عبدالملك وعرَّفناه بأنفسنا فتفضل مشكوراً بفتح المكتبة وزودنا بنشرة عن هذه المكتبة الأثرية وهي تابعة لوزارة الثقافة، أخذنا جولة سريعة على مركز ترميم المخطوطات، ومما رأيناه: الورق الذي صنع من جلد الغزال وقد أوضح لنا عبد الملك أن جلد الغزال نوعان؛ الكبير منها يستخدم في تجليد الكتب أما الصغير فإنه تصنع منه الأوراق مثل التي في أيدينا مع إضافة مواد أخرى لصقله، ومن عجيب ما ذكره أن هذا الورق الجلدي له جهتان جهة فيها الصوف وهذه أقل وضوحاً في الكتابة، والجهة الثانية أوضح، وقد عرض علينا أنموذجاً من هذه الأوراق الجلدية، وقسم الترميم يذكر أنه في بداية التطوير وكأنه يُعرّض بضرورة دعمه ومساعدته؛ لتطوير هذا القسم، صعدنا إلى أعلى وفتح باب الخزانة للمخطوطات فكان أول كتاب ناولنا إياه ما خط عام ٣٦٠هـ، كما أطلعنا على «مقامات الحريري» بخط جيد ونقوش وصور رموز تعرب عن محتوى المقامة، وأطلعنا على كتاب «تسهيل المنافع في الطب والحكمة» وهو كتاب ضخم غير أن المطبوع أقل بكثير، شرح لنا عبد الملك وضع المكتبة، وأنها تابعة لوزارة الثقافة ومحتواها أحد عشر ألف عنوان، ولا حرج عندهم في أخذ الكتاب وتفتيشه والاطلاع على عنوانه وإعادته مكانه، كما أطلعنا على الفهرسة ثلاثة أجزاء بطريقة بدائية لم يستخدموا الحاسب، هذا وممن قابلناه في المكتبة: الشاب عبدالله الطير وقد ذكر لنا أن في صنعاء مكتبة أخرى تابعة للأوقاف وهي محتويات مكتبة الإمامين يحيى وابنه أحمد أئمة اليمن سابقاً قبل الثورة وطلب منا زيارة المكتبة غير أنه لم تسنح لنا فرصة للزيارة.

عدنا نتجول في أزقة صنعاء ومعنا الأخ الفاضل الشيخ علي بن حمود حتى صلينا صلاة الظهر في مسجد الجامع الكبير كما فعلنا بالأمس، ومع أننا بالزي السعودي فلم نرَ أحداً لا من العلماء ولا من العامة من يبادلنا التحية ابتداءً أو يحادثنا وكأن الأمر عندهم عادة ولا يستنكر الزائر لهذا الجامع الكبير، كما أننا لم نتعرف على أحد، في الجامع ولم نحاول الاحتكاك بأحد إلا أننا رأينا كثيراً من المأمومين عند أداء السنة والفريضة يرفعون أيديهم عند التكبير وعند الرفع من الركوع ويقبضون أيديهم على صدورهم مما هو خلاف المذهب الزيدي.

عدنا إلى منزلنا بعد صلاة الظهر وتناولنا طعام الغداء، وبعد الساعة الخامسة عاد إلينا الأخ الكريم الشيخ علي، وكان في مخيلته ضرورة زيارة الحجر خارج صنعاء وهي أودية وجبال يزورها السائح، إلا أننا انشغلنا حتى لم نصل إليها إلا بعد صلاة المغرب، وقد تناولنا على قمة هذا الجبل شيئاً من الفواكه؛ العنب والرمان والتفاح، ومكثنا قرابة نصف ساعة في هذا الهواء الطلق العليل، وهو أشبه ما يكون بالسودة الجبلية في أبها، عدنا بحمد الله وبتنا على خير.

مشهدان لا ينسيان:

يوم الثلاثاء ١٩ رجب عام ١٤٢٩هـ مشهدان لا ينسيان على بعد ٣٥ كيلو توجهنا من صنعاء إلى مشهد ومظهر تاريخي ذلك هو دار الحجر قصر العجائب في وادي ظهر، ذلك القصر الذي أشيد على صخرة مستديرة ثمانية أدوار أربعة جانبية وأربعة أدوار فوق الصخرة، وبداخله بئر في قمة الجبل وقد أُعد للسياح وبتذاكر رمزية، دخلنا هذه القصر ومرشدنا الأخ الفاضل صديقنا الشيخ علي الجايفي، ومما لفت أنظارنا في أول وهلة أن سعر التذكرة للمواطن اليمني (١٠٠ ريال) يمني بينما السائح (٥٠٠ ريال).

دخلنا القصر دوراً بعد أخر ورأينا غرفاً منه مؤثثة تأثيثاً قديماً قالوا: إن هذا مجلس الإمام يحيى حيث كان يصطاف في كل سنة ثلاثة أشهر وليس في الأثاث ما يلفت النظر حيث كانت متكآت عادية والأرضية مفروشة بما يسمى عندنا بالساحة التي لا ترقى إلى درجة الزوالي، وفي مكان منعزل ذكروا أن هذا المكان هو سفرة الإمام أو مكان الطعام، كما رأينا مكان إعداد الأكل من الأفران مجاوراً لمكان تقديم الطعام (السفرة) وعلى العموم فإن هذا القصر مظهر تاريخي وحضاري لليمن واليمنيين وهو من أهم أماكن السياحة في صنعاء، أمضينا قرابة الساعة والنصف وعدنا إلى مركبتنا لنتجه إلى المشهد الثاني وهو بين جبال همدان، قرية ضروان التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [١٧] الآيات من سورة القلم، وقد رأينا أثار ذلك العذاب وهو سواد الحجارة وظلمة الأرض وذكر لنا الأخ المرافق أنه تأتي إليها الرياح مختصة بهذه المنطقة يستوحش منها من حولها، كما أنه لا حرث فيها ولا زرع ولا رعي ولا يرتادها أحد إلا للعبرة والعظة.

ومما شاهدناه في عودتنا قرية معمر وقرية ذهبان، وهذان الاسمان للقريتين يشبهان ما هو في خميس مشيط وظهران الجنوب في المملكة العربية السعودية، عدنا إلى منزلنا وبعد صلاة العصر كان قد أُعد لنا جدولاً عمليّاً من قِبَل الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمه، ومن هذا البرنامج زيارة الدورة لتعلم القرآن الكريم للنساء والرجال، وبعد استئذان الأخوات الحافظات جرى إلقاء كلمة من غير ستار مع أنهن محتجبات قرابة (٧٠ طالبة) تم إلقاء كلمة أمامهن في حدود ٢٠ دقيقة، ومن العجب في الأمر أن هؤلاء النسوة جئن من محافظة ريمة متفرغات للدراسة والحفظ من تاريخ ٧/١٦ إلى تاريخ ٨/٣ مكفولات بالإعاشة والسكن والتعليم مجاناً فعاتبنا المسئولين عتاباً أخويّاً كيف تستقدمونهن

ولماذا لم تقيموا الدورات حول بيوتهن؟ فأجابوا بأن الأمر يتطلب ذلك، أولاً: للتفرغ الكامل ولإيجاد مدرسات أكفاء علماً بأن المدة قصيرة ولا يخل بواجب البيت أو الزوج.

توجهنا من قسم النساء إلى قسم التلاميذ وكان في استقبالنا المسئول عن هذه الدورة وبمعيتنا رئيس فرع الجمعية الشيخ شاكر حسان الهتاري وقد زودنا بنشرات استطلاعية عن مشاريعهم وأنشطتهم في محافظة ريمة وفروعها مع ذكر المزكين لهذه الجمعية ومنهم الشيخ عبد المجيد الزنداني، وصلنا إلى مكان الطلبة حيث اجتمع ما يقرب من (١٠٠ طالب) وجرى الحديث معهم وحثهم على حفظ كتاب الله والتفرغ لطلب العلم، كما نشكر الجمعية التي أسست هذا العمل الخيري لحماية أبناء المسلمين ورعايتهم وتحفيظهم كتاب الله ـ عز وجل ـ، وقد رأينا شباباً متهيئاً للدراسة لاسيما أن ظروفهم المالية تحتم عليهم ملازمة الدرس وعدم الانشغال لاسيما وأنهم في الإجازة الدراسية الصيفية، شكرنا الإخوة القائمين على هذا العمل الخيري المبارك وتوجهنا إلى جامعة الإيمان، وفور وصولنا أُذن لصلاة المغرب ودخلنا المسجد.

جامعة الإيمان:

التي أسسها ورعاها فضيلة الشيخ الدكتور رئيس الجامعة عبدالمجيد عزيز الزنداني ونائبه محمد بن علي الأنسي، تأسست هذه الجامعة سنة ١٤١٤هـ وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية تهدف إلى تخريج العلماء العاملين، وتعتمد الوسطية والاعتدال وبها أربع كليات: كلية الإيمان، وكلية الشريعة، وكلية الدعوة والإعلام، وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الدراسة في الجامعة عشر سنوات، لا تكلف الجامعة الطالب دفع رسوم دراسية، يقوم أهل الخير والإحسان بتمويل الجامعة، وقد زكاها عدد من العلماء والأعيان منهم رئيس مجلس النواب الأسبق الشيخ عبدالله الأحمر، وسماحة الشيخ

عبدالعزيز بن باز، وسماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وغيرهم كثير، ومما لفت أنظارنا في المسجد تنوع الجنسيات من دول أسيا والبلقان وأفريقيا وأوربا ومن المؤسف أن هذا المسجد الذي يقدر طوله بحوالي ٢٠٠ متر وعرض ١٠٠ متر قد صنع من الشينكو الذي لا يقي من حر الشمس ولا من شدة البرد، ولكنهم في طريقهم إلى إعداد مشروع كبير لبناء مسجد في الجامعة قد أسست قواعده وهم منتظرون أهل الخير لإكماله إن شاء الله، لم نلتقِ بأحد من مسئولي الجامعة؛ لأن زيارتنا كانت في الليل.

ثم توجهنا فوراً إلى دار الفرقان وهي جمعية خيرية تعنى بتحفيظ القرآن وتعليمه بعد الإعدادي وقد شاهدنا ما سرَّنا من حسن المنشآت المعمارية والفصول الدراسية ومقر سكن الطلبة وهم كذلك من أجناس مختلفة وقد خرَّجت هذه الجمعية عدد من الطلبة، يرأس هذه الجمعية الشيخ سعد أحمد حنتوس، والأمين العام صالح أحمد حنتوس هذا والله ولي التوفيق.

يوم الأربعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ أزمعنا السفر للواء إب والذي يبعد عن صنعاء قرابة مائتين كيلو متراً، دفعنا عشرة آلاف ريال للتاكسي بمعدل مائتين ريال سعودي كان القائد الشاب اليمني صاحب التاكسي له لباقة ولياقة في الحديث، أمضينا معه أربع ساعات في حديث ونقاش وهو يعرفنا بالمدن والقرى، خريج الثانوية المهنية قسم مكانيكا سيارات، وصلنا مدينة ذمار فقال: «تشتهو صبوح» بمعنى: الإفطار، ونزلنا وتناولنا الإفطار الساعة الثامنة وكانت بداية الراحلة الساعة السادسة صباحاً، وفي الساعة العاشرة هاتفنا الأخ الدكتور علي حاج ونحن على أبواب إب؛ فوصف لصاحب التاكسي الشارع والمنزل، التقينا بالشيخ الدكتور علي حاج أحد اليمنيين المغتربين في المملكة منذ طفولته درس من السنة الثالثة الابتدائية حتى نال شهادة معهد القضاء العالي في الدكتوراه هنأه الله بمواهبه وقدراته

الفكرية والعلمية لقد أفاض علينا من كرمه ومن حسن خلقه ما حببنا إلى بلده إب بكسرة الهمزة وسكون الباء وهي أحد الألوية العشرين من المدن اليمنية وتدعى بالمحافظة واللواء في مصطلحنا المقاطعة التي يتبعها عدد من المحافظات، أحرجنا الشيخ علي بكرمه؛ حيث الزمنا بالإقامة في منزله وقد هيا لنا أربعة أسرة على باب مستقل مما يلي مسجده، ومن الجهة الأخرى مجلسه، وكنا ثلاثة ينتابنا بثلاث وجبات؛ الإفطار والغداء والعشاء ياله من كرم في عصر الفندقة، جدول الزيارة بأن يكون يومان للسياحة وبقية الأيام للدعوة والمشاركة في الأنشطة ومع وجود الوزارة الاجتماعية والآثار اليمنية إلا أننا لم يكن لدينا من الوقت ما يوجب التقصي لمعرفة الآثار ولكن يمكن أن نعرف بعضاً من ذلك بواسطة الأخ الكريم الدكتور علي حاج مما يخص مدينة إب.

الخميس ٢١/ ٧ وصلنا إلى قمم الجبال الخضراء والتي تزهو على مصائف أوربا في الخضرة والجمال وقد كان للمزارع اليمني القدرة على سحق سفوح الجبال؛ لتكون مزارع مثمرة بالحنطة والشعير والذرة وأشجار القات، كان الهواء طلقاً والرياح معتدلة والسماء قائتة ومن أبدع ما رأيت: الشلالات المنحدرة من جبال شاهقة تصب في الأودية وذكروا أن ذلك طيلة العام وفي الجبال الشاهقة الأودية المنحدرة (وادي الجنات) الذي يمتد ويصب في البحر الأحمر وعلى جنبتي الوادي المزارع، ويمكن لسائق السيارة الجيب أن يتوسط الوادي بسيارته ليختار على ضفافه مجلساً ومنتجعاً ليقيم فيه يومه ونهاره من إب إلى عدين ومن عدن إلى النهر والوادي ساعتين مع زحام في الطرق المختلطة بالأبقار والأغنام والمشاة، ناهيك بأصوات المنبهات المزعجة ولو من غير حاجة، ولكنها ظاهرة عند قائدي السيارات لكثرة ما يصتدمون به من المواشي وقل منهم البادية هذان العلمان الشلالات والوادي أشهر ما تمتاز به محافظة إب إلا أن الإعلام السياحي لم يصل إليها على وجه

الدعاية والكسب وأكثر ما نشاهده هم مواطنون جاؤوا من ساحل عدن والحديدية، ولذا فإنه لا يوجد حول هذين العلمين مقاهي أو استراحات أو أماكن مخصصة للزائر والسائح، عدنا إلى مدينة إب بعد أن خضت ما في بطوننا المرتفعات والمنخفضات مما جعل البعض يغمض عينه حين السرعة في ملتويات الجبال وجلادم الحجارة الصماء.

يوم الجمعة ٢٢/ ٧ كنا على موعد لزيارة العالم الفاضل عبده عبد الله الحميدي خريج الجامعة الإسلامية في المدينة وأحد أعلام البلد، وكان متزيناً بعمة ويلبس البالطو الطويل الشتوي، تحدثنا مع الشيخ عن وضع المسلمين من النواحي السياسية والاجتماعية، وكان ملمّاً بالأحوال، وهو خطيب مسجد الرحمن من أكبر مساجد إب، كما أدينا صلاة الجمعة في مسجد يؤمه أحد العلماء المبرزين: الشيخ عبدالله عبد اللطيف كان خطيباً مفوهاً يخطب بحماس، ويلهب مكامن وأحاسيس الشباب في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، مع الإشارة إلى بعض المبتدعة في شهر رجب كالإسراء والمعراج إذ أن الإعلام اليمني يفسح المجال لكل متحدث عن سنيته أو بدعته فكان بعض المثقفين لا أقوال المتعلمين ولكنهم من المتدينين يركزون على جانب الذكريات التاريخية في أجهزة الإعلام الرسمية ولعل المدارات لليمن الجنوبي كان من أسباب الانفتاح وعدم ربط الإعلام بتوجه معين إذ يكثر في الجنوب هذه الرغبة أو بالأصح التوجه البدعي بأنواعه ومثل الإعلام المرئي والصحافة التي تزيد على أربعين صحيفة كل صحيفة تعرب عن توجهات أصحابها فمتى يلتئم اليمن والديمقراطية شعار الكل ودثاره؟! ومن أعجب ما رأيت في مجلس الشعب تنوع لباس الأعضاء فمنهم بالبذلة الإفرنجية مع ربطة العنق وقص شعر، وأخر بإزاره المربوط وسطه مع الخنجر التي تتطيل إلى ذقنه وثالث ورابع فإذا كان المظهر الوطني غير موحد فكيف بغيره.

يوم السبت ٢٣/ ٧ مسجد الرحمن في حي الرحمن بمحافظة إب هنا يكون نشاط الشيخ محمد محمد المهدي، مكث في القصيم خمس سنوات للدراسة ومن مشيخه الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب «السلسلبيل» ويتبع لهذا المسجد أنشطة منها مدرسة الإمام البحاني، والإمام الشوكاني، والشيخ لديه جمعية الحكمة، وقد أهداني أحد تلامذة الشيخ كتيباً عن الزيدية في اليمن قرأت ما احتواه من معلومات وربط بين الزيدية المعاصرة والقديمة، وقد أبدع فيما كتب ونقل بحسن أدب وصياغة علمية وتقريب بين فئات المسلمين، وإن كان قد أكد أن الزيدية من الفرق الشيعية إلا أنها لا تقول بحصر الأئمة في اثنى عشر أماماً وهي أقرب إلى أهل السنة من بقاية الفرق الشيعية وسمى كتابه: «الزيدية في اليمن حوار مفتوح» ومما ذَكَرَ الشيخ في كتابه: «منهج الدولة»؛ فقد اتخذت الدولة منهجاً يدرس في المدارس بعيداً عن الصراعات المذهبية مستفاداً من كتب الإمام الشوكاني، وذكر أسباباً أخرى دعت إلى تضييق الفجوة بين أهل السنة والزيدية، قلت: إلا أن السياسة دمجت بين الشيعة الأثنى عشرية والزيدية بدعوى الإمامة لأهل البيت تكون سرّاً إلى أن يظهر ويبزر سلطانها ولا حصر للإمامة عند الزيدية في اثنى عشر، بل كل من هو صالح من أهل البيت.

يوم الأحد ٢٤/ ٧/ ١٤٢٩هـ توجهت من إب إلى مديرية السياني وبها قرية ذي أشرف وبمعية الأخ ياسر قائد الصلاحي كان وصولنا الساعة العاشرة صباحاً وقد كان ياسر يتحدث عن ما نمر به من القرى ومسمياتها وهي متواصلة تواصل المزارع بسفوح الجبال وقممها، ومما ذكر أن قرية عرف أهلها بقطع الطرق والاعتداء على من يمر بقريتهم، وقد تحولت هذه القرية إلى قرية آمنة وقرية أخرى تروج الخمور وتبذله للشباب كما شاهدنا أضرحة مقببة على مزارات باسم الأولياء والصالحين قد اندرست بقيت آثارها ومما رأيته في قرية ذي أشرف فيلا محاطة بالأسوار تابعة

لمنظمة اليونسكو مهجورة أيضاً كان بها مبشرات نصرانيات بدعوى تعليم الشباب الأعمال اليدوية ولكنها لم تفلح وبقي البناء، إذ القرية لم يستجيبوا لطلباتهم ولم يتعاونوا معهم، أما قرية ذي أشرف وهي تعد من أقدم القرى في مديرية السياني بدليل مسجدها المعمور بالحجارة والرخام الأبيض، وقد أحدث الترك فيه تهدمات إذ كان أهل القرية يقذفونهم من فوق المنارة وذكر الأخ ياسر أن اليهود كانوا يسكنون في هذه القرية إلى ما قبل أربعين عاماً ثم هاجروا إلى إسرائيل، المقصود من زيارة القرية: الأطلاع على مؤسسة عمر بن عبدالعزيز الخيرية وهي مؤسسة حديثة تمتلك بيتاً لتمارس فيه جميع الأنشطة النسوية والشبابية طوال العام يتركز نشاطها على الحلقات القرآنية، وبعدها توجهنا إلى جبل أعلاه قصر لشيخ قبائل بكيل: أبو لحوم الشيخ سنان وهو يمتلك ما حول هذا الجبال من مزارع، مناظر رائعة وهواء طلق لولا التضاريس والمنعطفات الخطرة.

يوم الاثنين ١٤٢٩/٧/٢٥ توجهت إلى مركز للخنساء؛ لحفظ القرآن الكريم وقد أخبرني المرافق أن ما يزيد على سبعين حافظة للقرآن تخرجهن من هذا المركز الصيفي تم إلقاء الكلمة في عشرين دقيقة مباشرة من غير حجاب إلا حجاب الوجه والكفين متخمرات بمروطهن غير العينين، وهذه المحاضرة السادسة للنساء في صنعاء وإب ومن الجدير بالذكر أن في مدينة صنعاء مراكز، منها مركز الزهرة للقرآن الكريم النموذجي لتعليم القرآن الكريم للنساء.

وفي مسجد عمر المختار يقيم الشيخ عبدالله عبد اللطيف درسه بعد المغرب في جمع من طلبة التحفيظ للبنين وموضوعه «الإيمان» وكان يضرب الأمثال بالمجاهدين الذين آمنوا وصدقوا وأبلو بلاء في سبيل الله، وهذا توجه أخذ به كثير من الدعاة ممن تتملذ على الشيخ عبد المجيد الزنداني أو تأثر بكتبه ومؤلفاته، وكلها تدور حول الإيمان، ولا شك ولا ريب أن الإيمان

هو مصدر الطاقة للمسلم في الجهاد والبذل والتضحية ولكن الذي عليه نهج الدعوة النجدية في نجد: دعوة الناس إلى توحيد العبادة وما تفيض به من الإيمانيات والتركيز على تفسير ركني التوحيد؛ الإخلاص والمتابعة مع التحدث عن مراتب الدين الثلاثة؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقد أكد لي هذا التوجه عند الشيخ عبد الله عبداللطيف ـ أعني التركيز على الإيمانيات ـ ما سمعنه في خطبة الجمعة، وهو المعنى الذي قاله في مسجد عمر المختار ثم ربط الشيخ بين الموضوع وجهاد عمر المختار، حيث قال: يا أبناء مسجد عمر المختار، صافحت الشيخ مصافحة بدون تعريف أو محادثة وهش وبش وودعني وتولى كل إلى وجهته.

يوم الثلاثاء ١٤٢٩/٧/٢٦ جرت عادتي في صباح كل يوم قبل طلوع الشمس أن أخطو خطوات يتبعها خطوات في الشوارع العامة الرئيسة، بعد الإشراق أعرج على أقرب مطعم للإفطار كان ذلك في مطعم الحديدة (إيش تشتي صبوح) ماذا تريد أن تفطر؟ (أشا خبز ملوح ولحم مدقق) خبز بالفرن ولحم مفروم، وفي الساعة العاشرة منه توجهنا إلى قرية اليهاري على بعد ستة كيلو من إب ولكنها في تقديري ستين كيلو متر حيث التعاريج والطرق الملتوية كانت الرحلة لمشاهدة أنشطة دار القرآن الكريم الخيرية في قرية اليهاري يشرف على هذه الدار الشيخ عبدالكريم قاسم اليهاري، حدثني مرافقي أنه أنشأ مائة وخمسين مسجداً في خلال عشرين سنة في القرية وما جاورها، ومن جهود هذه الدار التي تضم أنشطة عدة: إعداد الدورات التدريبية، والدورات التأهيلية والقسم الداخلي، وقسم الإمتاع.

شاهدت المنشآت لهذه الدار وبها المبنى الرئيسي أربعة أدوار في كل دور أنشطة، ومنها قسم النساء الحافظات، ويلي المبنى المسجد والذي يتسع لألف مصلي على أحسن طراز، وقد ساهمت الندوة العالمية ببناء ملاحق لهذه الدار، ومما شاهدته في طريقي إلى اليهاري: مبنى على الخط الرئيس شيدته

اليابان هدية لحكومة اليمن مدرسة أهلية للمواطن، وفي اليوم نفسه توجهت إلى جمعية الحكمة الخيرية ومركزها الرئيسي في تعز، ولها فروع في جميع المحافظات ومنها فرع إب أُنشئت عام ١٤١١هـ، أهدافها إدارة المساجد وإدارة مدارس تحفيظ القرآن، والإدارة العلمية، والإدارة الاجتماعية، إدارة القطاع النسائي، زكّاها عدد من الأعيان العلماء؛ كالشيخ ابن باز والشيخ الزنداني يراس فرع إب: العالم الفاضل محمد محمد المهدي التقينا بالشيخ محمود المدير العام للجمعية وأخبرنا أن الشيخ سليمان المهنا القاضي بمحكمة الرياض سيأتي يوم الجمعة؛ لافتتاح مسجد في إب بناه على نفقته.

يوم الأربعاء ٢٧/ ٧/ ١٤٢٩ هديت إلى مدينة جبلة بفتح الجيم وسكون الباء المتاخمه لمدينة إب في أعلى جبل وقد كتبت الدعايات في الشوارع العامة: (متحف الملكة أروى بمدينة جبلة) وكان ذلك في الساعة العاشرة، والملكة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ولدت في عدن عام ٤٤٠هـ وتوفيت في جبلة سنة ٥٣٢هـ عن عمر بلغ اثنين وتسعين سنة ودفنت في الجامع في جبلة خارج المسجد، وقد شيدت قصراً من ثلاثمائة وستين غرفة عدد أيام السنة القمرية لكل يوم غرفة تبيت بها وتستقر بها وبكل غرفة منفذ على مطلع الشمس لتشرق عليها ذكروا أنها كانت عالمة تحفظ الأشعار والأخبار وتواريخ وأيام العرب ولها تعقيبات وهوامش على الكتب وكانت تدعى بلقيس الصغرى قال شاعرهم:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

ورثت الحكم من زوجها أحمد بن علي بن محمد الصليحي ودولته تسمى الدولة الصليحية لها انتماء للفاطمية في مصر كانت قاعدة ملك الدولة الصليحية صنعاء ثم اختارت الملكة أروى جبلة لتوسطها لأنها بين نهرين وأنشاءت قصرها وأسمته بيت العز كما بنت مسجدها مجاوراً له وبقي من آثارها المتحف المكون من أربعة أدوار، إلا أنه في حجمه لم يكن قصراً،

يحتوي المتحف على وصيتها بخط جيد أوضحت وعددت أصناف محتوى خزينتها من الحلى والجواهر مما يقرب من عشرين صفحة بخط متوسط، كما احتوى المتحف على مخطوطات منها سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ونسخاً من القرآن الكريم والهودج، والمطارح، والمتكآت، وغيرها. وقد أعدت إدارة المتحف مذكرة من ٥٣ صفحة للتعريف بالدولة الصليحية والملكة أروى أنصار الدولة الفاطمية في مصر عصر الخليفة المنتصر، وهل كانت كسوة الكعبة المشرفة تصنع في مدينة جبلة أو في اليمن لعل ذلك لم يكن ولكنهم أوجدوا كسوة الكعبة في المتحف كمثال لصنع الكسوة فيها، والذي تأكدت منه وجود مساكن اليهود على مقربة من دار العز قصر الملكة أروى ولكنها والحمد لله خربة غادروا إلى فلسطين عام ١٩٤٨م وما بعده ويقال: أن جِبلة اسم يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموقع الذي بني فيه دار العز فاشتراه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي عام ٤٥٧هـ وسمى مدينته النهرين؛ لأنها بين نهرين جاريين صيفاً وشتاء، هذا واعتبرت طائفة البهرة أنها من آثارهم التاريخية وهم يردونه تعبداً، وأحياء ذكراهم ومن الطريف أن المرشد السياحي في هذا المتحف فتاة في العاشرة من عمرها وهي تجيد اللغة العربية ولغات أخرى ليست إنجليزية بل لغات أسيوية مقابل مائتي ريال يمني؛ أربعة ريال سعودي، ومن محتوى المتحف تجسيد ثلاثة أوربيين قتلوا في مدينة جبلة قبل أربع سنوات بدعوى أنهم مبشرون نصارى وهم في الحقيقة يعملون في المستشفى ممرضين والمستشفى تابع للإرساليات التبشيرية وقد أجرى الحكم على القاتل بالقتل، وكتبت عبارات التسامح بين الديانتين الإسلام والمسيحية واعتبروا فعل هؤلاء يعني تطعيل المنافع ولكن هذا الحادث أحدث رد فعل لدى الإرساليات في اليمن خاصة في القرى والأرياف.

الخميس ٢٨/ ٧/ ١٤٢٩ مطالعة في الصحف اليمنية الديمقراطية ملحق أسبوعي في صحيفة الجمهورية في الصحفة الأولى ثلاث رسوم الرسم الأول: الأكوع في لباسه الإفرنجي مع ربطة العنق (الكرفتة)، الثاني: الأنسي بالزي الوطني الجاكيت مع لبس الخنجر والعمامة، الثالث: صورة امرأة سافرة كاشفة الوجه وتحت هذه الصور التحالف الوطني الديمقراطي هل يختلط أوراق التوازن على رقعة السياسة.

وعنوان آخر العولمة وأثرها في الشباب وتحت صورة امرأة محتجبة القطاع الخاص لا يتفاعل مع تشغيل النساء وهي مقبولة عندما تكون غير متزوجة وغير مقبولة في العمل بمجرد أن تصبح حاملاً، صحيفة الثورة عدد خاص ٥٦ صفحة الرئيس حصر وجعل تخرج أكثر من ٢٨ ألف من طلاب وطالبات الجامعات والصحيفة بجملتها سياسية دعائية محلية وعالمية خالية من التعريج على شيء من الدين، صحيفة الجمهورية إنجازات ٥٠٪ من المسح الاجتماعي للأسرة الفقيرة رئيس الجمهورية: الإنسان هو الثروة الحقيقية للوطن، توجه الحكومة بإعادة النظر في المناهج التعليمية لتعميق قيم الولاء الوطني، الحكومة تنفق ٢٧٢ مليار ريال على التعليم، ومن كلام الرئيس علي صالح لا أحد وصي على الشعب اليمني ومن المستحيل عودة الإمامة بعد التضحيات بقوافل الشهداء، ويعني بالإمامة: الحكم الملكي بيت حميد الدين الذي انتهى بالثورة عليه عام ١٣٨٢هـ وقد حكمت أئمتهم قروناً من آخر القرن الثالث الهجري إلى أخر القرن الرابع عشر من عام ٢٨٤هـ إلى ١٣٨٢هـ.

تابع يوم الخميس ٢٨/ ٧ ساقت بنا الأقدار إلى زيارة مؤسسة الصحابة الخيرية، مؤسسها ومديرها جمال بن علي غندل، تأسست قبل أربع سنوات وزكاها عدد من العلماء في اليمن والمملكة، مشاريعها دعوية ومراكز صيفية وكفالة أيتام وإفطار الصائم وتوزيع التمور وكسوة العيد

وأضحية العيد والزواج الجماعي وفي السنوات الأربع نفذت وشيدت عشرة مساجد وزوجت ثلاثين شاباً وكفلت مائتي يتيم، المقر الرئيسي مستأجر في شقة، والجهاز الإداري أربعة وللجمعية أعضاء مأسسون وأعضاء عاملون ومساهمون للعمل الخيري، وفي يوم دعيت إلى وليمة عرس كان من الليل، والغداء بعد الظهر، بحضور مساعد المحافظة يكثر على المائدة أنواع الأطعمة المحلية الوطنية؛ ومنها الحلبة، ويكثر اللحم المقطع كلما كاد أن ينفد ما في الصحن زاد المضيف لحماً مقطعاً ويجري الحديث والمداعبة على مائدة الطعام؛ حتى ينسى الآكل، مقدار ما أكل ويسهو بالحديث المتواصل في ليله ويومه كما التقينا بأخ كان في العراق للدراسة في مرحلة الماجستير وأخبرته بما نشر في وسائل الإعلام الشيعية بأن زائري مشهد موسى الكاظم بلغ سبعة ملايين زائر فقال: هذا من كذب الروافض فالمدينة بأكملها لا تسع نصف مليون، والمشهد ذاته لا يسع لعدد المئات فكيف بالألوف والملايين، وذكر أنه عاش في العراق وتعرف على مزارات ومشاهد الشرك فيها مما جعله يؤسس مكتبة أسماها المكتبة السلفية بجوار جامعة إب، وذكر أنه يَرِدُها عدد من الطلاب الجامعيين وروَّاد البحث والمراجعة.

يوم الجمعة ٢٩/ ٧ شرّفني بالزيارة خطيب جامع إب القديم الشيخ عرفات، ووعدته بالصلاة معه يوم الجمعة فكان ذلك بمعية الأخ الفاضل بدر الحاتم من عودة سدر وممن يصطاف عادة في مدينة إب على التاكسي، وليس بتاكسي ولكنه الباص الصغير الذي يحمل عادة جمعاً من الركاب الجامع وسط المباني الحجرية الجبلية التي تعج بشكمانات الدراجات النارية؛ لضيق وصعوبة الصعود إلا على أهلها ولو من كبار السن، وصلنا مسجد الجامع الكبير في بنائه الصلب وأعمدته الحجرية، يتوسط المدينة، ومنها تشعبت الشكل والطرقات التي خططت على مقدار سير الماشي والدابة من الحجر عبر الجبال إذ يقل استخدامها، خطب الخطيب وأبدع بروح الشباب

وقوة المجاهد وصلى غير الخطيب، سألت فقيل: هذا هو الإمام الراتب، دعاني الأخ عرفات وليست دعوة ولكنها إلزام كعادة اليمنيين على الغداء. ما هذا يا أخ عرفات؟ قال: هذه سفتة، وما هذا؟ هذا شفوت، وما هذا الخبز؟ هذا ملوح. ومما شهدته: الموز المقشور على الأرز بجانب اللحم المقطع أكثر الله لحمه وموزه.

يوم الجمعة بعد المغرب في مسجد الرحمن يلقي محاضرة فيه الشيخ سلمان المهنا القاضي بمحكمة الرياض جاء يفتتح مسجد الإمام شُيِّد على نفقته أو بواسطته، ومما يشار له: تلك الأيادي السعودية الباذلة في سبيل الدعوة والدعاة، فقد شاهدت المنشآت الخيرية ومعظمها المساجد وعلى نفقتهم وبواسطة الجمعيات والأفراد من أهل اليمن كجمعية التكافل الاجتماعي الخيري وجمعية الحكمة ومركزها الرئيسي في تعز ولها مكاتب في صنعاء وحضرموت وعدن والحديدة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إب رمانة اليمن

لك أن تصف الرمانة باستدارتها وخضرة قشرتها، وحلو وحموضة طعمها وتراكم حبوبها مع الفواصل الرقيقة بين حباتها وهي إب المدينة الحلوة بهذا الوصف تخلق بيئة اجتماعية وسلوكية يتناسق مع طبيعة التضاريس.

إب تتنامى بها الأنشطة الدعوية بمسميات الجمعيات الخيرية العامة ساعد على ذلك ترسيم كل عمل ولو بصفة فردية رسمياً، يسجل في وزارة الشئون الاجتماعية وبهذا الاعتراف أثْرت الجمعيات بموارد مالية من الخارج كما تم تشغيل سواعد تعمل لصالح الوطن باسم الدين والوطنية ومما زاد في النشاط الدعوي السني وجود كتل على غير منهج أهل السنة يزاحمون العمل الخيري والديني في اليمن، سألت أحد سائقي التاكسي عن هذه العمارات المزينة بحجارة أشبهت بما يسمى عندنا بالسراميك فقال: هذه آثار المغتربين، أما المواطن المقيم في بلده لا يمكنه الحصول على مثل هذه، وقد أعجت بعمارة مجاورة لبيت الشيخ علي حاج فقال: صاحب هذه العمارة أمريكي متجنس متزوج أمريكية ويمنية ومثله كثير في دول عربية وأوربية وأمريكية مما يصدق قول صاحب التاكسي: إن هذه الظاهرة العمرانية من كسب اليمني خارج بلده وهناك عمارات متشابكة تلفت النظر بتصميمها وهندستها فقال: هذه للبهرة يصطافون بها عادة في الصيف ثم يعودون إلى أوطنهم.

يوم السبت ٧/٣٠ سمعت انشودة وطنية هيجت القريحة بالأبيات التالية:

أشجاني منك لحن وأنت اللحن والطرب
يا منشداً شعر أوطان بها العجب
شمخ الجبال بها الأشجار سامقة
خضراء تربتها وأرضها ذهب

من سفح مرتفع شلالها سكبت
عذب المياه زلال الشرب لو شربوا
إنهار وداي الجنات[١] لو عقلت
طيورها أنشدت شعراً به الطرب
يا إب[٢] أنت ملاذ الشاجي تغمره
أشجانه من يراك يهرب التعب
انظر لجبلة[٣] ما آثار من سلفو
ملوك حمير من شادوا فخرها العرب
ما قبل ألف وفوق الألف قل مائة
أروى[٤] تشيد مناراً قصراً وهي تجتجب
ما ضر شمس بتأنيث لها وصفت
ولا الهلال إذا ذكرت يقترب
عد المنازل عد العام جملتها
في كل يوم تحل الشمس ثم تغترب
كم شيد وأهلها حصناً ومرتفعاً
قلاع حرب إذا ما الحرب تلتهب
هذ الرقاع رقاع الخط تكتبه
أنامل من طغى عليها الدهر والحقب
تدعى السعيدة وهي اليمن مطلعها
فأبدلوا الفتح ضمّاً صح الصدق لا الكذب

---

(١) وداي يسيل طوال السنة يصب في البحر الأحمر.

(٢) هي المدينة الثانية بعد العاصمة صنعاء عرفت بجمالها وجبالها.

(٣) عاصمة الدولة الصليحية في القرن الثالث إلى الرابع الهجري في اليمن.

(٤) ملكة الدولة الصليحية المتوفاة سنة ٥٣٢ هـ شيدت قصر العز من ثلاثمائة وستين غرفة عدد أيام السنة القمرية.

الأحد ١/ ٨ ١٤٢٩هـ وصلت بنا عجلة التاكسي إلى جامعة إب الجامعة الحديثة تأسست عام ١٩٩٦م وهي خامس جامعة حكومية في اليمن من حيث تاريخ إنشائها وتهدف إلى:

١ ـ تنشئة مواطنين يؤمنون بالله منتمين إلى وطنهم وأمتهم.

٢ ـ العناية باللغة العربية وتدريسها وتطوير المعرفة بإجراء البحوث العلمية في مختلف المجالات إلى أخر ما ذكر من أهداف وعَدَّدَ ١٣.

وجامعة إب عضو في اتحاد الجامعات العربية، وعضو في اتحاد الجامعات الإسلامية العالمية وللجامعة أقسام عدة: الكليات الإنسانية وتشمل: كلية التربية، وكلية الأداب، وكلية التجارة، والكليات العلمية وتشمل: كلية العلوم، وكلية الزراعة، والهندسة، والطب، وهي وإن كانت حكومية إلا أنها تأخذ رسوماً رمزية رسوم الدليل خسمائة ريال، ورسوم الدراسة ألفان وثلاثمائة، ورسوم الحكومة خمسمائة، وتقبل الجامعة الطلبة من داخل اليمن وخارجها سواء على منحة دراسية أو على النفقة الخاصة تقع على الخط الدائري تحيط بها الأسوار من جهاتها الأربع ولا حرج أن ترى الطالبات يراجعهن القبول والتسجيل مع الحجاب الكامل والأدب الإسلامي دخلت الجامعة وسألت عن المكتبة فقالوا: لا يوجد مكتبة خاصة للطلاب وإنما هي المكتبة السلفية التابعة لجمعية الحكمة خارج الأسوار وعند البوابة الرسمية عند الجامعة.

يوم الاثنين ٢/ ٨/ ١٤٢٩هـ اتجهت إلى تعز فامتطى النقل الجماعي بستمائة ريال يمني قيمة التذكرة ما يعادل أثنى عشر ريال سعودي وعلى بعد ستين كيلو من إب تختلف المناظر اختلاف التضاد فالجبال التي تكسوها الخضرة اختفت عن الأنظار بجبال سود غرابيب وأبهة المنظر عند الرجال في إب بالعمامة والخناجر الجنبية وصفاء البشرة تستبدل عند أهل تعز بالإزار الملون والقميص نصف الكم والإحتباء عند الجلوس بخيط أعد لذلك بعرض

عشرة سـنتيمتر فإن لم يكن فبغتره اختلفت عوامل الطبيعة فاختلف الطبع وفي فنـدق النصر تعمل المراوح ليلاً ولا يوجد مكيف حتى في المسـاجد مـع الحاجة إليه وحرارة الجو، وقد تعد مـن الكماليات، ومما لفت نظري عنـد دخول تعز لوحة كتب عليها مركـز جباية الضرائب على القات، أنه القات القاتل لأونات المدخنين المدمنيين عليه وفي جولة سـريعة في شوارع تعز رأيت منارة طويلة ومأذنة مسجد على مرتفع جبل تلفت النظر بزخرفها الملون بالأخضر وبعد وصولي إليه رأيت ما كتب عليها: مسجد الحسن بن علي ـ كرم الله وجهه ـ فإن لم يكن مسجد شيعي فهو مسجد بدعي.

لم أتصل بأحد في تعز مع رغبتي في رؤية مسجد معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قيل: إنه نزل أول ما نزل في اليمن هناك، غير أن تبدل الحالات وصور المعاملة أوجبت سـرعتي بالتوجة إلى عدن مع وجود بعض عناوين الجمعيـات والأفراد في تعز في الصباح الباكر يوم الثلاثاء ٣/٨/١٤٢٩هـ كان توجهي إلى النقل الجماعي بثمانمئة ريال يمني قيمة التذكرة، وعلى بعد مائة وسـتين كيلو متراً من تعز صـادف أن كان بجواري في المركب رجل يمني من شـبوة بالجنوب جرى الحديث معه إلى درجة الإغلاق في الأحوال السياسـية والاجتماعية والدينية كنت أظنه عاملاً لا يعرف شـيئاً في الحياة فإذا هو قاموس مرجعي في شـئون الحياة اعتنق الشـيوعية فالبعثية العراقية فالناصريـة وقال: جربت المبادئ وخضت غمار الأفكار المسـتوردة وقال: ليس هناك حياة بغير الإسلام ها أنا أعود إلى التوجه السلفي السعودي وكل ما تلقيته ليس عن قناعة ولكن الجو السياسي والاجتماعي يملي علينا إرادته من غير قناعة ولا التزام عقدي وإنما هي المظاهر والشعارات وها هي تذهب أدراج الرياح.

يوم الثلاثاء ٣/ ٨/ ١٤٢٩هـ دخلت عدن وفي المنصورة نزلت فندق قصر المنصورة فندق شعبي بألفين ريال يمني أربعون ريالاً سعوديّاً اليوم الواحد والليلة وعلى بعد أمتار منه مسجد الرضا أصلي فيه صلاة الظهر فأجد مئات المصلين تضيق بهم مداخل المسجد ومخارجه على سعته وكبره.

عدن التي نعمت بالاستعمار الإنجليزي أمناً واستقراراً ورخاء حتى كانت طعمة للشرق الشيوعي الماركسي وفي ذلك العهد كنت في عدن عام ١٣٩٧هـ فرأيت من كتم الحرية وإظهار لإباحية، ومنار الإلحاد قد ارتفع سناه ودار الحرب بين شمال اليمن وجنوبه حتى كانت الجمهورية الديمقراطية حلت محل الشيوعية فكانت المتنفس للإسلاميين بالكلمة والموعظة الحسنة حنانيك بعض الشر أهون من بعض واتحدت اليمن وأصبحت دولة واحدة مع طول الانفصال وتباين الفعال جبت شوارع المنصورة وهي مدينة تبعد عن عدن قرابة أربعة كيلو يفصل بينها وبين عدن القديمة بحر ولكنه مردوم أشبه بالجسر بين المدينتين ومجاورة لمدينة المنصورة الشيخ عثمان وفيها أسواق تجارية وكثافة سكانية ومن مآثر الإنجليزي التخطيط لمدن عدن بالشوارع الواسعة المستطيلة المزدوجة، هاتفت الشيخ عارف دحلان رئيس جمعية الحكمة في عدن وعقدت معه موعداً وكان ذلك صباح الأربعاء ٤/ ٨/ ١٤٢٩هـ.

الأربعاء ٤/ ٨/ ١٤٢٩هـ توجهت إلى جمعية الحكمة فرع عدن، وهي على مقربة من الفندق فكان لقائي بأعضاء الجمعية وعدد من الدعاة المعبر عنهم مديرهم الشيخ عارف دحلان وبعد التعريف أهديت له كتابي «حقائق في مرآة الزمان» قرأ التعريف على الغلاف فسر بذلك وتمتم بكلمات الترحيب إذا أن بلسانه عجمة أو لثة، سألت هل تجدون معوقات ومصادمات مع الآخر قال نعم: الرفض على أشده والصوفية في أوجها والسياسية من وراء ذلك، سألت من أشد من يعارضكم فقالوا: جماعة الشيخ مقبل

الوادعي، فقد مات ـ رحمه الله ـ وتبنى تلامذته حركة سياسية تلتقى مع الحوتي بل مع إيران، وهو القول بأن إمامة أهل البيت باقية ومع سلفيتهم إلا أنهم يتحالفون مع جماعة الحوتي بهدنة على أن يكف كل عن الآخر. هل لهم وسيلة إعلام تبرهن عن أفكارهم؟ نعم أشرطة وصحف ومنها صحيفة البلاغ وخطب على المنار وفي المساجد طلب الشيخ عارف أن أعود إلى المركز ليلاً؛ ليكون اللقاء بالدعاة المنضمين في جمعية الحكمة ليجري الحديث معهم فكان ذلك، وكانوا قرابة العشرة، جرى الحديث معهم في أساليب الدعوة وأهم ركائز العمل وبينت ثلاثة طرق وهي الخطوط العريضة للدعوات القائمة؛ تفسير التوحيد بالحاكمية أو توحيد الربوبية، لكن توحيد الانقياد هو ما عليه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ.

أمضيت معهم ساعتين أعقبه العشاء والانصراف ولا أعرف ممن لقيت فيهم الحماس والاندفاع إذا أن وسيلتهم قاصرة وأساليبهم تحتاج إلى إعادة نظر، سألوني عن وسائل الدعوة فقلت: الإكرام والمحبة والاحترام وأشعار الآخر بعدم التعالي عليه، وتعليمه ما يجهل وخاصة المتسمين بالعلم ثم تظهر الحقيقة بالواقع العملي سألت عن مزار العيدوس الذي مُلِئَت الكتب من ذكره ومدحه وقدحه، ركبت الباص بثلاثة قروش مع جمع من الركاب وصلت المسجد وأمامي لائحة بترجمته وذكر ميته وولادته في القرن الثامن الهجري، وعلى جانب المسجد الكبير مسجد صغير فيه ستة قبور وقد غطيت باللون الأخضر وبارتفاع نصف متر والمصلى بجانب القبور يكون عن يساره المقابر. رأيت شابين كل منهما يقرأ القرآن متجهين إلى القبور بصوت خافت عرجت على الجامع الكبير وهو جامع أثري قديم قدم مقبرة الشيخ عيدروس وعلى بعد أمتار منه تكون المقابر لآل العيدروس ولكن لا قباب عليها. تجولت في المسجد وسألت عن المكتبة فلم أجد القائم عليها خرجت لأصلي في مسجد ليس فيه مقبرة تجولت في عدن فرأيت مقبرة

اليهود مسورة، وذُكِرَ لي أن اليهود يدفعون إيجاراً؛ للحفاظ عليها. كما شاهدت معبد البهرة في المباني القديمة المهجورة، وشاهدت المتحف الوطني سكن السلطان القعيطي ولم أدخله إذ أنه مغلق بعد الظهر واكتفيت برؤية المتحف الحربي في عدن.

في يوم الخميس ٥/ ٨/ ١٤٢٩هـ أتوجه إلى جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية في عدن القديمة وبواسطة تاكسي توصلت إليها فكانت في مبنى دائرة حكومية مؤجر للجمعية التقيت بالأمين العام ومدير العلاقات وعرفتهم بنفسي فكان ترحيباً يوحي بالتمازج الروحي ووحدة الاتجاه الدعوي، بحثنا جوانب عدة وأوضح الأمين العام ركائز العمل في الجمعية مراكز دعوية وإغاثية وتحفيظ القرآن وتعليمه وعدد أنشطة عدة كما زودني بنشرات إعلامية عن منجزات الجمعية فرع عدن. ثم عرضوا علي زيارة الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم وجمعية اقرأ فكان ذلك بصحبة الأخ أيمن على سيارة الجمعية كانت جولة مباركة تعرفنا على الكثير من أحوال عدن وأخبرتهم بأنني زرت عدن عام ١٣٩٧هـ ولا مقارنة بين الحال هذه وحال ماضي والحمد لله كانت الوحدة بين شطري اليمن ودواعي الإتلاف والتعاون عدنا إلى مقر الجمعية بعد صلاة الظهر في المسجد، وأصر الأخ ناصر ـ أحد منسوبي الجمعية ـ على دعوتي للغداء في فندق خاص بالضيوف والمناسبات فكان ذلك مما أجرى تبادل الأفكار والبحث في أحوال الدعوة، والدعاة ودعوني بعد أن أوصلوني إلى الفندق على أن يكون لنا لقاء يتكرر إذ بقي لي في عدن أربعة أيام ليكون سفري يوم الثلاثاء أن شاء الله.

وفي اليوم نفسه توجهت إلى المتحف الحربي وسط مدينة عدن القديمة من طابقين بمعية الأخ أيمن من جمعية الإصلاح، ودفع الرسوم تجولنا في المتحف وبه فنون الأسلحة القديمة لبيت حميد الدين يحيى وأحمد وبعض زعماء وشخصيات عدنية جنوبية ووثائق تاريخية كوثيقة معاهدة الطائف وقعها من

الجانب السعودي خالد بن عبدالعزيز آل سعود لم يكن عليه إقبال ولم أرى سائحاً عربيّاً أو اجنبيّاً في المتحف وغالب رواده من سواد الناس وهم قليل بحثت عن الفندق الذي سكنته في عام ١٣٩٧هـ فقالوا: هُدِمَ وهو الفندق الوحيد الذي خصص للأجانب غير اليمنيين عدن والتي كانت في احتلال الإنجليز مائة وتسع وعشرين عاماً نشأنها شأن المستعمرات ترضى من اللحم بعظم الرقبة ومع هذا فقد بقيت آثار الاستعمار بارزة المعالم في التخطيط الهندسي العمراني وفي بعض الأحياء كمديرية المعلا كأنك في لندن عمارات من خمسة أدوار موحدة الشكل بين شوارع رئيسة ثلاثون متراً وأكثر وأقل سألت عن حي لينين في عدن الذي بناه الشيوعيون فقالوا: لا يزال ولكن ليس بهذا الاسم، عدن صالح لأن يكون مركزاً تجاريّاً عالميّاً ينافس سنغافورة ودبي ولكن شيء عسى ألا يكون تبقى عدن بلداً إسلاميّاً طاهراً من منتجات الشركات الاستهلاكية ومعلبات الشرق في قالب الدعاية والاستغلال.

يوم الجمعة ٦/ ٨/ ١٤٢٩هـ قراءة في ما لدي من النشرات والإعلانات والتعريف بمراكز الدعوة والتعليم كل جهة تعليمة أو دعوية تعرف عن ذاتها بالنشرات والكتيبات فكان لدي حصيلة مما يهدي بغية الدعم والمساعدة ولو بالدعاء:

١ ـ الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم لها نشرة (مائدة القرآن) في الصفحة الأولى صورة الشيخ سلمان العودة والشيخ عائض القرني يزكون الجمعية وغيرهم من اليمن .

٢ ـ الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمة، ولها نشرة بعنوان النور كان لفرع الجمعية في عدن نشرة بهذا العنوان (النور).

٣ ـ دليلك إلى التكافل تصدرها جمعية التكافل الاجتماعي الخيرية في إب ونشرة أخرى بعناوين الخير وتعداد المشاريع المستقبلية للجمعية.

٤ ـ جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية لها نشرات ودوريات زكاها

سوار الذهب وسلمان العودة وعبد المجيد الزنداني وغيرهم من الأعيان والعلماء.

٥ ـ الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع إب ولها نشرة عن مراكزها النسوية وصور من إنجازاتها ومشاريعها المستقبلية.

٦ ـ دار القرآن الكريم النموذجية الأهلية صنعاء العطاء المتجدد نشرة في كتيب صغير ملون فيه نظام الدراسة وحديث الصور.

٧ ـ الدليل التعريفي بمؤسسة الصحابة يضمن التزكية من علماء يمنيين وسعوديين، الشيخ سعد الحميد وعمر العيد مع بيان المشاريع المستقبلية وتكاليفها.

٨ ـ دار القرآن الكريم الخيرية البهارية وهي دار مستقلة غير مرتبطة بالجمعية الأم.

٩ ـ مدرسة عمر بن عبدالعزيز مديرية السماني تعمل استقلالاً غير مرتبطة بأحد.

١٠ ـ جمعية الحكمة اليمانية لها نشرة مسيرة الخير.

وفي عصر يوم الجمعة سألت عن المنتزهات وأماكن الترفيه في عدن وأشاروا إلى كورنيش الشعبي على البحر بين عدن والمنصورة فاتجهت إليه وكان فعلاً كورنيش ولكنه خالياً من الرواد ولا مواطن ولا غيره سوى عدد قليل العوائل اليمنية وعلى امتداد الكورنيش كراسي خشبية جلست إلى جانب شاب بعد الاستئذان سلمت عليه وقلت: أنا إسماعيل بن عتيق، فقال: أنت من شبوة فقلت: لا أدري، فقال: عندنا آل عتيق من شبوة فهل أنتم الأصل أم هم؟ فقلت: كنت بجوار رجل من شبوة في سفري من تعز إلى عدن وأكد لي وجود آل عتيق في شبوة، اتجهنا إلى المسجد لصلاة المغرب ثم دعاني لشرب الشاي في مقهى قريب من المسجد تحت عمارة أسفلها دكاكين وأعلاها جامعة سبأ، سألت الشاب هل هذه الجامعة

أم قسم منها؟ فقال: هذه جامعة أهلية، ويمكن أن تكون أصغر من ذلك! والأخ الشاب من مواليد خميس مشيط وكان والده يعمل بها ويتأسف على ما حصل بين المملكة واليمن مما سبب تنظيم السفر بين البلدين، عدت إلى المنصورة لأصلي صلاة العشاء في مسجد الرضا بعد أداء سنة المسجد دعوت شاباً في الثانية عشر من عمره سألت من أي القبائل؟ فقال: من الضالح. لماذا جئت إلى عدن؟ للاشتراك في دورة تحفيظ القرآن الكريم، من يكفلكم؟ الجمعية تهيئ لنا السكن والإعاشة والتعليم ثم نعود إلى بلدنا وقت الدراسة في المدارس الحكومية وبهذه البعثات الشبابية ترى المساجد بالأخص الكبريات منها تتزاحم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم من قبل صلاة الفجر حتى بعد العشاء غرس يرجى ثماره أن شاء الله.

يوم السبت ٧/ ٨/ ١٤٢٩هـ جولة على المكتبات التجارية قريبة من مسجد أبان بن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ مكتبة الثقافة، دار الكتب العربية، مكتبة خالد بن الوليد، مكتبة أم القرى، ولكنها في عدن غير كثيرة وأكثرها قرطاسية وأدوات مكتبية كنت قصدت شراء كتاب الشيخ إسماعيل الأكوع «هجر العلم ومعاقله في اليمن» فلم يكن من المعروضات رغم شهرة المؤلف ووطنيته إلا أنه من الشمال مسجد أبان بن عثمان بن عفان صليت به صلاة الظهر سألت من بنى المسجد؟ فقالوا: أبو عبدالرحمن الحكم بن أبان بن عثمان ـ رضي الله عنهم ـ وقبره في قبلة المسجد عند المحراب وقفت على القبر وقد كتب عليه لوحة حديثة قبر أبي عبد الرحمن الحكم بن أبان بن عثمان بن عفان ولم يكتب التاريخ وقد غطى القبر بخرق بالية غيرت لونها حرارة الشمس القبر مكشوف وكأنه مهجور لا رواد له ولا سياح وقد كنت توجهت قبل ذهابي إلى المكتبات إلى جمعية الحكمة في عدن أنشدها مرشداً للمكتبات فاكتفو بكتابة أسمائها واعتذروا لأنهم في أسقبال رجل سعودي ينظر لبعض المساجد واحتياجاتها، هذا ومما يجدر

ذكره أن أئمة المساجد وخطباء الجمع خارج مدينة عدن القديمة ممن تأثروا بالتوجه السعودي السلفي بل وفي المساجد من مطبوعات المملكة ونشرات الدعوة والمطبوعات الشيء الكثير، رأيت في محرب المسجد شرح التوحيد للشيخ صالح الفوزان ورسائل للدعوة للشيخ عبدالعزيز بن باز وابن عثيمين ومطويات لدار القاسم بالرياض والحمد لله رب العالمين.

مطالعات في صحيفة الشارع الأسبوعية ستة عشر صفحة وفي الصفحة الأولى تفاصيل عن حسين الحوثي وجانب آخر عن قصة الصراع داخل الزيدية ومع مقبل الوادعي والوهابية حين حاول عام ١٩٩٧م ألقاء محاضرة في جامع الإمام الهادي في صعدة فاكتظ الجامع بالمسلحين والتفت عصى الخيزران على رقبته وفي الصفحة السادسة من الصحيفة تفاصيل العنوان مع صورة الوادعي والحوثي تحدثت الصحيفة عن الشيخ مقبل وتأثره بالوهابية بعد أن حج وأقام في المملكة مدة ليست بالقصيرة كما تحدثت بإعجاب عن مدرسة حسين الحوثي والتفاف الشباب حوله غير أن الشيخ مقبل وصراعه مع الزيدية في صعدة شكل مركزه في (دماح) مصدر إزعاج وقلق على منتديات الشباب المؤمن ويعني بالشباب المؤمن أتباع حسين الحوثي وفي جانب الصفحة مسجد ضرار ذكر أن محسناً سعوديّاً بنى مسجداً وشرط أن يكون إمامه وهابيّاً وقد تنذرت الصحيفة على الشيخ مقبل بأنه يحرم الكوسة والخيار؛ لأن حجمهما وطولهما يشهي المرأة للجماع، وأهم من هذا دعوى ارتباط الحوثي بإيران وينفي صحة ذلك لأن شيعة إيران يقولون بالإمامة الإثنى عشر من أهل البيت والزيدية تطلق الولاية لأهل البيت والذي يظهر أن صحيفة الشارع هي من الصحف المؤجرة المتاجرة بالكلمة لبث النزاع بين المسلمين.

الأحد ٨/ ٨/ ١٤٢٩هـ الإنجليز يرممون آثارهم في عدن، بقي من آثار الإنجليز الذين دام حكمهم لعدن والمحميات مائة وتسعة وعشرين عاماً بقيت المقابر والكنائس وساعة بق بن وتمثال الملكة، أما المقابر فيدفع الإنجليز عليها

الإيجار كما هي مقابر اليهود والساعة في أعلى الجبال على شكل ساعة بق بن من غير جرس، والتمثال يرمم بتلميعه بالدهانات والطلاء والكنائس يَعاد ترميمها، ومما ذكر لي أن كنيسة في عدن حولت إلى مرقص في عهد الشيوعية ثم كانت مدرسة والعمل الجاري في تحويلها من مرقص واندية سمر أهل عدن يبكون على الحالة الأولى أيام الإنجليز فلا اضطراب أمني والبواخر التجارية تمخر البحر من المحيط إلى شط العرب بالبضائع والمنتجات الأوربية والتجارة مزدهرة، ورأيت نفقين فقلت: هذا من آثار الإنجليز؟ فقالوا: بل هو من الصين بتمويل كويتي، كان موعدنا لحضور حفل مركز الإتقان للعلوم الشرعية التابع لجمعية اقرأ بمناسبة تكريم المتفوقين من حفظة القرآن الكريم في قاعة تجارية مدرجة كان الحفل تحت رعاية مدير عام مكتب الأوقاف والإرشاد في عدن، بدأ الاحتفال بالأناشيد الشبابية ثم قراءة نماذج من الحفظة على مختلف الأعمار، فتقديم الهدية الرمزية وقد زودنا بنشرة عن المركز فيها أنه مركز مخصص للعلوم الشرعية والقرآن وعلومه.

وفي مغرب هذا اليوم هاتفني الأخ أيمن من جمعية الإصلاح؛ فنحن على موعد لحضور حفل تكريم في مسجد الرحمة بمديرية الروضة فكان ذلك في وقته حيث جرى الحديث معهم في مسجد يكتظ بالطلاب الحفظه ومناولة الفائزين المتفوقين الجوائز، وبعد صلاة العشاء توجهنا إلى المرفأ للبواخر والسفن التجارية ثم إلى المنتزه البحري بصحبة الإخوة الثلاثة وبدعوتهم أقاموا حفل عشاء السمك، وكانت نسمات البحر في الجو اللطيف المنعش يبحر الحديث وطول الجلسة يتمد إلى الساعة العاشرة نشكر الإخوة على دعوتهم ومؤانستهم وبالأخص القائمين على جمعية الإصلاح الخيرية وجمعية اقرأ التقينا بالعالم الفاضل الواعظ الشيخ محمد بافضل من حضرموت لكنه يقيم في الرياض منذ ما يزيد عن أربعين سنة كما التقيت بموظفي القنصلية السعودية لتسجيل الجواز، والشكر والدعاء لمن ساهم في

خدمة الأيتام حيث ذُكِرَ لي أن بعض موظفي القنصلية يشارك ويساهم في هذا المجال، وقد ذكر لي الإخوة أن ما يزيد على اثنى عشر ألف صومالي هم لأجئون في عدن وفيهم الأيتام وكبار السن في مخيمات خارج المدينة تحت رعاية منظمات دولية إنسانية كما يسمونها مع ما تقوم به الجمعيات الخيرية كجمعية الإصلاح وجمعية اقرأ في هذا الدور المحمود أعانهم الله.

يوم الاثنين ٩/ ٨/ ١٤٢٩هـ كان ختام الجولات والزيارات جمعية الإحسان الخيرية فرع عدن وهي على شاكلة أخواتها من الجمعيات الكثيرة والتي تعنى بكفالة الأيتام، وحلقات القرآن، وحفر الآبار، وزواج الشباب، وتوزيع التمور، وفي لقائي مع أعضاء الجمعية سرني التوجه المعتدل الذي ينبني على الإخلاص وتحرر العمل الخيري بجميع أسبابه. وكلمة أخيرة في اليمن الجنوبي عدن يظهر أن هناك وئام غير عادي بين المملكة واليمن أعني الشعبين حيث تبادل الزيارات، وحضور الحفلات الزواج ساعد على ذلك كثرة اليمنيين في المملكة ومن هو مولود فيها، أو عنده الإقامة الدائمة مما جعل هذا الارتباط يسفر عن توجه تربوي سموه التيار السلفي السعودي يظهر ذلك في أئمة المساجد في ترك البداءة بالبسملة في الصلاة والجهر بالنية وأقولها كلمة حق بأنني لم أر شعباً أرق طبعاً وأحلى عذوبة في الكلام في حدود طاقتهم كشعب اليمن الجنوبي، من النساء من يمارس العمل في المكاتب والمتاجر والفنادق فلا ترى عليهن آثار سوء محجبات بالنقاب الساتر الكامل باللباس الأسود والكف وفي المساجد قد تتعدد الجماعات في أداء الصلوات لكثرة المصلين بنسة ٨٠٪ من الشباب مما دفعني أن أقول هذه الأبيات عن عدن مع وجود طوائف أخرى كما هي في البلدان المستقلة من المستعمرات ولكن من يغمرهم سحاب السواد الأعظم هم المسلمون والحمد لله.

شعراً:

كان اللقاء وكان الحب والقبل
فهل أراك بعيد الحب تنتفل

حـــدا بـــي الحـــسـن إذ كـــنـت الـربـيـب لـه
أن أنـظـم الـشـعـر فـي وصـف لـه مـثـل
ومـــا إشـتـيـاقـي لـشـيء كـنـت أضـمـره
إلا الـــذي شـدنـي مـن حـسـنـه أمـل
جـنـات عـدن إذ مـا فـتـحـهـا غـلـط
فـسـكـنـوا الـدال كـيـمـا يـصـدق المـثـل
تـلـقـى سـلامـاً بـأصـوات مـرخـمـة
تـنـبـك عـنـهـم شـفـاه فـوقـهـا مـقـل
لـبـاسـهـم وزرة والـشـد مـن وسـط
لـبـس الـتـبـكـر مـرفـوض ومـبـتـذل
إن كـنـت مـؤتـمـنـاً فـاركـن لـساحـتـهـم
أهـل الأمـانـة مـا خـانـوا ومـا نـكـلـوا
مـسـالـمـون لـهـم فـي الـسـلـم مـنـقـبـة
يـنـبـك عـنـه فـلا خـوف ولا وجـل
هـم الـذيـن سـعـوا والـديـن أظـهـره
آبـاؤهـم أيـن مـا حـلـوا أو ارتـحـلـوا
مـعـاذ أرشـدهـم لـلـديـن وانـتـظـمـوا
ولـكـن أسـود الـعـنـشـي لا قـالـوا ولا فـعـلـوا
أوصـى الـرسـول عـلـيّـاً أن يـخـاطـبـهـم
خـطـاب ود فـمـا حـادوا وقـد نـكـلـوا
اقـبـل حـدثـي وقـولـي عـن عـدن
حـديـث صـدق فـلا سـهـل ولا جـبـل

الثلاثاء ١٠/ ٨/ ١٤٢٩هـ عودتي إلى الوطن من مطار عدن إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ومن الفوارق أن ذهابنا إلى اليمن بالخطوط اليمنية بألف وثلاثمائة ريال سعودي، وعودتي بسبعمائة ريال فقلت لما هذا الفرق فقالوا: مراعاة للمسنين، سألت عن أجرة النقل الجماعي فقالوا:

من الرياض إلى صنعاء مائتي ريال سعودي ومن صنعاء إلى الرياض مائة ريال سعودي ولعل هذا التنظيم لتسهيل الخروج من اليمن أجنبي أو غيره أمضينا ساعتين في الجو وكان الإقلاع في الساعة الثانية ظهراً وبعد مرور ساعتين هبطت بنا الطائرة في المطار والحمد لله على السلامة أمضيت خمسة وعشرين يوماً في اليمن؛ في صنعاء أربعة أيام، وفي تعز ليلة واحدة، وفي إب ثني عشر يوماً وفي عدن ثمانية أيام عدت بمعلومات تعجز السطور عن رقمها، المناخ، قمم الجبال، مسالك الناس، الأحوال الاجتماعية، الظاهرة الدينية، الطيبة البشرية، دور السياسة، الطوائف، القبيلة، في سير عجل الشعب العبث بمقوماته من وراء ذلك السياسة الخارجية ودعوى العلمانية والديمقراطية، ولاتمام الفائدة؛ سجلت بعض المظاهر الاجتماعية في عدد من الأرقام، وما أحمله أكثر، ويصعب حصر الأحوال إلا على سائح اجتماعي متخصص، وسائح فضولي يكتب ما يقال: ويرى من غير حاجة لتسجيله وتدوينه وأعتذر عما كتبه أن كان زل قلم أو انزلق قدم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

ظواهر اجتماعية في اليمن

١ ـ الزي التقليدي اليمني في اللباس والثوب أو الإزار للرجال مع التمنطق بالحزام يتوسطه الخنجر مما يوجب رفع الثوب أو الإزار إلى منتصف الساق والكثير يفضل أن يكون طويلاً خاصة طلبة العلم وعلى الرأس تشد العمامة وليست عمامة بالمعنى السوداني، ولكنها غترة تلف على الرأس بطريقة سريعة يكون لها ذيل وطرف أمامي لا تعيق عن العمل ولا تشغل المصلي.

٢ ـ مشاركة الأطفال في الأعمال فترى الطفل في العاشرة من عمره يشارك أباه في المتجر بل يدير المتجر في غياب والده، وفي سن العاشرة ترى من يحمل على ظهره سطلاً بالمبرشوم (التين الشوكي) ليسوقه على المارة بتقشيره وبيعه، وفي المطاعم من يكون أحد عماله وأمام الفنادق ماسحي السيارات من الأطفال وقد سألت أحدهم ما شغلك؟ فقال: مرشد سياحي ولعل ما حصل هو نتيجة الفقر، أو يكون ذلك عادة في البلد كما هو عند المزارعين ورعاة الأغنام قديماً، ولا شيء في ذلك مادام قادراً على التحمل.

٣ ـ حفلات الزواج يكون في ضحى اليوم إلى ما بعد الظهر وفي الليل تزف المرأة إلى زوجها كما ظهرت في المدن حفلات الزواج الجماعي برعاية الدولة والمنظمات والجمعيات الخيرية أربعمائة فما فوق يعد لهم حفل واحد لا أدري عن مشاركة النساء؛ لأن حفل الرجال قد يكون في الأندية الرياضية أو سعة من الأرض.

٤ ـ كثرة الجمعيات والمنظمات الإنسانية أعني بالجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية والمساعدات الخارجية، تصور جهد رجل واحد يعمر مائة وخمسين مسجداً بين القبائل وقمم الجبال بالحجر والخرسانة المسلحة وآخر يكفل ثلاثة ألاف يتيم في محافظة واحدة وثالث يقوم بشراء مركز للتجمع الدعوي

كمركز التكافل الاجتماعي وجمعية الحكمة اليمنية وهذا مثال أما المنظمات الإنسانية تشمل المستشفيات ودور التعليم والعمل المهني والطرق من دول عربية وأجنبية، واليمن يفتح ذراعه لكل راغب وطالب كيف تملأ جوعه خمسة وعشرين مليوناً باقتصاده المحدود وتتابع الويلات على اليمن في ظروف داخلية واختلافات طائفية ناهيك بالإعلام المرئي الذي فتح الشهوات وأوضح عن المخبآت ومع الهجرة المتزايدة فإن اليمن ينمو نمواً يضاهي كثيراً من العواصم ذآت الثروة ومنابع البترول والتسول المشروع لأصحاب الجمعيات والمراكز الخيرية والشيعة بمدها المتواصل للزيدية التي تريد الطائفة الاثنى عشرية أن تستميلها فقد منحت ثلاثة آلاف طالب من اليمن ليدرسوا في إيران وتخص منهم من ينتمي إلى البيت الهاشمي بواسطة المركز الثقافي الإيراني في اليمن، وأخطر من ذلك وإن كان هذا خطراً ما صرحت به مصادر من صعدة قصر الحوتي وجماعته أنه يتبعه ستة آلاف مركز دعائي للدعوة الزيدية وشيء ثالث جماعة البهرة أو الباطنية الذين أنفقوا على اليمن بمؤسساتهم الإنشائية، وتنظيم صفوفهم بصفة سرية يعملون على إعادة حكم الفاطميين الذي كان في اليمن في القرن الثالث والرابع الهجري وقاعدته جبلة.

٥ ـ حرية الرأي ومجال الكلمة: أطلقت الحكومة على نفسها لقب الديمقراطية ليحكم الشعب نفسه عن طريق الكلمة والاختيار فلذا عجت جميع الاتجاهات إلى إصدارات الصحف والمجلات والنشرات والدوريات وطبع الكتب ليعبر كل عن آرائه وتوجهاته بلسان القلم ويطلب تحقيقه تجاوزت الصحف أربعين صحيفة سيارة يومية وأسبوعية مع ضعف الإمكانيات الاستيعابية لمشكلات المجتمع الأساسية يتضح ذلك بضعف الإخراج وسهولة النقد غير المركز وبساطة التسعير غير أن الصحافة الرسمية كصحيفة الثورة هي أكثر أنتشاراً وأقدر على الإخراج أضف إلى ذلك خطباء الجمعة والدعاة المتجولون فلا رقابة عليهم وليس لهم رابطة في وزارة

الشؤن الدينية إذ المساجد كلها أو جلها على نفقة المواطن وبجهود الجمعيات الخيرية والفرد المحتسب فلا سلطة إدارية على المساجد في اليمن وقد حاولوا معالجة الأمر بافتتاح معهد عالي للتوجه والإرشاد بالتعاون مع الأزهر ليسد فجوة الخلاف بين ما عليه الشعب من ثقافات متعددة وما تريده الدولة وقد راجت نظرية الديمقراطية العلمانية والليبرالية في اليمن وبالأخص في المحيط الشبابي وإن كانت المرأة اليمنية لا تزال بخير فلا سفور ولا اختلاط ولا عهر ولا دعارة ولا مراقص وسمر ولا كؤوس تدار في السحر والشعب اليمني متدين بطبعه يسعى في معيشته والعمل لصالح نفسه ولجوعيته.

٦ ـ القات في كل الأوقات بالأخص بعد الظهر تنتفح الأشداق ويصعب الكلام، لا أدري كيف أطبق اليمنيون أو الكثير منهم على هذه الظاهرة السيئة ومما يقولون: إنه مر لا لذة فيه ولا حلاوة، ويرتفع ثمنه ويقل حسب الجودة والرداءة.

٧ ـ الحجاب والمتحجبات قد لا يصح أن نسميه ظاهرة؛ لأنه تعبد وطاعة لله، ومع أن المرأة في جنوب اليمن تشارك في الأعمال بحجابها وسترها في الفندقه وتنظيف الشوارع من الجنس الأسود، وقد سرني حيث رأيت شخصاً له اهتمام بالجنس الأسود بالأخص الأطفال منهم بالرعاية والتعليم لإصلاح حالهم، خلال مشاهدتي لاحظت أن المرأة في اليمن الجنوبي تخاطب الرجال بكل انفتاح وأدب بخلاف المرأة في الشمال فأنها لا تخالط الرجال إلا في الشوارع العامة وفي الحافلات كلٌّ في سبيله.

٨ ـ حرية الأديان والمذاهب في القديم والحديث: تعترك المذاهب والديانات اعترك القبائل والأنساب والطوائف في اليمن، فبعد دخول الإنجليز كانت عدن ملتقى للديانات الأسيوية الهندية ومنها النصرانية الهندوكية والمجوسية غير أنه لا معابد تظهر غير الكنائس وطوائف أخرى كالبهرة، وجل اليمنيين هم المسلمون على المذهبين الشافعي والزيدي إلا أن الثورة الإيرانية وبواسطة

مركزها الثقافي في صنعاء يحاول جاهداً لربط الزيدية بالإمامة الاثنى عشرية مع وجود فوارق أصولية في كل المذهبين ولا شك أن الزيدية تضيق الفوارق بينهم وبين أهل السنة لو أن جمهورهم معتزلة، ويقولون بتقديم علي على الشيخين وللفائدة وإتمام الإيضاح أختم القول بالفوارق بين المذهبين.

الفوراق بين الزيدية والإمامية الأثنى عشرية:

١ ـ القول بتحريف القرآن، الزيدية كبقية المسلمين يقولون بأن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب الله بينما الروافض يقولون بأنه حرف وبدل وزيد فيه ونقص منه.

٢ ـ القول بكفر الصحابة، يكفر الروافض الصحابة أجمعين كأبي بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين وغيرهم ولا يستثنون إلا خمسة فقط.

٣ ـ القول بعصمة الأئمة، الروافض يقولون بعصمة الأئمة الاثنى عشر بل يقولون بتفضيلهم على الأنبياء والمرسلين ماعدا رسول الله ﷺ أما الزيدية فلا يقولون بعصمتهم وأن كان بعضهم يقولون بعصمة علي.

٤ ـ حصر الإمامة باثني عشر إماماً وقالوا بكفر من لا يؤمن بولايتهم ويَكْفُر من ادعاها من غيرهم كائناً من كان.

٥ ـ رفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، بل تعدي ذلك إلى القول بكفرهما ولعنهما، أما الزيدية فيقولون بصحة إمامتهما.

٦ ـ التقية، يعتبرها الروافض بمنزلة الصلاة، لا يجوز لأحد أن يتركها قبل خروج مهديهم المزعوم، والزيدية لا يعتبرون التقية إلا في الحالات الضرورية.

٧ ـ خرافة المهدي في السرداب، فالروافض يقولن بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عندهم والذين زعموا أنه ولد عام ٢٥٥ هـ ودخل السرداب في غيبة صغرى قرابة ٦٩ عاماً، ثم دخل في غيبة كبرى من عام ٣٢٩هـ واستمرت إلى عصرنا هذا.

٨ ـ مصادر الاستدلال: زعم الروافض أن القرآن حُرِّفَ وبُدِّلَ ونُقِصَ وأما بالنسبة لسنة فهم لا يأخذون بها ويطعون في مصادرها كالبخاري ومسلم وبقية أمهات الحديث أما الزيدية فيأخذون من كتب السنة وإن كان لهم مصادر أخرى كمسند زيد ويقولون بإجماع الأمة.

٩ ـ تكفير المخالف لهم من المسلمين والقول بنجاسته واستباحة ماله ودمه أما الزيدية كغيرهم من المسلمين فلا يكفرون غيرهم إلا بمكفر.

١٠ ـ زواج المتعة: انفرد الروافض من بين كل الفرق بجوازها ومشروعيتها وخالفهم في ذلك جميع الطوائف وممن خالفهم الزيدية وجميع المذاهب.

١١ ـ التحالف مع أعداء المسلمين ضد المسلمين ولك أن تنظر في التاريخ لتجد ذلك واضحاً في موقف الطوسي وابن العلقمي والتحالف مع التتار ضد الخلافة العباسية أما الزيدية فلا يفعلون ذلك.

١٢ ـ من المرجعيات عند الروافض مخالفة أهل السنة يعني: إذا كان لديهم قول في مسألة فالراجح عندهم القول الذي يخالف المعمول به عند أهل السنة أما الزيدية فلا يقولون ذلك.

١٣ ـ ومن الفروق عند الرافضة القول بالمسح على الرجلين، ومن هذه الفوارق لا تعني أن الزيدية موافقة لأهل السنة في كل شيء بل إن اتباع المذهب الزيدي يشبه الخطر الرافضي وخطر مبادئه ومعتقداته، إلا أن المسافة بين الزيدية وأهل السنة أقرب من المسافة بين الزيدية والرافضة هذا مع أن جمهور الزيدية معتزلة في معتقداتها ويقولون بتقديم علي على الشيخين ومعظمهم يطعنون في بعض الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم ولذا وجب الرد على الرافضة وبيان حقيقة المذهب الزيدي لبراءة المذهب الزيدي مما ألصق بها من التشويه بجعله كالباطنية أو الرافضة ولذا يقفل الباب على الرافضة الذين يتخطفون عوام الزيدية لظنهم الاتفاق بين المذهبين، وكذا اتضاح المذاهب للسواد الأعظم

وهم أهل السنة وتبيين حقيقة المذهب وأنه بريء من مذهب الروافض.

وكذا المشاركة في رد الباطنية المتفق عليه بين أهل السنة والزيدية وغيرها.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد آله وصحبه وسلم.

أملاه: إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد عتيق

في شهر شعبان ١٤٢٩هـ بمدينة الرياض

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

المؤلف تلقيه العلم وتلمذته ٣
أداؤه العلمي والأدبي ٦
مقدمة ٩
الرياض من هنا وهناك في ستين عاماً ١١
الرياض عام ١٣٦٧هـ وما بعده ١٢
الرياض عام ١٣٧١هـ وما بعده ١٤
مسجد الشيخ في دخنة بالرياض ١٦
المحكمة الكبرى بالرياض ٢٢
القصيم ٢٨
بريدة ٣٣
الشيخ صالح بن أحمد الخريصي ٣٦
ولنا ركيزة في بريدة ٣٩
المنطقة الشرقية ٤٤
أبها منطقة عسير ٤٨
تهامة عسير ٥٢
نجران ٥٤
جازان أو جيزان ٥٧
مكة المكرمة ٦١
المدينة المنورة ٦٤
تبوك ٦٦
الرحلة بمعية وزير الشؤون الإسلامية ٧٢
حائل ٧٤
الكويت ٧٧
الرحلة الثانية للكويت عام ١٣٩٠هـ ٨١

جمعية الإصلاح ٨٢
الرحلة الأولى للبحرين ٨٤
الرحلة الثانية للبحرين ٨٨
قطـــر ٩٢
في قطر ثلاثة يذكرون ولا ينكرون ٩٨
الرحلة الثانية إلى قطر ١٠٠
في خيمة بدوي ١٠٠
في بيت العروسة ١٠١
في قرية الوكير ١٠١
رحلة دعوية في قطر ١٠٣
قطر في سطور ١٠٧
الإمارات العربية الخليجية ١١١
في بيت الخزرجي ١١٤
في مدينة العين ومقر الشيخ زايد ١١٥
في مجلس حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي .. ١١٧
عجمان وأم القيوين ١١٨
رأس الخيمة ١١٩
أبو ظبـــي ١٢٠
سوريـا ١٢٦
المكتبة الظاهرية ١٢٦
حلقة الذكر ١٢٩
جلسة العلماء ١٣٠
العودة إلى دمشق ١٣٠
مع بعض مريدي الشيخ ١٣٣
جمعيات في سوريا ١٣٥
وممن قابلنا في هذه الرحلة ١٣٦
عام في لبنان ١٣٩
القسيس البروستانتي الأمريكي ١٤٠

عراقي يطلب من القسيس ١٤٠
مع الفيلم التاريخي ١٤١
مع الشيخ فارس الدرزي ١٤٥
مع الدكتور المسلم الكردي الحزبي ١٤٣
مع جمعية الأخلاق ١٤٥
نافذة على الموت ١٤٧
بيروت ملتقى الفئام ومجمع الأخلاط ١٥١
النارسات أو الممرضات ١٥٣
الأردن ١٥٥
المكتبات في الأردن (عمَّان) ١٥٧
مناخ الدعوة في الأردن ١٥٨
تصحيح الاتجاه ١٥٩
اليمن الجنوبي وعاصمته عدن ١٦٠
في حي لينين ١٦١
وقفة على البحر ١٦٢
اليمن الشمالي وعاصمته صنعاء ١٦٤
سلطنة عُمان ١٦٨
كذبة سياسية ١٦٩
مع الشيخ الخليلي وعلماء مسقط ١٦٩
الرحلة إلى اليمن مرة أخرى ١٧١
مشهدان لا ينسيان ١٧٩
جامعة الإيمان ١٨١
إب رمانة اليمن ١٩٣
ظواهر اجتماعية في اليمن ٢٠٨
الفوارق بين الزيدية والإمامية الأثنى عشرية ٢١١
الفهرس ٢١٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دول آسيا	دول إفريقيا	دول أوروبا والأمريكتين
المملكة العربية السعودية	جمهورية مصر العربية	استراليا
الكويت	جمهورية السودان	أمريكا الشمالية
مملكة البحرين	المغرب	البرازيل
قطر	موريتانيا	فنزويلا
اتحاد الإمارات	تونس	ترنيداد
سوريا	الصومال	تركيا
لبنان	جيبوتي	بريطانيا
الأردن	تنزانيا	إيطاليا
اليمن	كينيا	فرنسا
عمان	أثيوبيا	ألمانيا
سرلانكا	نيجيريا	الدنمارك
الهند	السنغال	بلجيكا
باكستان	سرياليون	هولندا
بنغلاديش	غانا	إيرلندا
جزر المالديف	غامبيا	أسبانيا
تايلاند	مالي	اتحاد روسيا
الفلبين		ألبانيا
سنغافوره		السويد
أندونيسيا		فنلندا
ماليزيا		النرويج
إيران		

دار القاسم للنشر: هدفنا نشر الكتاب الإسلامي

ردمك: ٧-٤١٠-٥٣-٩٩٦٠-٩٧٨

مطابع دار القاسم
هاتف ٢٧٠٩٥٥٥ فاكس ٢٧٠٧٧٠٨ الرياض

Dar Al-qassem
1002490
SR 15.00

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذكرات وذكريات

ستون عاماً في سبع وخمسين دولة

١٣٦٧ هـ - ١٤٢٨ هـ

الجزء الثاني

إحدى عشرة دولة آسيوية

تأليف
إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

دار القاسم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذكرات وذكريات

ستون عاماً في

سبع وخمسين دولة

١٣٦٧هـ - ١٤٢٨هـ

الجزء الثاني

إحدى عشرة دولة آسيوية

تأليف

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

دار القاسم
للنشر والتوزيع
الرياض: ١١٤٤٢ ـ ص.ب: ٦٣٧٣
هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ـ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(ح) إسماعيل سعد إسماعيل العتيق، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العتيق، إسماعيل سعد إسماعيل

مذكرات وذكريات ستون عامًا في سبع وخمسين دولة: الجزء الثاني:

إحدى عشرة دولة آسيوية/ إسماعيل سعد إسماعيل العتيق.ـ الرياض؛ ١٤٣٢هـ

١٦٨ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨-٦٨٥٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- ابن عتيق، إسماعيل بن سعد – مذكرات ٢- وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٠.٤١ ١٦١٢/ ١٤٣٢

رقم الإيداع: ١٦١٢/ ١٤٣٢

ردمك: ٨-٦٨٥٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

فروع دار القاسم

جدة، هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ ـ فاكس: ٦٣٣٣١٩١

بريدة، هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ ـ فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

الدمام، هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ ـ فاكس: ٨٤١٣٠١١

خميس مشيط، هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ ـ فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

موقعنا على الإنترنت: WWW.dar-alqassem.com

البريد الإلكتروني: Sales@dar-alqassem.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(١)
الباكستان

البلد الإسلامي الكبير الذي انفصل عن الهند عام ١٩٤٧م ليقيم دولة إسلامية أو خلافة راشدة، وقد تنبأ بظهور هذه الدول الشاعر الفيلسوف محمد إقبال فكانت، ولكن على غير المراد، وقد كان قائدها الأول محمد علي جناح الإسماعيلي الباطني، وتلاه زعماء من النحلة الشيعية، ومع سوء المعتقد والتوجهات الغربية والتأثير الذاتي على أولئك الزعماء القادة في باكستان المتحررة من دولة الهندوك، ومع وجود المنظمات الثلاث التي تعمل لقيام الحكومة المسلمة في الباكستان على تطبيق الشريعة الإسلامية، وتلك هي رابطة المسلمين (مسلم ليك) وجمعية علماء الإسلام والجماعة الإسلامية وحزب رابع جمعية علماء باكستان، وإن كان الأخير من أنصار القبور ودعاة الوثنية، رغم وجود هذه المنظمات مع العواطف الجياشة لشعب الباكستان وحبه للإسلام لم يتحقق شيء مما تنبأ به الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، والذي كان قد مات في الباكستان وقبر في مسجد لاهور في ساحة بارزة منه يرمزون بذلك إلى أن هذا الفيلسوف من قادة الفكر ودعاة الاستقلال لدولة مسلمة في الباكستان.

راجعت الذاكرة وفتشت في المخيلة عسى أن أجد ما أكتبه عن الباكستان والتي تكررت زيارتي لها من عام ١٣٨٣هـ، بل وتم لي الاستقرار بها والتجول في أهم مدنها وبعض قراها، ونلت منها شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من أكبر جامعة بها هي جامعة بنجاب فلم أجد ما أكتبه في مخزون الذاكرة،

فعدت إلى الملفات والدوسيات فوجدت الكثير مما كتبت أو كتب لي عن الباكستان، وكما قيل: خيره حيره، فلم أجد ما أبتدئ به سوى مقال كتبته عن الباكستان ونشر في مجلة الدعوة السعودية وبه أقول:

شاء المولى القدير أنه بعد عودتي من شرق أفريقيا يصدر الأمر بالتوجه إلى الشرق الأقصى ومن الباكستان وعن الباكستان أجمل حديثي عن الباكستان حديث المواطن العارف دقيق وطنه وجليله، فلقد كانت أول زيارة للباكستان سنة ١٣٨٣هـ، ثم تلتها زيارات متكررة وكنت لها مديناً حيث أضفت علي بفضل نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة بنجاب بلاهور، فحق لي أن أقول وأطنب وأتحدث وأصدق، إلا أنه حديث صحفي يتطلب الإيجاز حتى لا أحدث مللاً ولا أفرط جللاً.

والباكستان بلاد صاخبة مليئة بالأحداث ولئن قيل عن الهند أنه بلد العجائب، فالباكستان من فصيلته أو الجزء الأهم منه، وحيث أننا نسير في خط الدعوة إلى الله والإصلاح الديني ودراسة الأحوال العقائدية، ومن هذه النافذة كان حديثي ومطلع أنوار مداركي والله المستعان.

فكرة الباكستان:

منذ القرن الأول الهجري وفي خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وبعد فتوح السند والإسلام يسري في القارة الهندية سريان الماء في عروق الشجر، وامتد خارج الهند إلى سيلان والنيبال وبورما وغيرها، وقد توالى على شبه القارة الهندية حكام مسلمون وغير مسلمين طيلة القرون الماضية، وقد ظلت الأكثرية للهندوك مع عزة المسلمين ومكانتهم الاجتماعية إلى أن عمل الإنجليز على ترجيح كفة الهندوك على المسلمين.

وقبل جلاء الإنجليز تخوف المسلمون على أنفسهم فيما إذا حكم الهندوك حكماً مباشراً وهم أقلية لا تزيد عن ٢٥٪، فلا وزن لهم في الحكم والإدارة، كما أن المسلمين استاءوا من مجاورة الهندوك وخاصة الطبقة الهندوكية المنبوذة التي تعاني الذل والهوان من قبل الطبقات الثلاث وتمارس ما يزدريه الإنسان المعاصر، وأراد المسلمون أن تكون لهم دولة يمارسون فيها كافة تعاليم دينهم وتبليغ شريعتهم فكانت فكرة الباكستان تدور في خلد كل مسلم، وقد تنبأ بذلك الشاعر المسلم محمد إقبال وتبعه زعماء المسلمين في حزب الرابطة حتى تم التقسيم عام ١٩٤٧م. فكانت المناطق التي يكثر فيها المسلمون البنغال والبنجاب والسند وبلوجستان وبلونتستان والبشاور وما جاورها من الحدود الشمالية ويقدر سكانها آنذاك بمائة مليون، أي ربع سكان الهند، ولكنه لم يتم هذا التقسيم إلا بعد مجازر دامية أودت بحياة مئات الآلاف من البشر من كلا الطرفين الهندوكيين والمسلمين، وظلت الحرب سجالاً بين الهند والباكستان حتى غنمت الهند تقسيم الباكستان وعزل باكستان الشرقية عن أختها الغربية بما أسموها بنجلاديش.

الباكستان بعد التقسيم:

ظل المسلمون ينتظرون نظام الخلافة وتحقيق الأماني التي كانت تختلج في نفوسهم وفي سبيلها ضحوا بكل غالٍ ونفيس لقيام هذه الدولة المسلمة التي سيكون لها قيادة العالم الإسلامي في تطبيق أحكام الدين وحدوده، إلا أن الزعماء السياسيين لم يكونوا ملمين بتعاليم الشريعة ولا بقوانين الإسلام، وليس لديهم سوى العاطفة الدينية والشعور بعزة الإسلام وظهوره في شكله المتمثل في سلوك المسلمين وأعمالهم فلم يتجهوا للإصلاح الجذري لا في المحاكم

ولا المناهج التعليمية سوى أنهم ينظرون لوضع العالم الإسلامي المعاصر فيرون أنهم يسيرون في موكبهم وفي مضمار واحد.

وهكذا حتى يومنا هذا والحكومة الباكستانية حكومة علمانية لا صلة لها بالدين البتة، من حيث التشريع والحكومة الإسلامية أو كما يسمونه (نظام الخلافة الراشدة).

موقف العلماء وأصحاب الرأي من الاتجاه السياسي غير الإسلامي:

نجم في باكستان بعد التقسيم عدد من الأحزاب كلها تريد تطبيق الشريعة الإسلامية والمطالبة بنظام الخلافة الراشدة ومن أشهرها وأكبرها:

حزب الرابطة الإسلامية (مسلم ليك) تبنى في دستوره المطالبة بتطبيق نظام الشريعة الإسلامية، ولكن الواقع يواجههم، وكما حدث للقادة السياسيين المتناوبين عن الحكم فكذلك وقع مثله لزعماء رابطة المسلمين، ولم يستطع هذا الحزب تحقيق هذا الغرض رغم شعبيته وقوته سوى التمتع بهذه المحاولة وإرضاء الجماهير بهذه التخيلات التي عجزت عن تحقيق الواقع، ومن هذا الحزب انبثقت جميع الأحزاب الأخرى سوى حزب الجماعة الإسلامية فإنه كان موجوداً قبل التقسيم بسبع سنوات، ثم قام العلماء بتأسيس حزب أسموه حزب جماعة علماء الإسلام، وأرادوا من ذلك تطبيق ما عجزت عن تحقيقه الرابطة المسلمة فلم تمكث حتى انقسم هذا الحزب إلى شعبتين كبيرتين متباينتين في العقيدة والاتجاه، وسمت الأخرى نفسها بحزب علماء باكستان، وهذا الحزب من أخطر الأحزاب على الإسلام وخاصة في العقائد، فهم أرباب الوثنية التي سموها بالإسلام من عبادة القبور ونشر الخرافات والبدع، وجعلوا من مبادئهم العامة إحياء الخلافة المصطفوية، يعنون بذلك رسول الله ﷺ، وهم

أبعد من هدي الرسول تباعد المشرقين، ومن أخطر ما يعتقدونه قولهم: إن الرسول نور وليس بشر.

وظلت جمعية علماء الإسلام تسعى على قدر حتى استطاع الرئيس السابق أن يجعلهم شطرين كذلك شطراً في كفته والشطر الآخر في الأحزاب المعارضة، ومضى الزمن ولم تحقق جمعية العلماء بقسميها شيئاً من الهدف، ورغم وجود زعيم كبير يدعى بالمفتي محمود له ثقله السياسي والديني والوطني، ومع هذا فلا تزال فكرة الخلافة حلماً في واقع الحقيقة، وهكذا حتى قام الرئيس ضياء الحق بالقرب من تحقيق بعض الأحكام الشرعية فكان هو الضحية حيث قتل غيلة على أيدي أعداء الإسلام.

الجماعة الإسلامية:

تأسست سنة ١٩٤١م، وقد رسم منهج العمل على شكلين، شكل حزبي مربوط بتعاليم دقيقة والتزامات معينة يدعون بالإخوة العاملين، وشكل عام يمكن الاستفادة منه مع عدم التزامه بشيء معين يدعون بالمؤيدين والمحبين، ولم تختلف خطة الجماعة الإسلامية في نهجها منذ البداية فهي تتمشى مع ما تعرفه من عموميات الشريعة على رسم الخطة المنبثقة من أفكار الشيخ أبو الأعلى المودودي، وتتمايز هذه الجماعة عن سائر المذاهب الدينية والأحزاب السياسية الأخرى مما جعلهم يهيمون في الميدان وحدهم، فهم أمام عدة جبهات في إصلاح العقيدة وحرب البدعة، وفي إصلاح النظام والسياسة والبعد من التعنت والتعصب الذي عليه علماء الأحناف قديماً وحديثاً، كما تقوم بتقديم الخدمات العامة للمصابين والمنكوبين.

المذاهب والاعتقادات:

يعتبر الباكستان من أخصب البلدان في الحركات الدينية والمعتقدات، فهم ميالون بطبيعتهم إلى الإيمان بالغيب والتأثر بالروحانيات، وبتأثير من الديانات البوذية والهندوكية والزردشتية وظهر عدد من الطوائف الدينية التي تنتمي للإسلام وهي:

أولاً/ الطائفة الإسماعيلية: وهي من أقوى الطوائف التي لها صلة بالعالم الخارجي والتنظيم الدولي، فهي في الهند والباكستان وإيران وسوريا واليمن والسعودية (نجران) وقد تعددت الأسماء بتعدد الأماكن لكنهم في المشرب والمعتقد سواء، وأكثرهم من المحترفين بتجارة الذهب، ومجموعهم يربوا على خمسمائة ألف نسمة.

ثانياً/ الشيعة: أكثرهم من الاثني عشرية، ولهم صلة وثيقة بشيعة إيران وأفغانستان والعراق، وقد نشطت أخيراً إيران في فتح المراكز الثقافية لتعليم اللغة الفارسية والمعتقدات الشيعية وإعطاء المنح الدراسية للطلاب الراغبين في الدراسات في الجامعات الإيرانية ونسبتهم في الباكستان ١٨٪ والجدير بالذكر أن كل زعماء الباكستان الذين حكموا من الشيعة، ابتداءً من علي جناح حتى بوتو، إلا أن بوتو يظهر عدم التشيع مع أن والدته وزوجته شيعيتان حاشى ضياء الحق.

ثالثاً/ القاديانية: وقد دحرهم الله بعد إعلان الحكومة الباكستانية أنهم أقلية غير مسلمة، إلا أنهم ما زالوا يمارسون نشاطهم الخارجي وإحكام الخطة التبشيرية بطرق أخرى غير مكشوفة، ويقدر عددهم بثلاثمائة ألف تقريباً، وهم طائفتان: القياديانية اللاهورية والقياديانية المنتمين إلى ربوة باكستان.

رابعاً/ البهائية: هم أقل نشاطاً في الباكستان وليس لهم قبول سوى أنه يوجد

لهم مراكز ثقافية ومكاتب في المدن الكبيرة في الباكستان لا يزيد عددهم على عشرة آلاف نسمة.

خامساً/ الذكرية: وهي طائفة خرجت حديثاً في بلوجستان، تدعو للذكر وترك الصلاة وعبادة القبور بالدعاء والاستعاذة، وقد تكون من طرق البهائية، وانتحلت هذا الاسم ليكون لها القبول لدى العامة، وتعدادهم عشرون ألف نسمة يتمركزون في كرا تشي وفي بلوجستان مما يلي إيران.

سادساً/ النصارى: ونسبتهم قليلة في الباكستان، وأكثر من استجاب لهم الطبقة المنبوذة في الديانة الهندوكية، وهم لا يتجاوزون المليون ونصف المليون من كلا الطائفتين البروتستانت والأرثوذكس.

سابعاً/ الوثنية: ويوجد في بلوتستان قبيلة لا تنتمي إلى دين ولا إلى أي معتقد، وتعدادهم ثلاثون ألف نسمة، وقد منعت الحكومة الباكستانية السابقة الدعوة لهم ليبقوا على دينهم الجاهلي لقصد تفرج السياح عليهم.

ثامناً/ الهندوكية: يوجد عدد منهم في السند وحدود الهند، وتعدادهم نصف مليون تقريباً، وهم الذين يؤمنون بحملة الدعاية القومية السندية وطمس تاريخ الإسلام في بلد السند.

الجمعيات والهيئات الإسلامية:

أ- **جمعية أهل الحديث**: وهذه الجمعية كان لها تاريخ مجيد في تصحيح المفاهيم عن الإسلام والعقيدة، ومحاولة قيام الدولة الإسلامية وإعلان الجهاد الشرعي، إلا أنها بعد التقسيم خفت وطأتهم، وبعد أن توفي رائدهم داود الغزنوي ثم وفاة ابنه أبو بكر أصبحت القيادة فيهم غير قادرة على جمعهم ووحدتهم. لهم أكثر من مائة مدرسة، كما تزيد مساجدهم على خمسة آلاف مسجد في الباكستان

عامة، وهم خير من يوثق به في النواحي العقائدية ومسائل التوحيد.

ب- **الجماعة الإسلامية**: وهي إن كان لها النصيب في السياسة إلا أنها تجنح بكل قواها إلى الإصلاح الديني الشامل للعقيدة والعبادة والشريعة.

ج- **جماعة التبليغ**: ومركزهم الرئيسي على بعد ثلاثين ميلاً من لاهور، وهذه الفئة تدعو الناس إلى التعبد المجرد من التعلقات بالدنيا والسياسة ولها تأثير على العامة وبعض الخاصة من رجال الحكومة.

د- **جمعية علماء الأحناف**: جمعية سياسية سبق الحديث عنهم في الأحزاب السياسية، ومعتقداتهم حسنة سوى الخلاف بيننا وبينهم في الأسماء والصفات، ومن بروز ظاهرة التقليد للمذهب الحنفي.

هـ- **الجماعة البريلوية**: وهم أنصار الوثنية والخرافات والابتداع في الدين التي يستمدونها من الشيعة فكل القبور والمزارات تبنى على أيديهم. وقد ظهر فساد العبادة في الباكستان بسبب هؤلاء، يركزون على الاهتمام بالمساجد كما تقل مدارسهم الدينية، ولكن تكثر حفلاتهم في المواليد البدعية.

و- **المذاهب الصوفية**: الطرق البدعية منتشرة في الهند والباكستان ومتعددة الأسماء والمسالك، أشهرها القادرية والجشتية والنقشبندية وغيرها.

الحركات الهدامة:

أ- الشيوعية بشعبيتها الروسية والصينية/ تعمل على قدم وساق، خاصة في المجال الإعلامي والتجمع الطلابي.

ب- الماسونية/ ولها محافل علنية مركزها الرئيسي في كراتشي.

ج- القوميات/ تشتعل نيرانها في السند وفي بلوجستان بتوزيع الباكستان وتقسيمه، حيث يوجد خمس لغات رئيسية مختلفة في مناطق الباكستان، إلا أن الدعوة القوية السندية هي التي برزت بمساعدة الهند وروسيا.

الباكستان الطبيعي:

تنقسم الباكستان من حيث المناطق الطبيعية واللغات القومية إلى خمس مناطق:

أولاً/ البنجاب: وهي تمثل الصدر والثقل في الباكستان، وأكثر زعماء الحركة السياسية، يزيدون على خمس وثلاثين مليوناً، ولهم لغة خاصة تشبه الأردية، وتختلف عنها قليلاً، وقاعدتهم مدينة لاهور ذات الحضارة والتاريخ، وهي أكبر مدن الباكستان.

ثانياً/ السند: وهي كما وصفوها بالوليد للباكستان، وعن طريقها تصل بالهند بحراً والدول العربية، وأخيراً تحركت فيهم دعوة القومية السندية ومحاولة فصل السند عن الباكستان كما انفصلت بنجلاديش، يؤيد هذه الفكرة الرئيس السابق[1] فهو سندي، وعاصمتها حيدر آباد، وكراتشي من أكبر مدنها، يزيد عدد سكان السند على اثني عشر مليون نسمة.

ثالثاً/ الحدود الشمالية: وقاعدتها البشاور، وعدد سكانها عشرة ملايين، وهي في حدود الصين والأفغان.

رابعاً/ بلوجستان: وتقع على الخليج العربي في حدود إيران وهي مترامية الأطراف كثيرة الصحاري والجبال، سكانها ثلاثة ملايين نسمة.

خامساً/ بلوتستان: وتقع على حدود الصين، سكانها حوالي مليونين ونصف المليون، وكل منطقة من هذه المناطق الخمس تتكلم بلغات محلية تكتب وتقرأ، وبعض المناطق فيها أكثر من لغة/ إلا أن اللغة الأردية هي اللغة الرسمية

---

(١) يعني: ذو الفقار علي بوتو.

المشتركة بين المناطق كلها.

وأخيراً: جعلت اللغة السندية في المناهج التعليمية بضغط من دعاة القومية السندية وبتأييد الرئيس السابق بوتو.

وبعد، فإن الباكستان مهما قيل عنه إنه بلد إسلامي فإن الإسلام بمعناه الصحيح لا يعرف الباكستان، إلا كما يعرف الوبل قمم الجبال، فالفساد في العقيدة وفي الحكومة وفي سلوك العامة وفي المعاملات واضح لا يحتاج إلى دليل ولهذه الأسباب ظل الباكستان في دوامة من الحيرة والتردد في تنفيذ الفكرة التي من أجلها قامت الباكستان وكان المسلمون بخير قبل هذا التقسيم، فكانوا في الهند يشعرون بالأقلية بجانب الهندوك، ومن أجل ذلك كان التكاتف والتآخي والتعاون، وبعد أن ظهرت دولة المسلمين الباكستانية مارس كافة الإجرامات نفر من المسلمين، وأخذت سائر الأعمال الإجرامية شكلها وحقيقتها كدور السينما والبغاء والأستوديوهات والمراقص وحوانيت الخمر والدعارة العالمية في الفنادق الراقية، بجانب فساد العقيدة والتصوف المبتدع والمذاهب العقائدية المتأثرة بالهندوكية والبوذية والزردشتيه، وقد رضي الباكستانيون بمجرد اسم الباكستان دولة مسلمة.

خطورة الموقف:

لذا فإن مجرد هذا الاسم الباكستان دولة إسلامية سوف يطمس رسمه وتمحى آثاره، ويستحي زعماء الباكستان أمام ساداتهم الشرقيين من هذه السمة التي تناهض ما عليه الدول العلمانية والشيوعية. كما أن الشعب الباكستاني مهما كان وعي طائفة منه بخطورة المستقبل فإن الرأي العام والاتجاه السياسي هو الذي يحدد المستقبل للشعب الباكستاني، فهل من أمل، نعم إن العاطفة

الدينية وحب النظام الإسلامي غالب على الرأي العام، ولكن تقبل الإسلام ككل يحتاج إلى خطة وخطط من شتى مجالات الإصلاح، ومع العمر الزمني الطويل، وبغير هذا فإن الباكستان ستظل مرتعاً خصباً للدعاة أرباب الأهداف الطامحة إلى ضم الباكستان في حظيرتهم.

يوم مشهود في ربوة بالباكستان:

ربوة مدينة استوطنها القاديانيون وأطلقوا عليها هذا الاسم ناصر الإنجليز القادياني مما جعلهم يمتلكون هذه المدينة امتلاكاً كلياً لا ينازعهم فيها منازع إذ جعلوها بمثابة الفاتيكان في روما للنصارى لها جنودها وحرسها، لا يمكن لأي مسلم أن يدخلها بغير إذن حتى عام ١٩٧٤م، حينما قدم قطار يحمل الطلاب المسلمين فتوقف في ربوة لفترة وجيزة.

أغاظ القاديانيين رؤية الطلاب المسلمين فنشبت معركة كلامية ثم تبعها عراك قتل فيها عدد من الجانبين وجرح الكثير، وعلى أثر هذه الحادثة قامت مظاهرات واحتجاجات من المسلمين يطالبون محاكمة القاديانيين وهدم أسوار ربوة وجعلها مدينة مفتوحة لمن شاء من الباكستانيين، مما اضطر الحكومة الباكستانية أن ترضخ لطلبات المسلمين وتصدر حكماً بجعل القاديانية أقلية غير مسلمة، وعلى أثر الحكم فتحت أبواب ربوة للداخل والخارج على حد سواء هم وغيرهم، فبادر المسلمون بعمارة مسجد جامع ليكون منبر دعوة ومكان تجمع المسلمين حتى يجابهوا قوة القاديانية بمثلها واليوم المشهود في ربوة هو ذلك اليوم الذي كتب الله أن أتشرف بإلقاء خطبة الجمعة في جامع المسلمين بربوة، وبعد الصلاة ترغب الجماهير المؤمنة في زيادة الحديث والاسترسال في بيان زيغ القاديانية وضلالها والعمل على هتك

ستارها، أبعدها الله وأزاح عن المسلمين غياهب الديجور وظلامة الصدور.

استمر الحديث مع الجماهير المؤمنة بعد صلاة الجمعة حتى قبيل صلاة العصر، هذا يوم يشهد التاريخ والحاضرون أنه من أيام النصر والتأييد للمسلمين حيث كانت الخطابة في حماس وتحريك للعواطف وإثارة المشاعر ضد هذه الطائفة الملحدة.

لا أدري كيف أصف الموقف في الحديث الموجز، لكن الذي أقدر عليه هو القول بأن الشعب الباكستاني شعب مسلم رضع لبانة الإسلام في سنه المبكر، واختلط الإسلام بلحومهم ودمائهم اختلاط السكر بالماء النقي، ومما يزيد قوة المسلمين وعزتهم زيادة الوفود باسم العلوم والدعوة من المملكة العربية السعودية مناصرين ومؤيدين لكل حركة من شأنها تقدم الإسلام والمسلمين، ومن طريف القول في هذا المشهد الكبير والهتافات المتكررة (زندباد شاه فيصل) بمعنى: يعيش الملك فيصل، فذكرت لبعض العلماء هذه الطريفة فقالوا: يعيش ذكره، وكان قد توفي رحمه الله، ولاشك أن ذكر الملك فيصل باقٍ في القلوب، منطبعة آثاره على الشعب الباكستاني، ولا يمكن أن ينسى الملك فيصل مهما طال الزمن وتباعد العهد، رحم الله الملك فيصل فقد ملك القلوب بإيمانه وإخائه وبذله في سبيل الله، فهو المحرك الأول لحكومة باكستان حتى أصدرت قرار جعل القاديانيين أقلية غير مسلمة.

ومما يذكر بهذه المناسبة هو الحديث عن القاديانيين أن صاحب القلم قد جرى بينه وبينهم عام ١٣٨٧هـ في نيجيريا بلاجوس لقاءات متكررة حصل فيها النقاش والجدل، وأصدر على إثره كتاباً أسماه حوار مع القاديانية وجهاً لوجه مزود ببعض الرسومات والشواهد، وقد انتقل المركز الرئيسي للقاديانيين من

ربوة بالباكستان إلى المملكة المتحدة (بريطانيا) بعاصمتها لندن، وانتقل الخليفة الثالث القادياني إلى هنالك لينشر دعوته وكفره بالتواطؤ مع الإنجليز، وخاصة في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية رسمياً.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباكستان

كنت منجذباً للباكستان انجذاب الماء إلى منحدره لما له من وقائع تاريخية فهو المدخل للشرق الإسلامي وهو السواد للتعداد السكاني، قبل انفصال بنجلاديش كانت الباكستان أكبر دولة إسلامية، وهي التي انفصلت عن الهند لتقيم خلافة راشدة على أرض الباكستان وفي منأى عن التأثير الهندوسي أنجبت شاه ولي الله الدهلوي وقبر في جامعها الأكبر بلاهور محمد إقبال وسكنها أبو الأعلى المودودي وصار صيت الباكستان شرقاً وغرباً لوجود حركات إسلامية ومنظمات دعوية ومدارس في شتى العلوم ناهيك بالقوى العسكرية والمفاعل الذرية التي تملكها لأغراض سلمية نادى الملك فيصل للتضامن الإسلامي فكان الباكستان المدد الروحي والمعنوي بل والعسكري حين نادى الملك للجهاد ودعا له.

لم يكن في الحسبان أنني امتطي باخرة من البحرين إلى كراتشي مع صغر سني وقلة إمكاناتي المادية فأنا طالب في كلية الشريعة ومكافأتي ٣١٠ ريالاً ولكنها الأسباب تجري المسببات طرق علي بابي إخوة سعوديون وباكستانيون وعرضوا علي السفر في إجازة المدارس إلى الباكستان فاعتذرت في عدم الامكانات المادية وقالوا يكفيك ٥٠٠ ريال شهر في باكستان وكان ذلك بتاريخ ٢/ ٨/ ١٣٨٣هـ وعرفت البلاد والعباد فعواطف الباكستاني نحو العرب جياشة وقلوبهم في رقة وكرمهم السخاء عدت للباكستان مرات عدة لأعمال رسمية ورحلات شخصية حتى تقدمت لنيل الماجستير من جامعة بنجاب بلاهور ومن أسباب هذه الاتصالات المتكررة إنني كنت مديرًا للدعوة في آسيا في رئاسة

البحوث العلمية والإفتاء طوفت في تجوالي باكستان من كراتشي إلى لاهور بالقطار ومن مدنها إلى قراها وتلونت تلون الحرباء فحيناً بلباس عربي ومرة بالباكستاني وأخرى بالبدلة الأفرنجية.

سكنت في المنصورة مركز الجماعة الإسلامية بلاهور قرابة ثلاثة أشهر لتحضير الماجستير، وصحبت جمعية أهل الحديث ومع أمينها الشيخ ميا فضل الحق رئيس الجامعة السلفية في فيصل اباد أقضي سحابة نهاري وجزء من الليل وخطبت خديجة الصغرى بلاهور ووالدها مدير مجلة ترجمان القرآن ٤٠ عاماً فاعتذرت لوجود أبناء من زوجتي الأولى، وهي عالمة، قيل إنها تتقن أربع لغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية، وتحمل أربع شهادات ماجستير، بت أجوب شوارع لاهور كما أجوب شوارع الرياض أحياناً بالأقدام ومرة بالسيكل وأخرى بالركشة الدراجة النارية لها ثلاثة عجلات، نطقت اللغة الأردية من غير دراسة ولكثرة التلقي وكثرة المحادثة مع الباكستانيين قلت شعراً في اقبال حين وقفت على قبره في مسجد الجامع بلاهور، وصحبت من العلماء كالشيخ إحسان إلهي ظهير والشيخ محمد حنيف شيخ الحديث.

كانت الدراسة في جامعة البنجاب إسلاميات أدب وتاريخ وتفسير ومذاهب وديانات، استفدت كثيراً وبالأخص من مؤلفات شاه ولي الله الدهلوي في أصول التفسير غير أن المعادلة السعودية لهذه الشهادة دبلوم. بعد الجامعة لهذا لم يكن لي نصيب في تحضير الدكتوراه بهذه الشهادة إلا في باكستان أو دار العلوم في مصر مع أن الشيخ محمد أمان حضر رسالة الدكتوراه بما يحمله من شهادة ماجستير جامعة البنجاب كما هي شهادتي.

وعلى العموم فإن معرفتي بباكستان معرفة رب البيت ببيته إذ يتمركز في هذه

الدولة دعوات إسلامية انبثقت من ضرورة الحال وحاجة الناس إلى القيام بما هو فرض كفائي فعامة الباكستانيين يجهلون كثيراً من الآداب والسلوكيات الإسلامية فكان لجماعة الأحباب أو ما يسمى بجماعة التبليغ أثر فعال في السواد الأعظم من الباكستانيين وغيرهم من سلوكيات الفرد وأخلاقياته فلذا يدعون بالتحريك العمومي إذ بنوا أصول دعوتهم على خمس نقاط كلمتي التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله الصلاة ذات الخشوع والخضوع لله، العلم والذكر الفضائل لا المسائل إكرام المسلم إصلاح النية الخروج في سبيل الله من أجل الدعوة إلى الله هذه الأصول التي تركز عليها هذه الجماعة في تبيانها بين القرى والأرياف حتى انتشرت انتشاراً عالمياً لتحريك عوام المسلمين، وللعلماء أهل التحقيق وملحوظات عليها.

الباكستان :

تعني البيت الطاهر، وعاصمتها الأولى كراتشي ثم انتقلت إلى إسلام آباد، وإليك بعض الأرقام المهمة في تاريخ الباكستان:

٧١١م غزا محمد بن القاسم السند أحد أقاليم الباكستان.

٧٢٤-٧٤٢م مد العرب نفوذهم إلى المناطق الجبلية بكتير وكنجرا.

٧٥٤ – ٧٧٥م أيام المنصور ثاني خلفاء العباسيين تم غزو قندهار.

٧٧٥ – ٧٨٥م أيام الخليفة المهدي أرسلت حملة بحرية لتأديب موجران.

٧٨٦ – ٨٠٩م في أيام الخليفة هارون الرشيد أمكن مد حدود السند من ناحية الغرب.

وبعد ثلاثة قرون حكم فيها العرب هذه الأنحاء اضمحل حكمهم وأخلوا المكان للأتراك، ومع بداية القرن العاشر أصبح الأتراك عاملاً هاماً في الحياة

السياسية في شبه القارة إذ قدم الغزنويون إليها وكانوا أسرة تركية تأسست بأفغانستان بعد أن انتهى حكم العرب، وتحت حكم السلطان محمود الغزنوي استقر الحكم الإسلامي في الجزء الشمالي من شبه القارة، وكانت لاهور عاصمتهم.

كنت تواقاً لزيارة الباكستان مع ضعف الإمكانات وقلة المساعدة، ولكن مع هذا قويت العزيمة وتيسرت الصحبة فبتاريخ ٥/ ٨/ ١٣٨٣هـ عبرت بنا السفينة من ميناء سلمان بالمنامة بالبحرين إلى كراتشي عاصمة الباكستان آنذاك وكانت تسمى هذه الباخرة بـ (سردانا) شركة إنجليزية من البصرة إلى البحرين إلى عمان إلى كراتشي، وهذه الباخرة الهائلة التي تحاكي قصراً مشيداً معمورة بالكماليات ووسائل الراحة للمسافرين تتكون من سبع طوابق أمضينا أربعة أيام، وبعد ما رست الباخرة على ميناء كراتشي في الباكستان التي هي ميناء الباكستان الأكبر ومن أكبر مدنه تحتوي على ٦٠٠ مسجد وكانت أولى زيارتنا لدار العلوم ويرأسها مفتي الباكستان الشيخ محمد شفيع ويعتبر أكبر معهد إسلامي في باكستان لتدريس العلوم الدينية ويؤم هذه الدار الطلاب من مختلف أفراد المجتمع الباكستاني ومن الهند وبورما وأندونيسيا والملاوي وإفريقيا والأفغان وإيران وإلى جانب دار العلوم دار الفتوى وقد بلغ ما أصدرت من الفتاوى ٧٥٠٨٠٧ وإلى جانب ذلك دار التبليغ التي تخرج العلماء للدعوة إلى الله والدراسة فيها على ثلاث مراحل ابتدائية خمسة سنوات، وثانوية خمسة سنوات، وعالي ثلاث سنوات، وقد بلغ عدد الطلاب ألف ومائة، في القسم الداخلي مئتان أما المدرسة العربية الإسلامية في كراتشي فهي شبيهة بدار العلوم في مناهجها كما تم زيارة مسجد مكة وهو المسجد الرئيسي للتجمع الدعوي يؤمه كل ليلة

جمعة الآلاف يقيمون فيه يوم الخميس وليلة الجمعة للاستماع للمحاضرات وبحث المتبرعين إلى الدعوة، وفي هذا المسجد من العجائب ما لا يتسع المجال لذكره ومن كراتشي توجهنا إلى حيدر أباد وإلى بهاولبور ومنها إلى مولتان ومنها إلى لاهور، وهذه أشهر مدن باكستان، فيها المؤسسات العلمية على الطراز الحديث والقديم، والباكستان على العموم بلاد إسلامية في طابعها رغم التغلغل الاستعماري في بلادهم ومحاولة تنصيرهم أو بالأحرى إخفاء هويتهم الإسلامية فلا يزال السواد فيهم يحب الإسلام حباً جماً غير أن غلبة الجهل والعجمة والبعد عن المنهج الرباني أوجد بدعاً تصل إلى الشرك بالله كدعاء الأموات والاستنجاد بهم ومما هو مشتهر في مدينة مولتان القبور والتمور، أما في لاهور ففيها وثن يعبد يدعى دات صاحب اسمه الصحيح هجويري، ومعنى دات صاحب المعطي، ومن غرائب هذا القبر أن في السنة يوم واحد يقدم له القرابين ويدفق على قبره الألبان غير أن انتماءات دعوية ومدارس عربية هي في الاتجاه إلى تصحيح المفاهيم والتوحد العقدي جماعة غرباء أهل الحديث في كراتشي والتي أسسها الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وخلفه أبناؤه وأحفاده في إدارة هذه التسمية غير أن مما سمعت وتأكدت أن الشيخ عبدالوهاب يجري البيعة على المنتمين لهذا التوجه ولست أدري عن تفاصيل هذه أهو الدعوة إلى الله أو طلب العلم أو البعد عن ما يشوب العقيدة والتوحيد تعرفنا على الأخوين عبدالرحمن وعبدالغفار وهما قائمان على العمل الدعوي خير قيام وفي لاهور يتمركز أهل الحديث ولهم ثقل ومنهج وعلماء ودعاة ومدارس ومن أهم تلك المدارس الجامعة السلفية في فيصل أباد أي بلاد الفيصل يدرس فيها دعاة من منسوبي رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة.

هذه لمحة خاطفة عن زيارتي الأولى للباكستان والتي لم تدم سوى ٧ أيام. ومن لاهور توجهنا إلى الهند، وقد أعددت في زيارتي الثانية للباكستان عام ١٣٩٥هـ التقرير التالي فإليك أقدم هذا التقرير كما هو من غير تغيير ولا تبديل.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقرير عام عن باكستان

حامداً ومصلياً

الموقع الجغرافي وحدوده:

تقع باكستان بين خطي ٢٤، ٣٧ وبين خطي طول ١،٦،٥، ٧٥ ويحدها شمالاً جبال الهمالايا وجزء صغير من الأرض الأفغانية يوصل باكستان بالصين، ويبلغ طول هذه الحدود نحو ٤٧٠كم ويحدها من الشرق هندوستان أو الجزء الشرقي الذي اقتطع من بنجاب وضم إلى هندوستان كما يحدها راجستان ويحدها غرباً أفغانستان وإيران ويبلغ طول الحدود الأفغانية الباكستانية نحو ٢٥٠٠كم كما يبلغ طول الحدود الباكستانية الإيرانية نحو ٩٠٠كم ومساحة باكستان هي ٣١٠٤٠٣ أميال مربعة أي ما يقرب من مليون كم مربع، ويبلغ عدد نفوس باكستان بموجب إحصاء ١٩٧٢م خمسة وستين مليون نسمة.

المناطق الرئيسية:

١- بنجاب: إنما سميت بهذا الاسم الذي معناه المياه الخمسة بسبب وجود خمسة أنهر، وعاصمتها قديماً وحديثاً مدينة لاهور.

٢- منطقة الحدود كما كان يسميها الإنجليز لأنها تقع على حدود أفغانستان عاصمتها: بشاور.

٣- منطقة بلوجستان: هي ولاية متأخرة لأن الإنجليز أهملوها كثيراً عاصمتها: كويته.

٤- منطقة السند: عاصمتها كراتشي أكبر مدينة في باكستان.

نبذة من تاريخ البلاد :

فتح المسلمون القسم الأكبر من إيران زمن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب ولم يتقدموا إلى أبعد حدود مكران إلا زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث استولوا على القسم الشرقي من بلوجستان وعلى إمارة ثلاثة التي كانت تابعة للسند وضموها إلى مكران ثم تقدموا فاستولوا على قندهار وعلى كابل ثم حدث اعتداء اللصوص السنديون على سفن المسلمين الراسية في سيلان بطريقها إلى العراق فتسبب هذا إلى فتح السند على يد بطل الإسلام محمد بن القاسم حتى وصل إلى حدود كشمير وإمارة قنوج ثم تتابع الغزو الغزنويون والغوريون إلى آخر عهد المغول وحتى سلب الإنجليز الحكم وتسلطوا على البلاد ثم قامت الحركات لتحرير البلاد من أيدي المستعمرين الإنجليز فقام المسلمون بمطالبة وطن إسلامي بعدما عجز المسلمون عن اقناع الهنادكة بالسير في خطة وطنية وقومية ولمسوا سوء نيات الهنادكة وتآمرهم مع الإنجليز وسميت حركة مطالبة وطن إسلامي باسم (المؤتمر الإسلامي) واستكملت نموها سنة ١٩٤٧م يوم أعلن استقلال باكستان.

الوضع الديني: دخل الإسلام في شبه القارة الهندية وتتابعت الحكومات الإسلامية بالاسم فيها فلم يجد الناس من يوجههم إلى الدعوة والإرشاد إلا رجالاً كان أكبر همهم التقليد الأعمى لأنهم ما تعلموا إلا هذا في ديانتهم القديمة الهندوكية حتى كفروا الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، لما ترجم كتاب الله الصمد في اللغة الفارسية خوفاً على مذهبهم، وكانوا يمنعون تدريس الحديث النبوي حتى لا يستفيد أحد من المورد النبوي مباشرة تاركاً تقليد آبائهم.

فبذا نعرف كيف كان الوضع الديني في البلاد وكيف كان تكره عامة الناس

والعلماء نحو العقيدة الصحيحة لا شك أن الناس كانوا غارقين في البدعات الشركية والخرافات العقدية فما استطاعوا ترك عاداتهم الهندوكية لأنهم ما وجدوا أحداً من الحكام الذي يرشدهم إلى الحق ويربيهم تربية إسلامية، ويعلمهم توحيد العبادة ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام بل وجدوا من قادهم إلى الإلحاد واللادينية وغرسوا في قلوبهم حب التقليد والتصوف واتباع الشهوات النفسية فنسوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام على رأسهم الشهيد إسماعيل رحمه الله الذي جاهد الخرافات وجاهد الإنجليز فلنسرد في بيان الوضع الديني تفصيلا لجميع الهيئات الإسلامية والطوائف الدينية للاطلاع عليها:

(١) **جماعة أهل الحديث**: هم خلف أولئك المجاهدين السلفيين الذين اجتهدوا لإقامة الحكومة الإلهية في شبه القارة الهندية عقائدهم صافية خالية من شوائب الشرك والبدع لا يقلدون أحداً من الأئمة بل يقتبسون من نور الكتاب والسنة مباشرة. لهم جمعية باسم جمعية أهل الحديث المركزية لها أكثر من ألفي جمعية فرعية في جميع مدن باكستان وقراها. ولهم أكثر من مائة مدرسة وخمسة آلاف مسجد يقومون بخدمة الدين الإسلامي بواسطة التدريس والتبليغ والطبع والنشر.

ولكن مع الأسف الشديد منذ مدة غير بعيدة صار هؤلاء غير الحركيين نسوا أو تناسوا دعوتهم السلفية ومنهج المجاهدين الصافي فتفرقوا فصار بأسهم فيما بينهم فهم المحتاجون قبل كل شيء إلى رجل يجمع كلمتهم ويرشدهم إلى هدفهم.

(٢) **الجماعة الإسلامية**: جماعة السيد مودودي رحمه الله يذكر حالهم في

الوضع السياسي.

(٣) **الأحناف الموحدون** المعروفون باسم الديوبنديين لهم أحزاب سياسية ودينية نسبة مدارسهم أكثر من غيرهم، مستقيمون في توحيد العبادة وأما في توحيد الأسماء والصفات فهم متمسكون في العقائد بمذهب الإمام الماتريدي وفي الفروع بمذهب الإمام أبي حنيفة.

(٤) **الأحناف القبوريون** المعروفون بالبريلويين: يدّعون تقليد مذهب الإمام أبي حنيفة كذباً وزوراً يعبدون قبور الأولياء وينكرون بشرية الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقولون إنه يعلم الغيب وهو موجود في كل مكان وكل حين، فهؤلاء أكثر الناس فتنة ضد العقيدة السلفية يكفرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - والسيد إسماعيل - رحمه الله - وجميع السلفيين والموحدين. فلا تمر بقرية إلا تجد فيها قبراً يُعبد أو آثاراً يحتفل بها أبطلوا صلاة من صلى خلف أئمة الحرمين الشريفين لما زارهم الإمام بباكستان يؤولون الآيات والأحاديث تأويلات باطلة مثلاً يقول أحد علمائهم في الحديث: اللهم لا تجعل قبري وثناً يقول: معنى الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال أن الوثن لا ينفع ولا يضر أما أنا فأنفع وأضر. ولهم باب باسم باب الجنة يعتقد فيه أن من دخله دخل الجنة، فيدخل به آلاف الناس سنوياً، يرأسهم أحياناً وزير الأوقاف الباكستاني، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥) **الشيعة الإثني عشرية** : عقائدهم معروفة لدى الجميع هم متفرقون في جميع باكستان وكثيرون منهم في شمال باكستان. تزداد حركتهم شيئاً فشيئاً ولهم نفوذ في المراكز الحكومية والدوائر الرسمية يخرجون ببدعهم في الأسواق والشوارع في أيام المحرم ضاربين خدودهم وشاقين جيوبهم باكين على حسين

ﷺ ابتدعوا كلمة جديدة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفته بلا فصل.

(٦) **الإسماعيلية** : لا يتفقون مع المسلمين إلا بالاسم فقط عباداتهم وعاداتهم غير عادات المسلمين وعباداتهم، يسكنون في كراتشي وشمال باكستان في منطقة الحدود.

(٧) **الذكريون** : طائفة خارجة عن الإسلام لا يؤمنون بختم النبوة مثل القاديانيين لا يصلون، كعبتهم غير كعبة المسلمين في تريث بكران يسكنون في بعض مناطق بلوجستان.

(٨) **القاديانيون** : يؤمنون بنبوة مرزا غلام أحمد القادياني المعروف بكذبه ودجله. لهم مراكز الدعوة في السند والبنجاب والحدود في خارج باكستان.

النشاط التبشيري : وهناك نشاط حركي للتبشير والماسونية في جميع مناطق باكستان، ولهم مراكز في منطقة السند والبنجاب والحدود، يقومون بإنشاء رياض الأطفال في كبار مدن باكستان لتعليم العلوم الحديثة وتحريف أطفال المسلمين عن الفطرة، يفتحون المستشفيات ويقدمون المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين، فبذا تنصر كثير من الناس على أيديهم.

وأما الماسونيون فيفتحون النوادي في كبار مدن باكستان يجتمع فيها رجال الحكومة والأثرياء والزعماء السياسيون ويتعلمون هناك مبادئ الإنسانية بطريق ينسون به كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ويصيرون اللادينيين الملحدين أكبر همهم الكسب واللعب وإنفاق المال في المنكرات.

الوضع السياسي: استقلت دولة باكستان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧م على طلب من المسلمين وطناً إسلامياً، وكان هتاف المؤتمر الإسلامي في باكستان كلمة:

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ولكن مع الأسف مرت الدهور وما رأت البلاد إلا الأحلام وما سمعت إلا نعرات من الزعماء السياسيين والأحزاب السياسية الذين كانوا يستعملون كلمة الإسلام كذباً وزوراً.

أما الأحزاب السياسية الحالية كما يلي:

(١) **المؤتمر الإسلامي**: حزب الرابطة المسلمة: هذا الحزب قد نجح بانفصال باكستان عن الهند وكما ذُكر آنفاً كان هتافهم: الدولة الإسلامية وكلمة لا إله إلّا الله، ولكن بعد الفوز والنجاح واستقلال البلد نسي هؤلاء هتافاتهم فبدؤوا يقولون أن الإسلام لا ننفذه لأن الفرق الإسلامية كثيرة، فضلوا وأضلوا، فما دروا أين سيكون مصيرهم حتى سجلت منهم مؤامرات إلى أن انفصلت باكستان الشرقية من الغربية وانكسر ظهر تلك الدولة التي لم تقم إلا لأجل الإسلام وللحكم الإلهي.

هذا الحزب منقسم إلى قسمين: قسم يتفق مع حكومة... رئيس الوزراء، وقسم يساعد الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة كل يدعي إنشاء باكستان ولم يعترف أحد بتخريب الديار.

(٢) **حزب حركة الاستقلال**: حزب يقوده قائد القوات الجوية سابقاً أصغر خان، لا يتفق مع الأحزاب السياسية، رجل لا ديني، وأحياناً يذكر الإسلام؛ لأنه يعرف أن الناس يحبون الإسلام، فقيل إنه قادياني، ولما كان قائداً للقوات الجوية ما سمح بإنشاء المساجد في القواعد الجوية.

(٣) **حزب جمعية علماء باكستان**: حزب لبعض علماء البريلويين القبوريين هتافهم إقامة الحكومة المصطفوية (نسبة إلى محمد المصطفى). عقائدهم

عقائد الفرقة البريلوية تحت قيادة أحد أعضاء البرلمان شاه أحمد النوراني الذي زار المملكة البريطانية قبل سنة وأشعل نار البغض والتنافر بين المسلمين قائلاً لا تسمحوا بدخول الوهابيين في مساجدكم لأنهم كفار فحصل التشاجر في المسلمين حتى أغلق البوليس البريطاني مسجد المسلمين خوفاً من الفتنة فهؤلاء متفقون مع حزب حركة الاستقلال في المجال السياسي.

هذا الحزب أيضاً منقسم إلى قسمين : قسم تحت قيادة الشاه أحمد نوراني وقسم تحت قيادة فيض الحسن أحد علماء البريلويين يساعد الحكومة الباكستانية الحالية.

(٤) **حزب جمعية علماء الإسلام** : حزب سياسي لعلماء الأحناف الموحدين ينقسم إلى قسمين، قسم مع الحكومة تحت قيادة غلام غوث الهزاري وقسم مع الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة تحت قيادة المفتي محمود أحمد رئيس الأحزاب السياسية في البرلمان الشعبي مؤقتاً.

(٥) **الحزب الجمهوري الباكستاني**: حزب لبعض الزعماء السياسيين المخلصين في سياسة بلاد المحبين للإسلام وهو حزب غير مؤثر في عامة الناس إلا أنهم متفقون مع الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة تحت قيادة نواب بزاده نصر الله خان.

(٦) **الحزب الجمهوري الشعبي**: حزب جديد ظهر بعد إلغاء الحزب المشهور باسم الحزب العوامي القومي والجدير بالذكر أن الحزب العوامي المذكور كان حزباً لا دينياً فاز في الانتخابات المنعقدة في ١٩٧٠م في منطقة الحدود وبلوجستان وكونت الحكومة في هاتين المنطقتين بمساعدة جمعية علماء الإسلام فحصل بينهم وبين الحكومة المركزية اختلاف شديد حتى

سجن أكثر زعمائهم واتهموا إنهم انفصاليون يريدون انفصال منطقة الحدود وبلوجستان فالغت الحكومة هذا الحزب السياسي ثم وافقت المحكمة العليا على هذا الحكم فظهر الحزب باسم الحزب الجمهوري الشعبي تحت قيادة جديدة فهم في بداية العمل إلى الآن.

(٧) الجماعة الإسلامية: هي معروفة بجماعة السيد مودودي رحمه الله يدعون الناس إلى الكتاب والسنة: إلى مطالبة الدستور الإسلامي، وهتافهم الثورة الإسلامية، وهم يقومون بتذكير الناس الغرض الذي استقلت دولة باكستان لأجله فالجماعة تدعوا الناس إلى الإسلام حقاً عملياً وهم منظمون للغاية مخططون للدعوة الإسلامية كما يخطط أعداء الإسلام ضد الإسلام ولهم مدارس ونفوذ في جميع طوائف البلاد: في الطلاب والفلاحين والعمال والمحامين والأطباء، ولهم جمعية باسم جمعية اتحاد العلماء، يعتنون بتربية المتخرجين من المدارس الدينية للوحدة الشاملة لجميع العلماء لتحقيق أهدافهم القيّمة. عامة الناس يحترمونهم غاية الاحترام، ولكن مع الأسف الشديد أن جميع الفرق الإسلامية المبتدعة والسنيون يعارضونهم وينفرون الناس عنهم حتى بعض السلفيين يعارضونهم فعلماء البريليوّن والأحناف والسلفيين كلهم يتكلمون عليهم في مساجدهم ومدارسهم حيث يقولون أنهم وهابيون والأحناف يقولون أنهم تركوا تقليد الإمام أبي حنيفة ويقلدون المودودي، ولما نسأل السلفيين: ما ذنب الجماعة الإسلامية يقولون: ليسوا بمخلصين ويحبون الرئاسة. فو الله رأيتهم يجتهدون ليل نهار منظمين ومربين مخلصين في أعمالهم لا يكذبون ولا يخونون يصلون ويزكون لا يتعاملون بالبنوك المعاملات الربوية لا يتحاكمون إلى المحاكمة الطاغوتية، أكبر همهم

خدمة الدين الإسلامي، فاز أربعة منهم في انتخابات ١٩٧٠م للبرلمان الشعبي حاولت الحكومة شراء أذهان هؤلاء الأبطال فما استطاعت حينما كانت نجحت في الأحزاب الأخرى: الدينية والسياسية ومن الواجب أن تساعد هذه الجماعة المسلمة.

(٨) **حزب الشعب** : حزب رئيس الوزراء بوتو الذي فاز في انتخابات ١٩٧٠م فوزاً نهائياً في باكستان الغربية باسم الاشتراكية الإسلامية، وكان هتافهم: الإسلام ديننا والاشتراكية اقتصادنا والجمهورية سياستنا وكان من مواعيدهم الكذبة الانتخابية بأن يقدموا لكل فرد بيتاً وأكلاً ولباساً واسترداد الأراضي من الأغنياء وإعطاءها إلى الفقراء المحتاجين. حكومتهم حكومة دكتاتورية كلما يجدون رجلاً سياسياً أو دينياً يخالف فكرتهم سجنوه أو قتلوه والأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وممن عرفت في باكستان

أبو الأعلى المودودي

مؤسس الجماعة الإسلامية ورائد النهج السياسي الإسلامي بدولة الباكستان والتي انفصلت عن الهند عام ١٩٤٧م، رغبة في إقامة الدولة الإسلامية والخلافة الراشدة على أرض الباكستان ومعناها الأرض السعيدة، ما كادت الباكستان تعلن انفصالها بقيادة محمد علي جناح حتى تشعب العمل الإسلامي، وكانت أولى الجماعات هي رابطة المسلم (مسلم ليك) وهي رابطة سياسية، ثم أعقبها جمعية العلماء وهي جمعية دينية سياسية أشهر من تزعمها مفتي محمود، ثم جاءت الجماعة الإسلامية لتجمع بين الفكر والسياسية والعقيدة والدين وتختار نخبة من المثقفين ومن هم على المستوى العلمي والثقافي فتسموا بالجماعة الإسلامية برئاسة وريادة المفكر الإسلامي والكاتب أبي الأعلى المودودي، وعليه ينصبّ الحديث.

زار الشيخ أبو الأعلى الرياض ١٣٨١هـ في الوقت الذي كان رئيس الباكستان أيوب خان يطأ أرض الرياض بدعوة من الملك سعود، فكان الشيخ المودودي يحرص على اللقاء برجالات العلم في المملكة وباكستان ليقول لهم فكرته وتوجهاته السياسية، ولعله قصد من زيارته للرياض أن يعرب هو عن توجهات الشعب الباكستاني المسلم ويقوم بإعلان الكلمة ضد رئيس الدولة والذي يزعم هو الآخر أنه يريد إقامة دولة إسلامية على غرار الخلافة الراشدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فاجتمعنا بالشيخ المودودي في بيت أحد أفراد جماعته المدعو (محمد أختر رأو) الموظف بمؤسسة الجفالي مع نخبة من طلاب كلية الشريعة بالرياض، فقال أحدنا: ما صرّح به أيوب خان أنه يريد إقامة خلافة

راشدة مثل التي قام بها الخلفاء الأربعة فقال وهو يمد صوته بها: هو كذاب. فكانت لفتة نظر للطلاب الذين لم يعهدوا مصارحة فرد من أفراد شعب ضد رئيسه وممثل حكومته، من هنا بدأ الحديث السياسي مع الشيخ أبي الأعلى المودودي، وهذا أول لقاء به ومعرفته في ذلك العام ١٣٨١هـ.

الشيخ أبو الأعلى المودودي أسس فكرته الأولى كصحفي وكاتب إسلامي في حيدر آباد الدكن، وكان رمزاً للتحرير وإعطاء الفكر الجديد للمقومات الإسلامية، ثم أعقب ذلك بما كتبه وألفه من كتب استهدف تحقيق مضامينها بالتنظيم الجماعي والسياسي، فمن كتبه التي نالت إعجاب الجميع ولا معقب على ما كتبه (كتاب الحجاب للمرأة المسلمة) هذا العنوان كأنه يشير إلى أحقية المرأة المسلمة في اتخاذ منهج غير المنهج الغربي وقد تحدث الشيخ عن المرأة في الأمم السالفة قبل الإسلام وما لها وما عليها.

وعملياً قام أفراد الجماعة الإسلامية بالالتزام وتنفيذ مواد هذا الكتاب كأمر قيادي شرعي، ثم (كتاب الربا) وهو أهم كتاب ألفه في الاقتصاد الإسلامي يفضح الشيوعية والرأسمالية ويعرب عن مبادئ الإسلام الاقتصادية وفق شرعه وتنظيمه أخذت الجماعة الإسلامية بمقاطعة ما يخالف الاقتصاد الإسلامي مع دعوتها للناس وللحكومات الإسلامية النظر في تبعيتها للمبدأ الرأسمالي ورضاها بالبنوك الربوية، وهكذا فإن الشيخ عندما يكتب كتاباً أو ينشر مقالاً تكون الجماعة ملزمة بتنفيذه وبتطبيقه، وقد جعل جماعته على ثلاث مراتب: **مرتبة أولى** وهي المنتظمة في الجماعة لها ما لها وعليها ما عليها، وتسمى الجماعة العاملة، ويليها **مرتبة ثانية** وهي مرتبة المؤيدين المناصرين ومن يلتزمون ببعض الالتزامات غير الملزمة ولكن التأييد والمناصرة وحب الجماعة.

أما الدرجة الثالثة: فيدعون بالمحبين وهم المناصرون خارج خط الدائرة ومن يحبذون فكرة قيام الدولة الإسلامية على هذا النهج الذي اختارته الجماعة الإسلامية وعلى هذا سارت الجماعة وخطت خطوات صار لها صيت داخل باكستان وخارجه، فكان الشيخ المودودي يحمل صفة سياسية وفكرية وعلمية إلى أن توفاه الله في باكستان، وهو الزعيم المثالي في ورعه وتقواه وصلاحه، ومازالت الفكرة والمنهج بعد الشيخ تتوارثها الجماعة وتعمل على نفس خط السير الذي رسمه رحمه الله وغفر له.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٢)

الهنـــــد

مما هو جار على الألسن قول القائل: (الهند هندك لا قل ما عندك) كانت الهند وما تزال محط أنظار العالم إذ هي سلسة أحداث لا أدري من أي نافذة أدخل لأعطي صورة عن مسلمي الهند والمؤسسات الإسلامية والحركات الدعوية. الهند بلد العجائب والعجائب جمة أثرى حضارة بمعالمها وقدم تاريخها حتى قيل إن آدم نزل أول ما نزل في الهند حين أهبط من الجنة، إذاً فكل بني آدم هنود الوطن لا اللغات والديانات، تتكاثر المعلومات وتمتلئ الحقائب من التقريرات عن الهند ومؤسساته غير أنني ألمح إلى جانب من جوانب الدعوة ومشاهدة معالم في الهند شاهدة على حيوية الأمة الهندية وحركتها في التقدم الحضاري والإبداع العلمي، كانت الهند وبالأخص منطقة البنجاب دهلي مرتكز علماء الحديث وفحوله وكانوا مناراً لإحياء السنة وضبط دفاترها مما جعل النجديين وهم أقل الناس بضاعة في التفوق العلمي في زمن من الأزمان يقصدون الهند للاستزادة والاستفادة كأمثال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وغيرهما كثير كانت رحلتي الأولى للهند عام ١٣٨٣هـ بعد أن طوفت بالباكستان ومن لاهور إلى دلهي بالقطار السريع طفنا ببعض المدن الرئيسية فيه وهي دلهي، أكرا، عليكرا، خرجه، ديوبند، سهارنفور، حيدر أباد الدكن، بومباي ثم كانت الثانية لحضور مؤتمر في جنوب الهند كيرلا التي كانت تدعى مليبار ممثلاً لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وممن حضر هذا المؤتمر الشيخ أبو بكر

الجزائري ممثلاً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والدكتور الشيخ محمد بن عبدالله العجلان وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلاً لها، والشيخ عبد الله ابن سليمان المنيع ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي ومن دول إسلامية عربية، وكان ذلك عام ١٣٩٨هـ، الزيارة الثالثة للهند في ١٤٠٢هـ لمهمة هي بالأهمية بمكان فقد قامت الجامعة الإسلامية في الهند (دار العلوم ديوبند) والتي نعتت بأزهر الهند بعقد مؤتمر بمناسبة مرور مائة عام على إنشائها مثَّل الحكومة السعودية في هذا المؤتمر الدكتور الشيخ عبد الله بن عبدالمحسن التركي وقدم للجامعة مليون ريال سعودي دعماً لها ومساعدة، فكانت المشاكل بين أبناء مؤسسي الجامعة العلاّمة الشيخ محمد القاسم وحفيد محمد الطيب هو مدير الجامعة حال انعقاد المؤتمر يعاونه على إدارة الجامعة ٢٠ عضواً من مختلف أنحاء الهند ومنهم أبو الحسن الندوي نشأ الإشكال بين مدير الجامعة والأعضاء معه يرون إبقاء الجامعة على ما كانت عليه حال تأسيسها وما يجري عليه اليوم وطرف آخر ممثلاً في الشيخ أسعد مدني رئيس جمعية مسلمي عموم الهند يرون التجديد والتطوير مع محاسبة من استلم المليون السعودي وطرق تصريفه، تفاقمت المشكلة، ودخلت الجهات الرسمية في حل النزاع بين الطرفين إذ كانت الصحف المحلية أشعلت فتيل الفتنة، وبلغ الشيخ عبدالعزيز بن باز هذا الخلاف فكلفني بالشخوص إلى الهند للنظر في الواقع ومحاولة إعمال الصلح أما رحلتي الرابعة للهند فهي استشفاء في مدراس ومستشفاها العالمي أبولو لعلاج حساسية امتدت لأطراف اليدين والرجلين والحمد لله على العافية.

أعود لألمح لك عن المدن التي زرتها في رحلتي الأولى ١٣٨٣هـ:

١- **دهلي**: تعتبر المدينة الثالثة في قارة الهند بعد كلكتا وبومباي وفيها من الآثار الإسلامية مسجد دهلي الجامع الكبير الذي مضى على بنايته ٤٠٠ سنة ومازال يحكي الفن المعماري الإسلامي القديم. وفي القلعة الحمراء وليست بأقل من الجامع اعتباراً وبها شيء من الآثار القديمة من مخطوطات عربية وإفرنجية وأنواع الأسلحة القديمة، وفيها مسجد تاريخي، ومعبد حديث للمجوس.

٢- **أكرا** : وشهدنا فيها بناء تاج محل بمعنى محل التاج الذي يعتبر آية في الإبداع حار المهندسون في إحكام بنائه يعتبر حقاً معجزة العصر في الهندسة والتصميم المعماري وبجواره القلعة الحصينة وتاريخها تاريخ تاج محل.

٣- **عليكرا** : وبها الجامعة الإسلامية التي أسسها أحمد خان منذ ١٠٠ سنة ويشرب من منهلها خمسة آلاف طالب على مختلف اللغات والديانات وبها الجامع الكبير المصفح أعالي قبته بالذهب ومن العجب أن إمام هذا الجامع قد حاز على أربع شهادات دكتوراه في الطب عالِم يحمل شهادة جامعية حافظ قارئ ويشغل متضمنات الشهادات الأربع.

٤- **خرجة آهلة** بالسكان معمورة بالعلم والتعليم.

٥- **ديوبند** وبها الجامعة الإسلامية وتعداد طلابها آنذاك ١٥٦١ ومعلميها ٥٢ وبها ١٢ شعبة للإفتاء والطب.

٦- **سهارنفور** وبها الجامعة مظاهر العلوم التي ظهرت بمظهر الدعوة إلى الله مع جماعة التبليغ تأسست سنة ١٢٨٣هـ وشيخها الشيخ زكريا شيخ الحديث الذي كُلف بإعداد كتب تتمشى مع منهج الدعوة التبليغي في الأنصبة المعروفة عندهم.

٧- **حيدر أباد الدكن**: وهي المدينة التي نالت إعجابي وإخواني بمظاهرها الإسلامية، وهي مملكة مستقلة ،ملكها يتمتع بصلاحية عرشه، وبالأخير أذعنت قيادتها للهند، وفيها مسجد مكة وشارمنار بمعنى الجامع ذو المنابر الأربع يتوسط المدينة بتنسيق هندسي بديع.

٨- **بامبي**: ميناء الهند والمدينة الثانية للهند بعد كلكتا وإلى هنا استغرقت الرحلة شهرين إلا أسبوعًا امتطينا ظهر البحر آيبين تائبين حامدين لربنا ساجدين.

أما الرحلة الثانية فهي كما ذكرت لحضور مؤتمر عقده مسلمو الهند تحت شعار التعليم وقد أعددت بعد عودتي التقرير الآتي وليس بسر أن أطلع القارئ الكريم على محتوى هذا التقرير.

في يوم السبت الموافق ١٣٩٨/٣/٢٥هـ افتتح رئيس وزراء كيرلا (مسيحي) المؤتمر وقد حضر الافتتاح وزير الذرة (مسلم) ورئيس البلدية (مسيحي) ووفد رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ووفد رابطة العالم الإسلامي، ووفد قطر، ووفد الأزهر، وكبار المسؤولين في الدولة وأعيان البلاد، والمثقفون وكامل أعضاء الجمعية.

وفي مساء يوم السبت المذكور ندوة الأدب العربي وكان كل شيء يقال باللغة العربية سواء كانت كلمات أو قصائد أو مسابقة.

وفي يوم الأحد الموافق ١٣٩٨/٣/٢٦هـ بدأ المؤتمر مسيرته من مكان الانطلاق إلى مقر الحفل حيث احتشد الناس هناك وأعدت مكبرات الصوت ترتفع من كل جانب وإخواننا العرب يشاركون في مؤتمرنا: وفد المملكة العربية السعودية وفد رابطة العالم الإسلامي، وفد الأزهر، وفد قطر، وكان

منظراً مؤثراً وخاصة بعد أن علمنا أن الهدف من هذا المؤتمر هو إشعار الفرد المسلم في الهند بأنه لا يعيش وحده بين الأديان والمذاهب المختلفة التي تحاول إذابة شخصيته وإنما له إخوان داخل الهند وخارجها يسعدهم ما يسعده ويؤلمهم ما يؤلمه، ويحاولون أن يساعدوه على التخلص من الآثار السيئة التي خلفها الاستعمار والتي أثرت على المسلم في الهند نفسيا وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وصحياً.

إن أعضاء الجمعية في الهند يقولون لقد مر طور من الزمن يخجل فيه الشخص المسلم أن يقول: أنا مسلم وذلك للضغوط الهائلة التي كان يشعر بها سواء كان ذلك من الاستعمار الذي ألد أعداء الإسلام وأهله.

لقد أدركت الجمعية هذه الأخطار التي يواجهها المسلمون في شبه القارة الهندية فقامت بواجبها في حدود إمكاناتها، وقد لخصت أهدافها في النقاط الآتية في نشرتها المرفقة:

ترقية مستوى المسلمين دينيا وثقافيا واقتصاديا.

١- تأسيس المعاهد العلمية ودور الأيتام والمستشفيات والمستوصفات ومراكز تدريب المهن لتخليص المسلمين من نفوذ التبشير الذي يعتمد على هذه المرافق لتشكيك الناس في دينهم أو إخراجهم منه.

٢- العمل لتعريف الإسلام لأصحاب الأديان الأخرى بالأساليب الجديدة.

٣- توحيد صفوف المسلمين وتنمية العلاقات الودية بين مختلف الفرق الإسلامية وإصلاح ذات البين.

٤- العمل لإيجاد تفاهم حقيقي بين المسلمين وبين أصحاب الأديان الأخرى.

إن القائمين على هذه الجمعية مجموعة من الأطباء والمحامين والأساتذة وبعض أثرياء المسلمين.

ولقد قمنا بجولة على بعض منشآتها العلمية والاجتماعية والصحية فسررنا كثيرا بالجهود العظيمة التي تبذلها هذه الجمعية لتحقيق هذه الغاية النبيلة والتي أصبحت آثارها تظهر في معنويات الطلبة المسلمين. وقد كان سرورنا أعظم بعد أن لمسنا الصراحة من الرئيس التأسيسي الدكتور عبد الغفور عندما ناقشناه (في جلسة خاصة) في بعض الأمور التي تتنافى مع الإسلام فأخبرنا أنه يتلقى التوجيهات البناءة بصدر رحب، وأنه يحس بما أشرنا إليه، وأن الجمعية في طريقها إلى التخلص من الأمور التي تتعارض مع الإسلام لكن تحقيق ذلك في نقلة واحدة صعب نظراً للظروف التي تحيط بالجمعية لذا نرى:

١ - إن مساندة هذه الجمعية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين، ويكون من ضمن هذه المساندة تزويدها بالرجال الصالحين دينا وخلقاً والأقوياء شخصية وعلماً.

٢- رغبة في توحيد الجهود وتنظيم العمل فإننا نرى أن تكون جميع الطلبات المقدمة من الهند لمساعدة المسلمين عن ثلاثة طرق فقط:

أ- عن طريق الجماعة الإسلامية.

ب- عن طريق جمعية تعليم الإسلام في عموم الهند.

ج- عن طريق جمعية ندوة المجاهدين.

٣- تقوم هذه الجمعيات بدراسة الطلبات لمعرفة المشاريع التي قدمت من أجلها ومدى تنفيذها والفائدة منها ثم تقدم الأهم فالأهم وأن يفتح المجال أمام كل شخص يطلب المساعدة سيجعل من الصعب معرفة الأهم فالأهم وتقديم

الأولى فالأولى.

٤- نظراً لأن هذه المدارس سوف يدخل فيها بعض أبناء غير المسلمين فإننا نرى أن تكون الإدارات والمراكز الحساسة في أيد إسلامية ملتزمة وواعية تستطيع أن تؤثر بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تبرز شخصية الشباب المستقيم حتى لا يتأثر به الآخرون. هذا والله ولي التوفيق والسلام.

أما الرحلة الثالثة فقد أعددت مقالاً نُشر في مجلة الدعوة السعودية في حينه أفيد القارئ الكريم بما نشر تحت عنوان: إلى الهند.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إلى الهند.. بالشمال[1]

من دهلي أو دلي أو نيودلهي كان المنطلق لمدينتي العلم، مدينة لكنو التي عرفت واشتهرت بندوة العلماء وشخصية العالم الكبير أبي الحسن علي الحسني الندوي، ومدينة ديوبند التي عرفت بجامعتها الشهيرة، أزهر الهند، جامعة ديوبند دار العلوم.

والحديث عن دلهي لم يستجد فيه جديد بالنسبة لي، فقد تكررت زيارتي لها من عام ١٣٨٣هـ فهي عاصمة الهند وقاعدة الشمال المجاورة لمنطقة البنجاب مما يلي حدود الباكستان، والجديد في زيارتي لدلهي لقائي بعدد من الإخوة العاملين على انفراد، أو مما يجعل الحديث معهم ذا شجون وبلا تكلف أو تحفظ.

أولاً: مع الجماعة الإسلامية الأميران السابق محمد يوسف، واللاحق أبو الليث الصلاحي، وعلى مأدبة الإفطار في اليوم التالي في شهر رمضان ١٤٠٢هـ يتحدثان بكل وضوح عن سير الجماعة الإسلامية في الهند والمتمثل في النشر والإعلام والتعليم والخدمات الصحية والاجتماعية. ثم التعرج على السياسة. وكأن العالم أمام المرآة العاكسة للأحداث. فيتناولون منها ما شاءوا بالنقد والملاحظة أو الرد أو الموافقة.

ما شاء الله .. كان شيوخ في أعمار الستين إلى السبعين يتحدثون عن كل جديد في العالم وليته جديد فقط، ولكنه جديد ملتوٍ، إنها السياسة القاتلة للوقت والعمر

(١) مجلة الدعوة، العدد ٨٧٥، بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

ولكنها شيء لابد منه، سألت عن حزب المؤتمر الهندي الحاكم، فقلت: أتصور أنه أقرب الأحزاب إلى الإسلام أو الولاء للمسلمين، لأنه من مؤسسات علماء المسلمين كالعلامة أبو الكلام أزاد، فقالا صحيح ومع هذا فهو يدس للإسلام ويكيد لـه، ونحن لا نأمن مكر السياسة ولا ننخدع بالماضي، فقلت: إنكم تتهمون جمعية العلماء بالعمالة لهذا الحزب، فقالا: شيء من ذلك ولا نشهد إلا بما علمنا ورئيس الجمعية وهو عضو في البرلمان الهندي، فقلت عن جمعية أهل الحديث أرى كثيراً من الشبان يلهجون بالثناء على الجماعة وأعمالها، فقالاً الحمد لله ذلك من فضل الله، فقلت: لم لا تجعلون فرعاً في الجماعة يهتم بالناحية العقائدية ويروي غليل جمعية أهل الحديث وتكونوا جماعة واحدة؟. قالا ذلك ما نتمنى .. بدأنا هذا المشروع ولكن لم نتوفق في دمج الأسماء .. والحديث طويل وشيق وممتع في نفس الوقت إذ كان في جو من الصفاء والهدوء النفسي وتنزل السكينة قبل الإفطار وبعده.

ثانياً: مع جمعية العلماء ورئيسها الشيخ أسعد مدني، التقيت به في لكنو وفي دلهي وفي ديوبند .. قابلني في لكنو وقال لي معذرة تأخرت عن الموعد ساعة ونصف ساعة، سافرت من بمباي إلى دلهي وصليت الفجر وبعد الصلاة أخذت القطار إلى لكنو وفي هذه الساعة وصلت من دلهي لأتحدث معكم ساعتين وأسافر إلى دلهي ثم ديوبند .. شكرت له اهتمامه وتحمله الصعاب من أجل هذا اللقاء.

أهدى إلي كتاباً يشرح أعمال الجمعية وقال: معذرة يا شيخ نحن همزة الوصل بين حكومة كافرة وبين شعوب المسلمين في هذه البلدة نرعى مساجدنا وأوقافها والمدارس ومصالح المسلمين، لاشك أن بعض إخواننا يحملون

مسئولية كل شيء يصدر من الدولة ضد الإسلام، ولكننا لا نملك كل شيء ولو كنا كذلك لكنا دولة في وسط دولة، وكانت الخلافة الراشدة ولكن كما قيل: بعض الشر أهون من بعضه.

عرفت من الشيخ أسعد مدني حب الزعامة أو حب الزعامة له، فهو بيت زعامة بالطبع، فوالده كان من أشهر العلماء وممن لهم دور في السياسة والوطنية والإصلاح، وكذا أسرته لهم دور إيجابي ضد الاستعمار الغربي .. أقول هذا حتى لا ترجح كفة الناقد كثيراً لجبهة إسلامية ودعامة قوية تعمل للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: جمعية أهل الحديث نشأت في دهلي وجعلوا من وسائل تقويتها الحديث عن الماضي، يتشبثون بالحديث عن الشاه ولي الله الدهلوي والشهيد إسماعيل وسيد نذير حسين وصديق حسن خان، درجوا على هذا حتى الساعة، وعليهم ينطبق قول الشاعر:

إلهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمر بن كلثـــوم
يفـاخـــرون مذ قد كان أولهم يا للرجال لشعـر غير مسؤوم

معذرة لإخواننا في الحديث فإنني أطالبهم بأكثر من ذلك وأشد عليهم الوطأة في الملاحظة والنقد فمشربنا واحد وكلنا ذلك الرجل مما جعل شبابهم يميلون إلى الجماعة الإسلامية ويعجبون بتنظيمهم وإنتاجهم.. زرت مركزهم في دلهي القديمة كلفهم شراؤه مليون روبية اشتروه بالقرض حتى يجمعوا له، لا أسترسل في النقد ولكن أقول.

وقد نشطت مراكز التعليم فيهم لقيام جامعة مدراس الإسلامية والجامعة المحمدية في منطقة بمباي ودار السلام في مدارس والجامعة الأحمدية في بهار،

وعملوا على إحياء التراث الإسلامي في الحديث والتفسير وعلم العقائد، وهم خير مثال يحتذى في النزاهة وصحة العقيدة والسلامة من دسائس السياسة وتلوث الأفكار.

ومن دلهي إلى لكنوا، هناك نلتقي بالعالم الأشم الذي يستوي عنده المدح والذم الشيخ علي ميا المشهور بأبي الحسن الحسني الندوي، لكم تمنيت هذا اللقاء على انفراد ليخصني بدعائه وتوجيهاته، كنت طبعت له رسالة (بين الصورة والحقيقة) عام ١٣٨٣هـ كدت أحفظها عن ظهر قلب وأتصور معانيها ثم تتلمذت على كتبه ذات الروح والطابع الإيماني الحي، قابلني مقابلة الأخ لأخيه وأجلسني بجواره، فقلت: رأيتك في المملكة كأنك شيخ كبير أما اليوم فقد رأيتك شاباً يافعاً ما شاء الله، فقال ذلك للتواضع، أجريت معه حواراً في يومين أقمت ضيفاً على سماحته كان منها ما هو رسمي لا يحق لي التصريح به، ولكن الذي أقوله: إن ندوة العلماء أعطت نماذج للعالم الإسلامي في صورة المؤمن الحي الواعي فلا يجهل حضارة الغرب، ولا ينكر شيئاً من تعاليم دينه وقيمه بل ولا من تقاليده وعاداته المنسجمة مع دينه وطبيعته، لقد جمعت بين طرفي نقيض المدرسة العربية القديمة كجامعة ديوبند وسهارانفور والجامعات الوطنية العلمانية. لقد قامت الجامعة الإسلامية في عليكرة والجامعة الملكية في دلهي والجامعة العثمانية في حيدر أباد وحاولت أن تسد هذه الفجوة بين المدارس التعليمية القديمة والمدارس العصرية الحديثة، ولكنها لم تفلح كما أفلحت ندوة العلماء، بها ألفا طالب موزّعون على المراحل الدراسية حتى ما بعد الجامعة.

حدثني أبو الحسن قال: في مدينة لكنو تمركز الشيعة ولهم آثارهم الباقية في

المساجد والقلاع ولكن الله أخمد شعلتهم ودق شوكتهم وأهل السنة يظهرون عليهم وبوجود ندوة العلماء في لكنو كان علماً ظاهراً زارهم قبل بضعة أيام حاكم الشارقة وليس بغريب زيارة الأعيان من رجال السياسة والعلماء وكان عنوان الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ أبو الحسن أمام الشيخ سلطان حاكم الشارقة «نعم الأمير على باب الفقير .. وبئس الفقير على باب الأمير».

يتبع لندوة العلماء .. المجمع العلمي الإسلامي لطبع الكتب والنشرات وكذلك مجلة البعث الإسلامي التي لم تتوقف منذ تأسيسها، صادفت زيارتي لندوة العلماء الإجازة التي تبدأ عادة من شهر رمضان ولكن كما قيل (المباني تدل على المعاني) كل ما فيها يسر والحمد لله، ودعت ندوة العلماء ومن لكنو إلى دلهي بالطائرة لأتوجه في اليوم الثاني إلى مدينة ديوبند.

ديوبند .. لا شيء في ديوبند غير دار العلوم (الجامعة الإسلامية) التي تأسست عام ١٢٨٣هـ ولا شيء في ديوبند غير مكتبة تضم مائة وخمسين ألف كتاب باللغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية وفيها ١٤٠٠ طالب ومع هذا حسدها الحساد ورموها بسهم أدمى القلوب وأبكى العيون وأثخن في الجراح.

قامت فئة ضد فئة وظهر حزبان متضادان حزب يريد تطويرها وتنظيمها وحزب يريد تجميدها وركودها على ما كانت عليه من غير زيادة ولا نقص.

يدير الجامعة الشيخ أحمد الطيب منذ خمسين سنة ويبلغ من العمر سبعة وثمانين سنة، هذا الخلاف أدى إلى إقصائه عن الجامعة وإطلاق الجامعة في ساحتها وإخراج الطلاب من الفصول والمساكن بقوة البوليس، ولم يحدث هذا في تاريخ المدرسة العربية ولا يليق بعلماء فضلاء كلهم يحب الخير للجامعة

ولكنه قضاء وقدر، عادت الأمور إلى مجاريها وحل مجلس الشورى كل مشكلة غير مشكلة الأموال وتسليمها للإدارة الجديدة.

الشيخ مرغوب الرحمن. تحدثت في صالة عامة لعدد كبير من الطلاب احتفوا بضيف عربي، ومما قلته: أن مشاعر المسلمين متحدة وأن الخلاف في الوسيلة لا يعني الخلاف في الهدف ولكل امرئ ما نوى، وجامعة ديوبند صرح علمي شهير وكلما كان الجوهر غالي الثمن كثر النزاع عليه كل يريده لنفسه فهي جوهرة ثمينة كل يريدها لنفسه.

بهذا الحديث ينتهي ما كتبته تحت عنوان حصاد الجولات لعام ١٤٠٢هـ والمتمثل في ثمان دول هي: تايلند- ماليزيا- استراليا- سنغافورا- تنزانيا- الحبشة- كينيا- الهند.

هذا والله ولي التوفيق.

أما الرحلة الرابعة والأخيرة فهي استشفاء في شهر جمادى الثانية لعام ١٤٢٤هـ بصحبة الابن زكريا بن إسماعيل العتيق أكتفي بإفادة القارئ بأبيات قلتها تحت عنوان (لحن في مدراس) وهي خاتمة الفصل لزيارة الهند والحمد لله على العفو والعافية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

لحن في مدراس- الهند

قضى الله أنه في شهر جمادى الثانية من العام ١٤٢٤هـ أن أصل إلى مدينة مدراس عاصمة تاملنادو (أي بلد التمل) في أقصى جنوب الهند. يبلغ عدد سكان تاملنادو ثمانية وأربعون مليون نسمة عدد المسلمين ثلاثة ملايين، عدد النصارى ثلاثة ملايين ومائتا ألف والباقون من الهندوس منهم عشرة ملايين من المنبوذين ولدى الديانة الهندوسية طبقة المجتمع، الطبقة الأولى البراهمة وهم من أصل الأريين خلقوا من فم الرب الطبقة الثانية الكشتري وهم الجنود خلقوا من سواعد الرب، الطبقة الثالثة الويش خلقوا من فخذ الرب ومن حرفتهم الصناعة والزراعة، الطبقة الرابعة الشودر وهم العبيد للفئات السابقة خلقوا من قدم الرب والديانات أربع ديانات الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية، وقد حكم الإسلام الهند ثمانية قرون إلى أن سقطت رايات الجهاد على يد السيخ في يالكوت وحل محل الاستعمار الإنجليزي، وقد أصبت بوعكة على إثرها قلت: هذه الأبيات:

لحن في مدراس

لم أر مـــــدراس ولم تـــــرني ... غيـر واهـن العظـم خلتهـا مـدفني
شـــبح المـــوت تـــراءى لـــي ... وأصـــــخت صـــــوته أذني
لم أر شـــيئاً مـــن حـــسنها ... أو جمـــال غيـــر شـــتى المهـــن
حرفيـــون يعملـــون بهـــا ... مـــشركون عبـــاد الـــوثن
مـــا لحـــواء أنجبـــت مـــثلهم ... أتجـــاري بهـــم خـــدام الـــوطن
كيـــف ســـاغ تعطـــي ثـــديها ... أرضـــعتهم مـــا تـــدري مـــا بـــالزمن

خلق الجن والإنس كذا ... بعضهم بعضاً لبعض ممتحن
كيف يحلو الجمال لنا ... غير رؤيا ضدين في قرن
هل رأيت غربانا مثلها ... مثلهم يهوي إلى النتن
هل رأيت أبقاراً مثلها ... مثلهم لولا ما بها من لبن
يطربون من غير ما طرب ... صوت هذا اللحن من أشجى اللحن
حسنوا الوجه بروث البقر ... بئس دين بيع ببخس الثمن
برهمي جنس هذا البشر ... من فم الرب كروح للبدن
كشتري جنود لهم ... ألو يشي لزرع الحقل والسفن
شودري هذا له ... خدمة الكل بلا من
دينهم هندوسية كذا ... اسمه من قديم الزمن
ولبوذا حكمة قالها ... أخذ الناس ما بها من حسن
المهابين سواري دينهم ... وكذا السيخ شيطان الفتن
أجج الحرب ضد أعلام الهدى ... (يالكوت) سلها عن فتن
أحمد العرفان قرباناً لها ... الشهيد إسماعيل حامي السنن
بعد ذا سجل التاريخ لهم ... قدم الصدق بروح لم تهن
ودع الإسلام حكاماً له ... بقرون ثمان كأن لم تكن
لم يزل من الخير بها ... كنواة لغرس الفنن
جامعات باسقات العلا ... مثل دار السلام دار المؤتمن
عمريون أسسوا بنيانها ... قام فيهم من دعى للسنن
نعم دار أسسوا بنيانها ... صرحها بغير الطين واللبن
لست أدري أتعلو همتي ... كي أجاري ركب هذا الميمن

منيتـــــي أننـــــي مثـــــل ذا أعبـــد الله بـــروح المحـــسن
أيـــن منـــي أيـــن ذاك المرتقـــى مفعـــم الـــذنب عليـــل البـــدن
يـــا إلهـــي طهـــر القلـــب فـــما أنـــس القلـــب لغيـــر الله في المحـــن
واجعـــل النـــور نـــوري بالهـــدى أبـــصر الحـــق يـــا لهـــا مـــن مـــنن

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجامعة الإسلامية في ديوبند
مشاعر الإسلام في الهند

مسلمو الهند من أكثر الأقليات الإسلامية في العالم تمسكاً بدينهم وحفاظاً على تراثهم وفي سبيل ذلك فقد قاموا بتأسيس العشرات من المعاهد والكليات والمدارس والمؤسسات الإسلامية في طول القارة الهندية وعرضها وبذلوا ومازالوا يبذلون الجهود الضخمة في سبيل دينهم ولغة قرآنهم وكثيراً ما يقتطعون ذلك من أقواتهم وأقوات أولادهم لا يبتغون إلا وجه الله ونصرة دينه ونفع عباده المؤمنين، ومن تلك المؤسسات الشامخة في ديوبند جامعتها الإسلامية والمؤسسات التي انبثقت منها وقد تأسست دار العلوم منذ أكثر من ١٠٠ عام وتطورت واتسعت وكان لها ولعلمائها وخريجيها أكبر الأثر في القارة الهندية، وكان من أبرز مؤسسيها بل صاحب فكرتها علاّمة الهند الشيخ محمد قاسم.

لقد نوهت عدة صحف ومفكرين وعلماء ومسئولين مسلمين ومن أولئك العلاّمة المشهور صاحب مجلة المنار الشيخ محمد رشيد رضا المصري وكذا الأستاذ واضح رشيد الندوي في جريدة الرأي حيث قال: إنها تعتبر بحق أقدم وأكبر مؤسسة للعلوم الشرعية في شبه القارة الهندية.

أنجبت مدارس ديوبند علماء وباحثين نشروا العلم وقاوموا الاستعمار وعلى الجهة العلمية دافعوا عن الإسلام وتعاليمه وقد قامت البلاد العربية المكونة من نحو خمسين نسمة بزيارة الجامعة الإسلامية وأقيم على شرفهم الحفلات وقد سجل أعضاء الوفود انطباعاتهم التقديرية نحو الجامعة.

أما نسب الجامعة العلمي فهي تنتمي إلى الإمام الحكيم ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي صاحب المدرسة الفكرية المعروفة الذي قام بدور عظيم في حفظ الكيان الإسلامي في الهند انتقلت روح تلك الأمانة بواسطة أحفاده الأجلاء إلى الإمام الشيخ محمد قاسم المعروف بشدة ذكائه وعلو كلمته في شرح العقائد الإسلامية وكذا الفقيه العلامة رشيد أحمد فأسست الجامعة دار العلوم سنة ١٨٦٦م بعدما قضى الإنجليز نهائياً على الحكم الإسلامي ولفظت الحكومة المغولية أنفاسها الأخيرة بعد فشل ثورة ١٨٥٧م في الهند.

تهدف دار العلوم إلى الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية وإشعال روح الغيرة الدينية والحماس الإسلامي في المسلمين، وللجامعة اهتمام بالتفسير والحديث فهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي، وقد ذاع صيت دار الحديث التابعة لها في جميع أنحاء العالم، ونبغ من متخرجي الجامعة مئات من المتحدثين البارعين، وللجامعة مكتبة كبيرة زاخرة تعد من أقدم المكتبات وأخصبها لما تحتوي عليه من مخطوطات نادرة وعدد من المصاحف الخطية، يبلغ عدد الكتب المطبوعة أكثر من ١٢٠ ألف باللغات المختلفة. تضم المكتبة قاعات عديدة، وللمكتبة نظام خاص لتوزيع الكتب على الطلبة كما أن من أنشطة الجامعة الصحف والمجلات فقد أنشأوا عدداً من المجلات والصحف وقامت الجامعة بإصدار مجلتين: القاسم والرشيد، ويصدر حالياً مجلد باسم دار العلوم باللغة الأردية كما أنها تهتم بنشر البحوث والمؤلفات حول موضوعات متنوعة وللجامعة يد في الدعوة والإرشاد وإرسال البعثات إلى مختلف أنحاء البلاد لإلقاء الخطب ومقاومة أهل الزيغ وبجانب العلم الشرعي فإن الجامعة بها كلية الطب يلحق بها مائة طالب كل عام يدرس بها الطب

اليوناني ممزوجاً بالطب العصري الحديث والدراسة فيها ٤ سنوات تمنح الجامعة المتخرجين في تلك الكلية شهادة (فاضل الطب) ولغة التدريس هي اللغة المحلية في جميع مراحل التعليم من الرابعة إلى الثانوي أما في الدراسات العليا وأقسام التكميل يجري التدريس بكلتا اللغتين العربية والأردية والتعليم مجاني في جميع مراحل التعليم.

تمنح الجامعة شهادة الفضيلة بعدما يستكمل الطلاب مناهجها الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة كما تمنح شهادة (فاضل الطب) لمن تخرج من الطب.

هذه لمحات عن دار العلوم في الهند إذ هي أكبر مرفق تعلمي يؤدي رسالته غير أنني أشير إلى أن المذهب المعتمد في تدريس مادة الفقه هو المذهب الحنفي أما في العقيدة فهي على غرار المدارس الكبرى كالأزهر، وللتصوف دور فعال في تكوين الفرد المسلم الهندي ليلتقي بالجماعة تحت رعاية مشايخ الطرق وهي الطرق الأربع: الجشتية، النقشبندية، الأحمدية، القادرية، وقد كان لعلماء ديوبند الأقدمين بعض ما ينتقدون به الدعوة السلفية في نجد غير أن من خرج من علماء الهند كالشيخ نذير حسين والشيخ صديق حسن خان ضيقوا تلك الفجوة بين الوهابية والدوبندية وأعظم معلم عرفه العصر في علماء الهند العالِم الرباني علي ميا أبو الحسن ندوي الذي سعى بفكره وعقله وعلمه وشرفه أن يرسل للعالم الإسلامي رسالة تدعو إلى الالتقاء والالتحام سيما وأن الملك فيصل — رحمه الله — كان رائد التضامن الإسلامي أبو الحسن الندوي ممن أعطى فكره وعقله لهذا التوجه الذي نادى به الملك فيصل - رحمه الله - وكان أبو الحسن عضواً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة كما هو عضو في مجلس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وفي تقارب الديار واللقاءات بين

العلماء والمفكرين كادت أن تنطمس تلك المعالم العقدية التقليدية وأصبح لا شيء إلا للكتاب والسنة هو شعار الدعاة ورجالات الإسلام في كل مكان والحمد لله.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو الحسن الندوي

العالم الهندي من بيت النبوة

وسلالة السادة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

في عام ١٤٠٢هـ توجهت إلى الهند وليست أولى رحلاتي فقد كانت رحلتي الأولى إلى الهند عام ١٣٨٣هـ ولكن هذه الرحلة كانت بخصوص الجامعة العالمية المشهورة والمعروفة بجامعة (ديوبند) إذ وقع الخلاف بين أبناء مؤسسها الشيخ محمد الطيب وبين جمعية العلماء في الهند برئاسة الشيخ أسعد مدني فقد بُعثت من قِبل رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة لسير الأحوال وإعمال الصلح إن أمكن إذ كان الخلاف على أثر دعم مالي سخي من المملكة العربية السعودية وهو مليون ريال سلمه الدكتور عبدالله التركي لأبناء الشيخ محمد الطيب فقام المناهضون لورثة الشيخ ليقولوا: إن الجامعة جمعية أهلية عامة للمسلمين وليست لأبناء الشيخ محمد الطيب.

توجهتُ إلى لكنو حيث يسكن الشيخ علي ميا أبو الحسن الندوي وأخبرته بالمهمة فاستشرته في الخطة المرضية فأشار عليّ بما هو خير فتوجهت إلى ديوبند والتقيت بأبناء الشيخ محمد الطيب كما التقيت بالمناهضين لهم واتفقنا على بعض النقاط مما تم تسجيله ورفعه إلى جهة الاختصاص ، مكثت مع أبي الحسن ثلاثة أيام، فرأيت الرجل الزعيم والمصلح القويم الرجل الزاهد النقي الورع ذا التصوف غير المبتدع العَالِم الرباني والكاتب الإسلامي الشهير الذي طبق ذكره آفاق العالم الإسلامي الشهير، وقد كنت قرأت كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) إبَّان الطلب، فرأيت أمراً عجيباً كما رآه غيري في هذا

الكتاب، وقد قدَّم له الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، وطبع طبعات متعددة، فبقيت صورة الشيخ وحكمه في ذهني أصور ذلك الرجل الذي ألم بتاريخ بعيد سحيق، كما ألمَّ بواقع العالم مسلمه وكافره فكتب كتبه عن رؤية ودراية وقوة تعبير بأسلوب أدبي رائع فهو الكاتب الأديب والمفكر الإسلامي الشيخ علي ميا المكنى بأبي الحسن، بعد كل عصر نجتمع معه في جلسة خاصة، ويتحدث ويوجه الحاضرين ويزيدهم من الأخبار، وكانت تلك أيام ثورة إيران أو بالأصح الثورة الخمينية، قال أبو الحسن: التقينا بالحرم المكي الشريف واجتمعنا بالخميني وهو إذ ذاك في المنفى، وكان معنا السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين وقالوا جميعاً: ندعو الله ونحن بجوار الكعبة، فأمروني أن أتلو الدعاء وهم يؤمّنون، فرفعتُ يدي وقلت الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: الآية: ٥٩]. ولا أدري إذا كان الخميني قد أمَّنَ سراً، أو هو أدرك المقصود في الرد على الرافضة الذين ينالون من الصحابة ﷺ.

الشيخ أبو الحسن قد لا أحيط بوصفه فهو متعدد الجوانب الكسبية والذاتية، إلا أنني أقول: إنه رجل علم ودعوة وزعيم ولكن ليست بالزعامة السياسية ولكن بشرف نسبه وعلمه وورعه ورضاه عن التصوف أكسبه محبةً ورضاً من جميع مسلمي الهند، وقد يختلف مع الزعيم السياسي الباكستاني أبي الأعلى المودودي في بعض الجوانب السياسية، وقد كتب أبو الحسن كتاباً بعد وفاة الشيخ المودودي حول فكر المودودي وسيد قطب، كما ألف كتاباً آخر سماه العقيدة والسلوك، فالشيخ أبو الحسن وإن لم يتفق تماماً مع المنهج السلفي المعاصر ولا مع الإخوان المسلمين من النواحي الفكرية ولكنه يحاول أن

يضيق فجوة الخلاف بين المنهجين ومنهج التصوف السليم وأنّى له؟ ولكن بقلمه البارع وأسلوبه الفيّاض قد يكون للشيخ أبي الحسن مدرسة سلوكية عقدية فكرية يكون هو رائدها، ولكن تكون في عمر الزمن الطويل وهو يرضى عن المملكة عموماً ويمجد الملك فيصل خصوصاً، فقد قال بلسانه: أنا لا أبيع ضميري، ولو بعته كان ذلك للملك فيصل.

عدتُ من الهند بعد عشرين يوماً أحمل معي المعلومات عن كل ما شاهدته وسعيت فيه، ومن ذلك إعجابي بهذه الشخصية البارزة الشيخ أبي الحسن غفر الله له.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٣)

سيرلانكا

لها أربعة أسماء: سرنديب، سيلان، سيلون، سيرلانكا.

الاسم الأول كتبه ابن بطوطه، والثاني أسماه العرب لسيلان الأنهر ومنابع المياه، الثالث سماه مسلمو تمنادو (مدراس) إذ هي مجاورة لها أما الرابع فهو الاسم الرسمي الذي اعتمد محلياً ودولياً.

تقدم أحد السيلانيين ويدعى عبد الحميد إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وأخبره بالأحوال في سيلان وطلب مبعوثاً من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث كان سماحة الشيخ رئيسها للذهاب إلى سيلان للدعوة إلى الله وإلقاء نظرة على مسلمي سيلان فكتب سماحة الشيخ إلى فضيلة رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وهو آنذاك الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ — رحمه الله — فعرض علي الرئيس القيام بهذه المهمة فقبلت بناء على خبرتي القديمة للهند وما حوله فكانت الأولى في شهر محرم عام ١٣٩٣هـ أما الرحلة الثانية لسيلان فكانت في ١٦/ ٤/ ١٣٩٤هـ فبعد رفع التقرير كان من جملة المقترحات تكوين لجنة من أربعة أشخاص هم:

١- معالي الدكتور خليل رئيس لجنة رابطة المسلمين وكان وزيراً للداخلية سابقاً.

٢- معالي الحاج الشيخ محمد حنيف عضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ووزير النقل.

٣- الشيخ محمد بن إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية في سيلان وقد كان في

المملكة لتلقي العلم في دورات الرابع كاتب التقرير إسماعيل بن سعد بن عتيق.
مهمة اللجنة دراسة التقرير المقدم والمقترحات لمساعدة مسلمي سيلان مادياً بجانب الدعوة إلى الله ثم العودة إلى سيلان، واجتمعت اللجنة وأعدت تقريرها ومقترحاتها بمساعدة المسلمين في سيلان بمبلغ ٧٢٠ ألف ريال ٦٠٠ ألف تكون عاجلة و١٢٠ ألف تصرف سنوياً للمدارس وجهات التعليم والهيئات الإسلامية وبعد رفع التقرير للجنة المذكورة صدرت الموافقة السامية على تقديم مساعدة مقطوعة ٦٠٠ ألف ريال تصرف على نظر اللجنة فكان ذلك والحمد لله أما الرحلة الثالثة فكانت لتوزيع المبالغ على وفق ما رأته اللجنة وكان ذلك بتاريخ ٦/٦/١٣٩٥هـ أما الرحلة الرابعة فكانت بتاريخ ١٦/٨/١٤٠٧هـ فقد تقدم سفير سيرلانكا بالرياض لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - لطلب النظر في مشروعه بناء مسجد في المدينة التي يقطنها في سيلان فأمر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — رحمه الله — للتوجه إلى هناك للنظر باستحقاق ما تقدم به السفير، وكان معي في هذه المهمة الأخ الفاضل الشيخ عبدالرحمن بن صالح التويجري، فكان ذلك والحمد لله.

أشفع للقارئ الكريم ما كتبت في رحلتي الأولى والرابعة أما الثانية والثالثة فكانت إجراءات إدارية وتوزيع المبالغ التي كان لها الأثر الطيب في نفوس مسلمي سيلان لدعم مؤسساتها التعليمية النظامية والأهلية، غفر الله للملك فيصل، وجزى الله الشيخ ابن باز — رحمه الله — كل خير على اهتمام الكل في مناصرة المسلمين في أرجاء المعمورة.

وفيما يلي ما وعدت به في رحلتي الأولى والرابعة:

سيلان:

في ٢٧ محرم من عام ١٣٩٣هـ كان نزولي في مطار كولومبو عاصمة سيلان، وبعد التريث لبضعة أيام تحدد أمامي خطة سير العمل بالاتفاق مع الهيئات الثلاثة: الجماعة الإسلامية، وجماعة أنصار السنة المحمدية، وجماعة التبليغ، وذلك لضرورة الاختصار في الوقت وشمول النفع والإحاطة بالمعلومات اللازمة من مختلف المستويات وحددت لكل هيئة وقتاً معيناً على أن تتولى الهيئة نفسها خطة البرنامج وفق استعدادها، على أن يشمل البرنامج الدعوة إلى الله في المساجد والمجتمعات والأندية والمدارس وزيارة الشخصيات المهتمة بالإسلام، وفي خلال الشهرين التي أقمتها في سيلان طفت بها اثنين وثلاثين مدينة، وخطبت في خمسة وخمسين مسجداً وألقيت المحاضرات على ستة عشر مدرسة عربية وسبع مدارس حكومية وأهلية، وزرت كافة المؤسسات التي لها صلة بالدين الإسلامي، وقطعت أكثر من ألف وستمائة ميل في كامل الرحلة، وركزت في خطاباتي على شرح توحيد الألوهية والعبادة وذلك في المساجد عامة وعما جد من أفكار دخيلة على المسلمين تحملها المبادئ الكفرية، وعن الخطر اليهودي الكامن في صدور الحاقدين على الإسلام، لمست تجاوباً من كافة الناس وكثيراً ما نقل في الصحف المحلية اليومية ما قلته وتحدثت به كما أجري لي مقابلة في الإذاعة قبيل مغادرتي حول الإسلام والدعوة إليه وهذا أوان الشروع. والله الموفق.

الهيئات الإسلامية والمؤسسات الدينية:

كانت النشاطات الإسلامية محدودة ولكنها بعد الاستقلال من حكم الاستعمار الإنجليزي وقبله الهولندي والبرتغالي والذي دام أكثر من أربعمائة

سنة جد للمسلمين نشاطات تتمثل في الأفراد والجماعات خدمة لدينهم وصيانة لأبنائهم عن تسرب الكفر والإلحاد، نذكرها مع الاختصار، ولدي معلومات أكثر وتقارير أطول ولكن هذا التقرير قصدت فيه الاختصار.

١/ الجماعة الإسلامية:

تأسست سنة ١٩٣٥م، تسير هذه الجماعة وفق المنهج العام لخطة الأخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في الهند والباكستان تملك مركزاً ومكتبة في المركز وجريدة شهرية اسمها (الحسنات) ولها نشرات باللغة المحلية (التمل)، (السنقلي) وبالإنجليزية تطبع الكتب والرسائل وتباع بسعر التكلفة أو قريب منه، لها عدد من الشعب في نواحي سيلان أعضاؤها عشرون والمتفقون كثير والمتأثرون أكثر وأكثر، تمارس نشاطها بكل حرية حيث أنها لا تصطدم مع السياسة المحلية، تعتني بتربية الأفراد من النواحي العقائدية والفكرية والجسمية، أكثر من يستجيب لها من الطبقة المثقفة وفيهم الأطباء والمهندسون والمدرسون في الجامعة الحكومية الرسمية.

٢/ جماعة أنصار السنة المحمدية:

تأسست عام ١٩٤٧م، قامت على حرب البدعة والإنكار على أهل القبور وأصحاب الطرق وهدموا بعض القباب المبنية على القبور وأبلوا بلاءً حسناً، وقد اعتزلوا المجتمع واعتبروه جاهلاً لا يصلح للاختلاط به. يملكون أربعة مساجد وخمس مدارس قرآنية، وهم أشبه بجماعة الحديث بالهند وباكستان، وبأنصار السنة في مصر والسودان، وكانت لهم صحيفة شهرية عملت سنتين ثم توقفت باسم (دعوة الحق).

٣/ جماعة التبليغ:

بدأت حركة التبليغ عام ١٩٥٣م، وهي أنشط الجماعات في المحيط العام، ويملكون مركزاً وسيارة يتبعهم كثير من الأغنياء، ويوجد فيهم عدد متفرغ للعمل ممن أحيلوا على المعاش، يتبعها مدرسة عربية من كبريات المدارس في سيلان، وهم يسيرون وفق ما تسير عليه جماعة التبليغ في الهند وباكستان وغيرها، وفي رجب هذا العام يعقد اجتماع عام يتوقعون أن يحضره أكثر من خمسين ألفاً من أنحاء العالم الإسلامي يتمركزون في مسجد جامعي طيتي في كولمبو الذي لا يخلو ساعة من ليل أو نهار من الناس، ولهذه الجماعة خطرها في المستقبل، وقد زاد عدد المساجد في سيلان بنسبة ١٠٠٪ منذ بدأت نشاطها وفق الإحصاءات في دائرة الأوقاف.

٤/ جمعية العلماء:

يكثر العلماء في سيلان وكلهم على مستوى ضحل من العلم، حيث إن من تخرج من المدارس العربية أخذ شهادة عالِم وهذه المدارس أقل من مستوى المعاهد العلمية في المملكة وأكثرهم يعملون في مدارس حكومية والإمامة والخطابة في المساجد والمدارس العربية ومهمتهم تتمركز على استعراض الاستفتاءات وتلمس الحلول لكل ما جد على ضوء الشريعة من المسائل التي لا تزال موضع بحث كجواز قلع العين بعد الموت وإهدائها لحي آخر، ومسائل ربوية، وأحكام في الطلاق وغيرها. مركزهم كولمبو العاصمة وجلساتهم طارئة وفق الحاجة ورغبة الأكثرية في الانعقاد.

٥/ جمعية الشباب المسلمين:

تسير على منوال جمعية الشباب المسيحيين والشباب البوذيين، وهي أشبه ما تكون بتجمعات ترفيهية ولقاءات تعارف، وليس لها نشاط إسلامي متمايز،

ولها عدد من المراكز في نواحي سيلان، وكثير من الشباب المسلمين انخرطوا في هذه الجمعية وترعاهم الحكومة.

٦/ كلية الزاهرة:

أكبر المؤسسات العلمية والإسلامية يملكها المسلمون تأسست سنة ١٨٩٢م، وكان يتبعها خمس مدارس فرعية، إلا أن الحكومة وضعت يدها عليها وأبقت لهم كلية الزاهرة في كولومبو بعد محاكمات في إنجلترا، وهي تدرس التلاميذ من الابتدائي حتى مرحلة الجامعة في حفاظ على شعار الدين وتربية سليمة وعدم اختلاط، وعدد طلابها ألفا طالب ومدرسوها مائتان، وقد ساعدتها حكومة جلالة الملك في العام الماضي بخمسة آلاف جنيه إسترليني عن طريق الرابطة، وفي هذه الكلية قسم للطباعة والتجليد والصناعات اليدوية الخفيفة، وقسم للأيتام الصغار، وبها جامع كبير تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة، وتقع في موقع استراتيجي من عاصمة سيلان كولمبو يرأسها الدكتور الشافعي مسلم متحمس راغب في تطويرها والحفاظ عليها.

٧/ كليات السيدات المسلمات العربية:

تقابل كلية الزاهرة للبنين كلية سيدات المسلمات العربية، وهي على نفس المنوال تحافظ على حرمة المرأة المسلمة من الاختلاط مع التوجيه والالتزام لشعائر الدين، وتقع هذه الكلية في مدينة (كليليا) قرابة ثلاثين ميلاً من كولمبو يرأسها الحاج أبو الحسن وعدد الطالبات أربع مائة طالبة، وفيها قسم خاص باليتيمات، وقد ساعدتها حكومة العراق وحكومة أبو ظبي.

٨/ المدارس العربية الدينية:

تبلغ المدارس العربية خمساً وعشرين مدرسة متفرقة في أنحاء سيلان، والدراسة فيها أربع سنوات تؤهل شهادة (عالم) يدرس فيها علوم القرآن

والتفسير وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق والفلسفة وعلوم الحديث وعلوم العقائد ويقدر عدد مجموع طلابها ست مائة طالب وثمانون مدرس وتعترف الحكومة بالشهادات، وتؤهل المتخرج ليكون معلماً في مدارس الحكومة للدين واللغة التملية، وغالب هؤلاء الطلاب يسكنون ويأكلون على حساب التجار المحسنين من الزكاة وغيرها.

٩/ مدارس تحفيظ القرآن:

يوجد مدرستان فقط لتحفيظ القرآن (دار الحسنات في مدينة سنترا، ومدرسة طلاع في كينكا كودي) غير أن أغلبية المساجد لا تخلو من معلم للقرآن الكريم وغالباً تكون مسائية.

١٠/ مدرسة دار الأيتام لأبناء المسلمين:

تأسست قبل ست سنوات، بها خمس وأربعون يتيماً من السادسة حتى الثانية عشرة من عمره، يتعلمون مناهج المدارس الحكومية مع الحفاظ عليهم وتربيتهم التربية الإسلامية والقيام بمؤنتهم واحتياجاتهم، ساعدتهم حكومة جلالة الملك بخمسة آلاف جنيه إسترليني عن طريق الرابطة وذلك قبل أشهر.

١١/ المدرسة الأحدية:

لاحظ المسلمون أن عطلة الأحد العطلة الرسمية الأسبوعية، لا ينبغي أن تفوت بدون استفادة واجتهدوا في تأسيس مراكز لتعليم الطلاب علوم الدين والشريعة يوم الأحد، وقد وافق هذا المشروع قبولاً وارتياحاً لدى المسلمين، وقد ذكر لي المسؤول محمد من كبار المحامين وقاضي سابق أن عدد المراكز خمسمائة مركز يتجمع الطلاب والمسلمون فيها يوم الأحد للدراسة والتربية الدينية.

١٢/ دار الثقافة الإسلامية المورية:

رائد هذه الدار الحاج عبدالرزاق من كبار الشخصيات في سيلان كان مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا في باكستان أيام الاستعمار، وتعنى هذه الدار بترجمة الكتب الدينية إلى اللغة السنهالية أو اللغة السمية، وقد ترجموا معاني القرآن وطبعت منه الجزء الأول بمساعدة الحكومة السابقة، ولهم جلسات في الأسبوع للبحث عما جد من قضايا، ويحضر هذه الجلسات بعض القضاة وكبار الشخصيات، وقد يدخل معهم من لا يؤمن بالإسلام أو يعتقد عقيدة الحلول والاتحاد وطرح التكاليف الشرعية، يملكون عمارة من أربعة أدوار تقدر بخمسة ملايين روبية، يعتنون بالدعاية واستقبال الشخصيات الإسلامية، وقد نسبوا هذه الدار إلى الجالية المراكشية وقالوا: دار الثقافة الإسلامية المورية.

١٣/ دائرة الأوقاف الإسلامية:

تعنى بشؤون المساجد وضبط وارداتها ومصروفاتها ووضع اليد على جميع أوقاف المساجد، كما ينتخب لكل مسجد رئيس مسؤول أمام الإدارة، والإدارة مسؤولية أمام الحكومة، وهذه الدائرة تسندها الحكومة، إلا أن موظفيها على حساب الأوقاف، وبلغ عدد مساجد سيلان ألف وخمسمائة مسجد منها تسعمائة جوامع وستمائة مساجد صغار وزوايا وتكية.

١٤/ (ليبري مسلم) مكتبة المسلمين:

تأسست هذه المكتبة عام ١٩٣٣م في موقع متوسط من العاصمة، وتفتح أبوابها للمطالعة العامة للكتب الدينية باللغات الإنجليزية والتملية السنهالية والعربية بها قرابة خمس آلاف كتاب في مختلف اللغات.

١٥/ يملك المسلمون ثلاث صحف شهرية:

من بين الصحف المحلية التي يقدر عددها بمائة وخمسين صحيفة ومجلة، وفيها ما يطبع باليوم عشر مرات وباللغات الثلاثة: الإنجليزية واسنقلو والتملي، وللمسلمين ساعة ونصف في اليوم في الإذاعة المحلية لنشر الدين عن طريق الإذاعة ويسمح لهم في الأعياد والمناسبات كالمواليد بأكثر من ذلك إذا طلبوا، أما الطباعة فيملك تاجر مسلم يدعى الحاج نظيم مطبعة، وهي تجارية إلا أنها تطبع كتب المسلمين باللغات الثلاث، الإنجليزية والسنهلي والتملي، وينوي قريباً أن يجعل مطبعة عربية لطباعة الكتب الدينية باللغة العربية، وهذا التاجر محسن شهير يعترف الناس بفضله وكرمه، حيث ينفق مئات الآلاف في سبيل الدين والمساعدة الإنسانية ما لم تكن عوناً على كفر، وهو متدين وصالح جزاه الله خيراً.

١٦/ رابطة المسلمين:

يتزعمها الدكتور خليل، وهذه الرابطة أشبه ما تكون رمزية وتقليدية إلا أن شخصية الدكتور شخصية بارزة، كان يشغل وزير الداخلية في الحكومة السابقة، وهو يعتبر زعيماً للمسلمين بأكثرية الأصوات، وهو رجل متدين وأبوه وجده من العلماء، وهو كبير السن.

١٧/ منظمة الفدائيين الفلسطينيين:

وقبل مغادرتي اتصل بي الدكتور معروف، وذكر أن لديهم منظمة لتحرير فلسطين، وقد أهدى لي كتيبات حول النشاط الذي تبذله هذه المنظمة، وبالسؤال عن الدكتور معروف ذكر لي بعضهم أنه يجمح إلى الميول الشرقي وقضية فلسطين يعتبرها المسلمون عموماً قضية إسلامية ويتحمس لها عامة الناس وخاصة بعد طرد سادة اليهود من سيلان.

المذاهب والأحزاب المناوئة للمسلمين:

السياسة المحلية:

منذ عام ١٩٧٠م، وتدخل الأحزاب اليسارية في الحكم حصل تغير في أوضاع المسلمين عامة، وفيما يتعلق بالنواحي الدينية:

١/ سفر جميع المسلمين التجار الوافدين من غير سيلان وأكثرهم من الهند، وكان لهؤلاء التجار مساهمات فعالة في كثير من المشاريع الخيرية الإنسانية، وحصل بسبب تسفيرهم نقص بالمسلمين.

٢/ كان الحج مأذوناً به لكل شخص، ثم حددت الحكومة بخمسين حاجاً على أن يتجاوز عمره خمساً وأربعين عاماً وأن لا يتجاوز تحديد النفقة بمائة دولار ما عدا الأجور في الطائرة أو الباخرة.

٣/ صادرت الحكومة المدارس النظامية التابعة للمسلمين وعددها خمس مدارس وأبقوا واحدة بحكم أنها تابعة للمسجد وجعلت التعليم مختلطاً بين الرجال والنساء.

٤/ أدخلوا في المدارس بعض الآراء الشيوعية وتراجم الروس الشيوعية.

٥/ كان المسلمون لهم ثلاث ساعات في الأسبوع لتعليم اللغة والدين في المدارس الحكومية، ثم ألغت هذه الثلاثة، وبعد المطالبة من المسلمين أعادوا إليهم ساعتين في الأسبوع لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، ويقدر عدد مدرسي هذه المادة بستمائة مدرس كلهم من خريجي المدارس العربية الإسلامية المحلية.

٦/ لا تمد الحكومة أي مساعدة مالية أو معنوية للمشاريع الإسلامية، ولكنها لا تمانع في أي مساعدة مالية من الخارج بشرط اتفاق سابق مع

الحكومة واطلاعها على جهة الصرف.

٧/ الوزراء عشرون وزيراً، منهم واحد من المسلمين وهو وزير التربية والتعليم، وأعضاء البرلمان مائة وخمسون عضواً منهم سبعة عشر من المسلمين.

٢/ المذاهب الإلحادية:

١/ الشيوعية: تعمل في سيلان ثلاثة أحزاب سياسية شيوعية تابعة لموسكو والصين ويوغسلافيا، وقد أخذ صبغتها الرسمية عام ١٩٣٦م، وفي عام ١٩٧٠م، تم لها القبض على زمام الحكم، وقد بلغت نسبة المسلمين من العمال مع الشيوعية ٩٠٪، ومن غير العمال ٣٠٪ تقريباً، وقد تأثر أكثر الطلاب من المسلمين وغيرهم بالفكرة الماركسية الشيوعية، وتقدم لهم مساعدات مالية ومعنوية من موسكو.

٢/ الاشتراكية: وفي سيلان الجبهة الاشتراكية الإسلامية يتزعمها الحاج بديع الدين وزير التربية والتعليم، وهي تشترك في الحكم، إلا أن هذه الجبهة تدس على تعاليم الإسلام من مبادئ الشيوعية، وتغير الكثير من مفاهيم الناشئة حول الاقتصادي الإسلامي.

٣/ أحزاب سياسية ووطنية أخرى: ويوجد في سيلان أحزاب متضاربة تخدم مصالح معينة وكلها ضد الإسلام، منها الحزب الاتحادي الوطني وحزب الاستقلال لسريلانكا، والحزب الهندوكي وحزب التحرير الوطني وأحزاب قومية- السنهالية والبوذية والتملية.

٣/ المذاهب العقائدية:

١/ القاديانية: بدأت نشاطها في سيلان عام ١٩٤٣م واتخذت مركزاً في كولومبو، وأصدرت جريدتها الأسبوعية، يملكون مركزاً ومسجداً ومطبعة

ومدارس أهلية، وطريقتهم في التبشير طريقة النصارى، ودعوتهم كما هو معروف أن أحمد ميرزا هو المسيح المعهود والمهدي الموعود، وأنه نبي يوحى إليه، وتراجع هذه الطائفة ومركزهم في ربوة باكستان قرب لاهور.

٢/ البوذية: وهي الدين الرسمي للحكومة، ولهم نشاط ديني وقومي ومدارس تبشيرية يهدفون إلى إعادة أهالي سيلان ممن ترك البوذية من المسلمين والمسيحيين إلى العودة إلى دينهم القديم وقوميتهم السنهلية ويدرسون في مدارسهم التبشيرية اللغات الحالية ومنها اللغة العربية.

٣/ البهائية: دخل هذا المذهب في سيلان عام ١٩٥٣م، وهو يقوم بالدعوة البهائية، وله مركز في العاصمة ونشاط ملموس.

٤/ الهندوك: نسبتهم من مجموع السكان ٣٪ ولهم كذلك نشاط في الدعوة إلى دينهم، ويستمدون نشاطهم من الهند.

٥/ الطرق الصوفية: ومذهب التصوف أمر شائع لا خلاف فيه حيث بلغت الزوايا والتكيات الخاصة بالذكر على الطرق الصوفية ٦٠٠ بجانب ٩٠٠ مسجداً، وأشهر هذه الطرق الشاذلية والنقشبندية والرفاعية و.....، قد ظهر فيهم من يقول بطرح الشريعة بعد الوصول اصطلاح صوفي.

٦/ النصارى: وقد دخل التبشير النصراني بدخول الاستعمار الهولندي والبرتغالي والإنجليزي أي قبل ٤٠٠ سنة تقريباً، وقد اجتهد النصارى في التبشير وخاصة بعد الاستقلال حيث يفد المبشرون من كل البلاد الأوروبية، ونسبة النصارى ٥٪ من مجموع السكان، وقد أخبرت قريباً أن باخرة أمريكية تحمل أربعين مليون كتاب وزعت جميعها بالمجان كلها تبشير وضد الإسلام.

معلومات عامة:

١/ تقع جزيرة سيلان في الجنوب الشرقي لقارة الهند.

٢/ مساحتها ٦٥٦١٠ ألف كيلومتر مربع.

٣/ عدد سكانها اثنا عشر مليوناً، المسلمون ٨٪، والنصارى ٥٪، والهندوك ٣٪، والباقون بوذيون، يوجد أقليات من القاديانيين والبهائيين.

٤/ تنتج سيلان الشاي الذي يحيط أكثر الجبال في منطقة كندى، والقهوة والهيل والنرجيل والمطاط والقرفة والفواكه من الموز والمنقا والمشمش والبرتقال وغيرها من أصناف الثمار، وغذاؤها الرئيسي الأرز والعدس.

٥/ تكثر فيها المصانع والأيدي العاملة كمصانع النسيج والدهنيات والشاي، ويوجد مصنع كبير للدراجات يملكه أحد المسلمين، ومصانع السيارات.

٦/ الأسعار غالية والحاجات والكمالية والأجور قد خفضت كثيراً فالعامل العادي يأخذ في ثمان ساعات يومياً مائة وخمسون روبية شهرياً إلى مائتين روبية. والمدرس في مدارس الأيتام من مائتين إلى ثلاثمائة روبية، ومدرس الجامعة سبعمائة روبية إلى ألف روبية تساوي أقل من نصف ريال سعودي.

٧/ يكثر بها بيع الجواهر على اختلاف أنواعها، ولكن الحكومة قد قللت الكثير من محلات الجواهر واحتكرت بيعها وشراءها، وخبرة الجواهر بأيدي المسلمين، وفي زمان مضى جاءت الحكومة بخبراء من اليهود فاحتج المسلمون وأضربوا عن البيع حتى أخرجوا اليهود.

٨/ قل أن تجد عاطلاً بلا عمل لا من المسلمين ولا من غيرهم، حيث يتمتعون بخبرة تجارية بحكم موقعها وإنتاجها واتصالها بالعالم الخارجي.

٩/ تحتل المرأة مكاناً في المجتمع، ومن عجائب الزمان أن المرأة هي التي

تتكلف بمؤونة الرجل والتجهيز عليه، وقد تدفع له مالاً باهظاً مقابل التزوج بها والسكن إليها.

١٠/ يهتم المسلمون بعمارة المساجد وزخرفتها وذلك نتيجة للصراع بين الأديان الأربعة، البوذية، والإسلام، والنصرانية، والهندوكية.

١١/ تبرز ظاهرة الانحلال الخلقي وشرب الخمور والعري في النساء والزحام على دور السينما وكثرة من يقلد الهيبيز من كافة الشبان.

١٢/ تغلب عليهم عموماً روح التعبد والاستعانة بالقوى الغيبية وقد ترى أحياناً من يخرج من معابد البوذية ويدخل عند قبور المسلمين للعبادة وخاصة النساء.

١٣/ قطعت الحكومة علاقتها مع اليهود وأخرجت السفارة اليهودية من كولمبو بعد الثورة الاشتراكية.

١٤/ يتاخم لجزيرة سيلان (جزر المالديف) وهي ألف جزيرة المعمور منها مائتان وسكانها خمسمائة ألف مسلم، وهي حكومة مستقلة لها سيادتها التامة غير أنه يشاع أن لها علاقة وطيدة باليهود وأن اليهود قد تمكنوا من هذه البلاد كما يقال بوجود الأسطول الأمريكي حول هذه الجزر وقد ذهب من يريد الدعوة. كما يذكر أن ظاهرة الترف والغنى بينهم وكذلك التحلل الخلقي والتشبه بالكفار في جميع أعمالهم وعاداتهم.

١٥/ يشعر المسلمون في سيلان بالعزلة التامة لأوضاع المجتمع والفجوة بينهم وبين الكفار واسعة وذلك بسبب اختلاف الدين، ومن جانب آخر فإن كثيراً من المسلمين ينتسبون إلى جاليات عربية من اليمن والمغرب والهند وملبار وجنوب الهند. وجانب ثالث هو الضغوط التي تمارسها الدولة البوذية

ضد الأقليات من المسلمين وغيرهم؛ لذلك فالمسلمون قلوبهم مشدودة إلى دول العرب، وقل أن ألتقي بشخص إلا ويتمنى أن يزور بلاد العرب، كما أن العربي لـه مكانته القدسية في قلوب المسلمين إلى درجة الغلو به والتمسح.

١٦/ يوجد سفارتان للعرب، السفارة المصرية والسفارة العراقية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقرير عن بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية في سيلان في زيارتنا الرابعة والاجتماع ببعض المشايخ

الحمد لله وحده وبعد:

فلم تقتصر زيارتنا لسريلانكا على زيارة كلية الزاهرة في كولمبو والنظر في طلب سعادة السفير السيلاني لدى المملكة مساعدة مسجد النور والمدرسة الجوهرية في بلده «ماونيلا» وإن كان ذلك هو الهدف الأول في مهمتنا.

فبعد أن وفقنا الله تعالى لزيارة كلية الزاهرة والاجتماع مع المسئولين فيها عدة مرات .. طلبنا منهم جمع أعضاء هيئة التدريس والعاملين فيها وطلبة الكلية لإلقاء محاضرتين عن الدين الإسلامي وبيان محاسنه وأهدافه، وقد تم ذلك، وبعد ذلك قمنا بزيارات لبعض الجمعيات والمراكز الإسلامية والمدارس والمساجد داخل العاصمة «كلمبو» وخارجها .. ومن ذلك:

١- مسجد النور في مدينة ماونيلا والمدرسة الجوهرية التابعة له، وقد ألقينا بعد صلاة الظهر نصيحتين في الحث على التمسك بالإسلام والحرص على نشره في تلك البلاد.

٢- مسجد الهدى في مدينة ماونيلا والمدرسة التابعة له وهي الكلية العربية للتعاليم الإسلامية، وقد ألقينا كلمة بعد صلاة العصر في وجوب التعاون بين المسلمين وتعريف الناس بالإسلام والدعوة إليه.

٣- مدرسة الزاهرة للبنات المسلمات في مدينة ماونيلا، وقد سررنا حين شاهدنا البنات تحت سن العاشرة وقد لبسن الزي الإسلامي، ثم ألقينا كلمة فيهن في الحث على طلب العلم الشرعي وبيان نظرة الإسلام إلى المرأة وأنه

أعطاها حقوقها.

٤- المدرسة البدرية للبنين في ماونيلا.

٥- الجماعة الإسلامية في كولمبو.. وقد زرناهم في مقرهم الجديد وحثثناهم على بذل جهد مضاعف لإرشاد إخوانهم المسلمين وتصحيح عقائدهم.

٦- مركز جماعة التبليغ في كولمبو .. وقد أدينا صلاة الظهر معهم واجتمعنا بهم وتناقشنا ببعض الأمور التي تهم المسلمين.

٧- المركز الإسلامي في كولمبو .. وقد زرناه واجتمعنا بالمسئولين فيه والذي يرأسه وزير الشئون الإسلامية.

٨- المركز الإسلامي للمعوقين بدنيّاً في مدينة تهاريا، وقد صلينا معهم الظهر، واطلعنا على أحوال المعوقين لديهم، وأعجبنا نشاط المسئولين عن المراكز وشجعناهم على بذل الجهد في خدمة أبناء المسلمين.

٩- الكلية الغفورية في مهارقما، وقد تجولنا في منشآت الكلية وفصولها الدراسية، وصلينا معهم الظهر، وألقينا فيهم نصيحتين في الحث على التمسك بالدين الإسلامي والالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. ويدير الجامعة: الشيخ/ محمد مخدوم مبارك.

١٠- دار الأيتام المسلمين في ماكولا، وقد صلينا معهم المغرب، واطلعنا على أحوالهم، وألقينا فيهم كلمة في وجوب التعاون بين المسلمين وأنهم كالجسد الواحد ..

١١- جمعية أنصار السنة المحمدية في مدينة .. فرجُهادني واجتمعنا بالمسئولين ودار الحديث حول أوضاع المسلمين في المنطقة .. ووجوب

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٢- جامع الجامعة في مدينة «كندى» وقد أعجبنا بناءه من ثلاثة أدوار، وحرص المسئولين فيه على مناوأة الشرك والمشركين.

هذا وقد عقدنا عدة اجتماعات مع المسئولين والمشايخ في سيلان.. ومن ذلك:

١- اجتماع مع صاحب المعالي وزير الشئون الإسلامية الشيخ: محمد حنيفة حيث بحثت معه أحوال المسلمين في الجزيرة وما تقوم به وزارته تجاههم، كما ناقشنا معه موضوع كلية الزاهرة وحاجتها للمساعدة. وقد تم الاجتماع بمكتب معاليه بالوزارة.

٢- اجتماع مع الأستاذ/ محمد منصور وزير محافظة ملي ديو ودار الحديث حول وضع الإسلام والمسلمين عندهم.

٣- اجتماع مع الدكتور/ خليل محمد قاسم رئيس جمعية رابطة المسلمين في سيلان ووزير العمل سابقاً وتباحثنا معه في أهداف الجمعية وما حققته من نتائج.

٤- اجتماع برئيس جمعية الشبان المسلمين في سيلان .. الشيخ/ ظافر قاسم، وجرى الحديث حول الجمعية ونشاطها.

٥- اجتماع مع الشيخ الحاج نظيم المؤسس والمشرف العام على الكلية النظيمية في بيرولا وشكرنا له جهوده ومساعدته للطلبة المسلمين في سيلان.

٦- الاجتماع بالدعاة إلى الله في سيلان التابعين لهذه الرئاسة والتابعين لمكتب بيت سماحة الرئيس العام وقد تم الاجتماع في مسجد فللاوتا في كلمبو- وقد تم الاجتماع أكثر من ساعتين ألقينا فيهم خطبتين في الحث على

مراقبة الله تعالى في السر والعلانية والحرص على نشر الإسلام وتعريف الناس به وتصحيح عقائدهم .. وبينا لهم ما يجب على الداعية إلى الله تجاه دعوته ووجوب الصبر على ما قد يواجهه.

بعد ذلك تناقشنا معهم في عملهم ومعرفة مشكلاتهم والعمل على تذليلها ..

ثم تناقشنا مع فضيلة المشرف العام على الدعاة في سيلان الشيخ/ محمد مخدوم مبارك حول وضع الدعوة وأحوال الدعاة في سيلان ومعرفة قدر الجهد الذي يبذلونه وذكر لنا أن بعضهم نشيط في عمله يقوم بإلقاء الخطب إضافة إلى عمله في التدريس ويقبل التوجيهات ويتعاون مع زملائه ومواظب على عمله. وبعضهم لا بأس بنشاطه ومقصر فيه نوعاً ما .. وكانت فرصة لنا الاجتماع بهم شكرنا المجدين في أعمالهم وباركنا جهودهم .. أما المقصرين فقد اجتمعنا بهم كل واحد بمفرده وحثثناهم على العطاء وبذل أكبر قدر ممكن من الجد والإخلاص وأشعرناهم بأن التقصير في العمل وعدم الإخلاص فيه ينافي مهمة الداعية إلى الله خاصة في بلادهم المليئة بالعقائد الفاسدة والمذاهب الضالة وذكّرناهم بأنهم تحملوا الأمانة فينبغي أن يكونوا عند حسن ظن المسؤولين فيهم ونحن إذ نطلع المسئولين في هذه الرئاسة على مراحل مهمتنا فإننا نخبرهم بأن الإسلام والمسلمين في جزيرة سيلان بخير والحمد لله وأن جهودهم المباركة تبشر بمستقبل مشرق للإسلام وأهله .. وفق الله الجميع لما فيه خير الإسلام وسعادة المسلمين في كل مكان ..

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه

إسماعيل بن سعد بن عتيق

عبدالرحمن بن صالح التويجري

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وممن عرفت في سيلان

الحاج نظيم

من أعيان سيرلانكا (سيلان) وهو شيخ بائعي الأحجار الكريمة والخبير الأول في فحص الجواهر، في عام ١٣٩٣هـ توجهت إلى سيلان لغرض الدعم والمساندة للمدارس الإسلامية والمنشآت الدينية وبها التقيت بالحاج نظيم حيث قد أسس جامعة أهلية أسماها بالجامعة النظيمية، وقد دعاه سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز فيما بعد لزيارة الرياض ضيفاً على رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، وأقيم له حفل كبير في برج الرياض، الحاج نظيم شخصية قيادية يجمع بين الثراء والعقل المتزن، وهو ليس بالعالِم ولكنه يحب العلماء ويتفانى في خدمة الإسلام، ينفق جل ثرواته في المشاريع الإسلامية بل يقدم مساعداته لغير المسلمين ما لم تكن في معصية، قيل إنه إذا جاءه سائل يقول له: كم أضمرت في قلبك أنني أعطيك؟ فإذا قال: أضمرت ألفاً أعطاه ألفين، ولكن شريطة أن لا يخبر أحداً.

ركبت سيارة لبعض الجمعيات الإسلامية فسألت: كم قيمتها؟ فقالوا: أهديت لنا، ولكن الذي أهداها قال: لا تخبروا أحداً، فقلت: هو الحاج نظيم، فهو الذي يوصي بذلك.

ومن سيرته وفقه الله أنه يأخذ في كل عام حقيبة مملوءة بخالص الأحجار الكريمة متوجهاً إلى لندن فيبيع تلك الأحجار على التجار ثم يعود إلى مكة ويقيم بها شهراً ويعود إلى بلده، وهو الذي يقدر قيمة الأحجار.

ومن العجيب في الأمر أنك ترى حجراً يقدّره بالمليون وآخر بمائة فلا تفرق بينهما في الشكل والحجم والوزن، ولكن لماذا؟ هذا الفرق في الثمن إنه سر

يعرفه الحاج نظيم وخبراء الأحجار الكريمة والجواهر ذات القيمة.

والحاج نظيم شخصية مشهورة، يقال إنه لا يمكن أن يخلو بيت من بيوت المسلمين في سيلان إلا وقد أحسن إليه وتصدق على أهله، فجزاه الله خيراً.

تكررت زيارتي لسيلان كما تم اللقاء بالحاج نظيم فكان في شخصه المتواضع وحبه للخير ما يوجب تسجيل اسمه ضمن البارزين في خدمة الإسلام، كان إذا ذهب إلى جامعته النظيمية يلبس لباس الطلاب ويقول: لا أريد أن أتميّز عليهم، فأنا واحد من طلاب الجامعة، وقد شيّد فندقاً ضخماً ليكون للمسلمين خاصة، يحرم فيه تناول كل ما هو محرَّم شرعاً، ولكن الدولة لا تسمح بذلك فعاد وعرض الفندق للبيع وباعه خشية فعل الحرام، يسكن الحاج نظيم في قرية تدعى (بيرولا) على الساحل الجنوبي وهو الساحل الذي جاء العرب منه ونزلوا في (بيرولا) وتكثر في هذه المدينة الأنهار التي يغوص الغائصون فيها لإخراج الجواهر، تبعد عن كولمبو العاصمة قرابة ستين كيلاً، إلا أن الحاج نظيم ينزل إلى كولمبو العاصمة لإدارة أعماله فيها.

وعن سيلان الجزيرة الصغيرة التي يسكنها اثنا عشر مليون نسمة نسبة المسلمين السدس ولكنهم بجانب هذا متحدون متعاونون لا سيما وأن أكثرهم تجار، فلديهم من المنشآت التعليمية والمساجد والمصحات ما يفوق أنشطة النصارى والبوذيين، والحمد لله على ذلك.

أقمتُ في سيلان في رحلتي الأولى لها ثلاثة أشهر متواصلة لم أر عالماً يتفوق في علمه ولكن منسوبي الدعوات الثلاث هم القائمون على كل ما يتعلق بالتعليم والفتوى، وأنشط الجماعات فيها جماعة التبليغ، ويليها الجماعة الإسلامية، ثم جماعة أنصار السنة المحمدية، ويتمذهب الجميع بالمذهب الشافعي، وأخيراً

ترأس الحاج محمد حنيفة عضو رابطة العالم الإسلامي البرلمان السيلاني وهو الشخصية السياسية البارزة في سيلان لكن الحاج نظيم برزت شخصيته في الإنفاق والإحسان وتتبع طرق الخير ولا يدخل في السياسة ولا فيما فيه خلاف بين المسلمين، فكان محباً للجميع مؤثراً البـذل والمعروف باسم الإسـلام أو الإنسانية أو الوطنية. والله أعلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٤)

جزر المالديف

الحمد لله وحده:

ففي الفترة التي أقمتها في جزر المالديف تم الاتصال ومشاهدة ما هو آتي:

أولاً: وزارة العدل ووزيرها الشيخ/ محمد رشيد خريج كلية الشريعة بالأزهر والذي كان يعمل في المملكة أحد عشر عاماً، ووزارة العدل يتبعها مائة وثلاثون قاضياً متفرقون في الجزر، والقضاة على مستوى بسيط من المعلومات لقلة الخصومات وعدم أهمية القضايا، وأقرب ما يكون أنهم قضاة محليون حسب الأعراف مما لا يتنافى مع الشرع، وقد زرت أحد المحاكم في جزيرة تبعد عن العاصمة ستة أميال في مكتب صغير ضمن مجمع دوائر حكومية وقد طلبت من القاضي الاطلاع على بعض القضايا مما هو مسجل فكان أول قضية في سجله أن ادعى رجل على آخر بأنه فتح قفص الدجاجة فهربت ويطلب إدانته في تضييع دجاجته، فسألت القاضي بما حكم؟ فقال: ببراءة الخصم؛ لأنه أراد أخذها ليراها فهربت من غير قصد الإضرار به. فهذه من قضايا المحكمة. وقد سألت قاضي هذه الجزيرة عن محافظة المسلمين على صلاة الجماعة؟ فقال محافظ الجزيرة: كيف تسأله عن صلاة الجماعة وهو لا يصلي وربما يصلي في بيته وكان القاضي يشعل سجارته الواحدة تلو الأخرى من غير احترام للضيف ولا مبالاة بما يشرب. وقد تنبهت الحكومة الحالية لهذا الضعف والتدني لمستوى القضاة فعقدت دورات في العاصمة لتفهيم القاضي مجريات الأمور الشرعية وتوجيهه إدارياً وأعدوا لذلك برنامجاً يدرس فيه أحد دعاة الرئاسة وهو الشيخ آدم نسيم ووزير العدل شاب متحرك فطن صديق حميم للرئيس مأمون بل مستشار عام في

كثير مما يتعلق بالمملكة لخبرته الطويلة ومعرفته بالأحوال.

ثانياً: المركز الإسلامي ومسجده افتتح عام ١٤٠٥هـ والذي طالما انتظر أهل المالديف إنشاء هذا المركز والمسجد الكبير منذ سنين طويلة، فكانت أمنيتهم الأولى إيجاد جامع مركزي في العاصمة لصغر مساجدهم وتناثرها في الجزيرة، فقد تحقق هذا الحلم لأهل المالديف فقامت الدول الإسلامية بالمساهمة في إنشاء هذا المركز المملكة والباكستان والإمارات والكويت والبروناي وماليزيا. تم افتتاحه بحضور مندوبين من هذه الجهات وغيرها. والمركز روعة في البناء والهندسة لـه مرافق وملاحق ومكتبة عامة وفصول دراسية وصالة كبيرة للحفلات والمناسبات. والمسجد بساحاته وملحقاته تسع لستة آلاف مصلي، ولهم من النشاطات عقد ندوات دورية من العلماء المحليين، وإصدار مجلة شهرية اسمها المنبر ونشرة أسبوعية تصدر من رئاسة الجمهورية، وتعليم محو الأمية، أما صالة الاحتفال فهي مهيئة للمناسبات الدينية والشعبية كإحياء ذكريات بعض المواطنين المناضلين أو الشعراء ومن لهم جهود وطنية، وغالباً يحضر الرئيس هذه الاحتفالات ويشارك فيها وهي مختلطة ويدير المركز أمين عام يدعى/ أحمد شاطر درس في الأزهر ولم يوفق في إكمال دراسته، وهو شيخ متقدم في السن لـه مكانة اجتماعية وله صلة وثيقة بالرئيس ولا يسمح في هذا المركز بإلقاء مواعظ أو دروس إلا عن طريق الأمانة في المركز، وقد حاول الشيعة الإيرانيون ولا يزالون يحاولون بث سمومهم من هذا المركز، وقد وافقت أمانة المركز على أن يقتصروا على تلاوة القرآن الكريم في ليالي رمضان كما يمنعون منعاً باتاً من أي نشاط إسلامي لا يتفق مع ما هم عليه بأية وسيلة كانت، فكُتب الشيعة وإن استلموها كان مصيرها إلى البحر،

حدثني من أثق به أن الكتب المدرسية الصادرة من الجامعات الإسلامية من المملكة أو المعارف مصيرها كذلك لأن المنهج العام المدرسي وغيره هو ما عليه الأزهر فقط وما سواه لا يعتد به.

ثالثاً: الرئيس/ مأمون عبدالقيوم في اليوم الثالث من زيارتي إلى المالديف أخبرني وزير العدل بمقابلة الرئيس الساعة التاسعة صباحاً حيث كنت ضيفاً لفخامته في بيت الضيافة درجة الوزراء وفي الوقت نفسه ذهبت مع وزير العدل الشيخ/ محمد رشيد وتم اللقاء بفخامة الرئيس، وإعلان هذا اللقاء في الإذاعة والتلفاز مع الصوت والصورة. والرئيس المالديفي عالم فهو خريج كلية الشريعة بالأزهر تخصص أصول فقه، مكث في مصر خمس وعشرين عاماً وهو مصري بالطبع والثقافة، جرى الحديث مع فخامته لمدة ربع ساعة، وقد ذكرني بزيارتي الأولى للمالديف عام ١٩٧٥م وكأنه يسأل عن الفارق بين واقع المالديف وماضيه، وأجبته بما يرضيه، وما شاهدته من تقدم البلاد، وظهور معالم الحضارة العصرية إلى آخر الحديث وبعد أن انصرف مصور التلفزيون قلت لـه: إن مهمة الدعاة التابعين لإدارة البحوث تصحيح ما وقع فيه الناس من أخطاء عقائدية ومظاهر بدعية، فنفى فخامته أن يكون في بلدهم ما يتنافى مع العقيدة الصحيحة والسلوك السوي، وهذا على حد مفهومه والواقع يخالف ذلك فأمام بيته المشهد الكبير لمقام يوسف بربري الذي زعموا أنه أول من أدخل الإسلام في البلد في القرن الخامس الهجري كما يقابله الجامع الرئيس قبل عمارة المركز الإسلامي تحوط به المقابر المعلمة أو المبني على بعضها هذا من جانب القبور أما التصوف والاحتفالات بالموالد ليلة النصف من شعبان فهو موجود كان على أشده في ما مضى ثم قل حسب ما أفادني به وزير العدل.

نعود إلى شخصية الرئيس فهو عالم ولكنه يرى التطور ومسابقة الزمن لفرض الحضارة الغربية ومسايرة الدول العلمانية أمر يتطلبه العصر، وقد قفزت المالديف في خلال رئاسته إحدى عشر عاماً قفزات تقدر بعشرات السنين ومنها ردم أطراف الجزيرة، وتوسعة المساحة اليابسة منها، والتعليم والعمران، وذلك بالانفتاح على العالم كله، ومحاولة الاستفادة من أي صديق أو معاون وقد لبت اليابان كثيراً من طلباته وأنشأت خمسة عشر مدرسة هدية من اليابان إلى جزر المالديف وكذلك الصين تعمر وحدات سكنية في جزيرة مالية العاصمة تستوعب كثيراً من السكان، وقام الهند بدوره بإنشاء مستشفى عام يسع مائتي سرير، وهكذا بقية الدول الصديقة للمالديف تمد يد العون ولا يعلم ما خلف هذه المساعدات ومدى أثرها على هذه الجزر المسلمة والشيخ الرئيس مأمون عضو في الرابطة ولديه معرفة بأحوال العالم يمكنه أن يتقلب في اليوم الواحد ويتكيف حسب الأجواء الدينية والسياسية والاجتماعية وغايته القصوى أن يرى المالديف في مصاف العالم المتقدم حضارياً مثال ذلك إلزامه لموظفي الدولة حتى القضاء بلبس البدلة الإفرنجية، وإلزام الطلاب في جميع المراحل بحلق لحاهم ومزاولة المرأة جميع النشاطات حتى الجندية بجانب الرجل على حد سواء.

انتهى اللقاء بفخامة الرئيس فودعته بمعية وزير العدل وأهداني في اليوم الثاني عصاه ملفوفة بأوراق قد رسم عليها علم المالديف افتقدتها في سيلان ولم أرها والحمد لله.

رابعاً: الجمعية الخيرية الإسلامية. يرأس هذه الجمعية وزير المعارف ورئيس الشرف لها رئيس الدولة والغرض من هذه الجمعية تقديم الخدمات الدينية

والاجتماعية في كافة جزر المالديف وطلب المساعدات من الدول الإسلامية والصديقة بصفة غير رسمية. ومن أهم أعمالها مشروع إنشاء فصول تعليم القرآن الكريم في المساجد وإنشاء مسجد ومقر الجمعية وعيادة طبية وإنشاء وتطوير مدارس ابتدائية في الجزر المالديفية وقد تم بالفعل إنشاء مسجد ومقر للجمعية وعيادة طبية في جزيرة مالية بدعم من الخارج وكانت سياسة لهذه الجمعية احتواء العمل الخيري وعدم تشعب الجهات الطالبة قد يكون لصالح أفراد أو جماعة لا تتمشى مع سياسة الدولة كما أن لدى هذه الجمعية حسن عرض واتصالات بكثير من المؤسسات والجمعيات الإنسانية لغرض دعم مشاريعهم وكان الشخص المكلف برفقتي مدة إقامتي بالمالديف أحد أعضاء هذه الجمعية خريج الجامع الأزهر المدعو/ عبداللطيف محمود. شاهدته أكثر من وقت يحين وقت الصلاة فلا يصلي فعاتبته على ذلك ثم أخذ يصلي معي في المسجد المجاور للضيافة وذكر أن الجمعية تقوم بأعمال إنسانية خيرية وبتوجيهات من فخامة الرئيس وتحت رعاية وزير المعارف تقدمت الجمعية وهي في حاجة إلى الدعم الدائم من الأصدقاء بصفة شخصية أو رسمية ولعل هذه الجمعية هي الجمعية الوحيدة في التنظيم الشعبي شبه الرسمي لقطع أي تنظيم آخر لا يتفق مع سياسة الدولة بدليل أنهم أنهوا مدرسة طيبة الخيرية التي قام عليها الدعاة بصفة تعاونية وكانوا يجمعون لها تبرعات من خارج الجزر، فقد أقفلتها الحكومة في أيام المأمون ثم صادرت ملكيتها، وأخيراً أعيدت الملكية وهي باسم الأخوين الداعيين يوسف علي وإسماعيل المالديفي ولكن لا يسمح لهم بممارسة النشاط أي كان نوعه مما اضطر الأخوان إلى تأجيرها مستودع ومسكن عمال وأنهوا أعمالها ولم يستطع الدعاة أن يستفيدوا من الجمعية الخيرية المعترف بها في مجال

عملهم لاختلاف الثقافة وتباين الآراء وعدم مرونة دعاة الرئاسة بالدخول في جميع المجالات الخيرية والإنسانية مما لا يتفق مع طبيعتهم ودينهم ولا سيما أنهم يرون أنفسهم علماء مرموقين بعين الإكبار والإجلال في أعين العامة ومن الصعب عليهم الانخراط في سلك الشباب وتنظيمه مما جعلهم يثيرون الغبار على هذه الجمعية لأنها جهة استغلالية تنجر باسم الأعمال الخيرية والإنسانية ومصير المساعدات والدعم لأفراد الجمعية أو محسوبي الدولة وهذا قد لا يكون صحيحًا مائة في المائة ولكن بالطبع لهم حظ واستفادة ولو بالشرفية والحظوة أمام الرئيس والموظفين والجمعية كما ذكرت أنها عامة تقدم للمواطن المالديفي وإن جعلت الواجهة في طلب المساعدات للمساجد ومدارس تحفيظ القرآن ولم يتيسر لي مقابلة وزير التربية ورئيس الجمعية لأنه كان في إجازة خارج المالديف.

خامساً: الدعاة التابعون لجهاز الرئاسة وعددهم خمسة التقيت بأربعة منهم ولم أر أبا بكر إبراهيم لأنه كان في جزيرة بعيدة ليس بينها وبين العاصمة اتصال هاتفي والأخوة الأربعة الباقون هم:

أ- يوسف علي من أقدم الدعاة في الجزيرة الذي قام على إنشاء مدرسة طيبة الخيرية وبتعاون مع زملائه كما عمل على ترحيل كثير من الشباب المالديفي إلى الباكستان للدراسة في الجامعة السلفية فيصل أباد تمهيداً لدخولهم في الجامعات في المملكة، وقبل رئاسة المأمون كان لـه نشاط شخصي حسب ما تسمح به الظروف آنذاك أما بعد رئاسة المأمون فقد رشح الشيخ علي ليكون بجانب وزير العدل محضر بحوث وأخيراً صدر أمر بتعيينه مديراً عاماً لإدارة البحوث بوزارة العدل ولا مجال له في ممارسة عمله الدعوي إلا بصفة رسمية عن طريق الإذاعة أو النشرة الأسبوعية ويتقاضى مرتباً كأي موظف بموجب

مؤهلاته بصرف النظر عما يتقاضاه من المملكة مع علم الدولة بذلك.

ب- آدم نسيم ممن تخرج من جامعة عليكرة بالهند ثم الجامعة الإسلامية في المملكة وهو من قدماء الدعاة إلا أنه كان يعمل في سيلان وهو رجل متزن ذو لياقة وتنظيم وتحقيق وكان قد احتواه الرئيس في مكتبه الخاص إلا أن الشيخ آدم لا يتفق مع الرئيس في كثير من أفكاره واتجاهاته العلمانية ولهذا انتقل برغبة منه وموافقة من الرئيس مدرس في معهد الدراسات الإسلامية في دورات القضاء وأئمة المساجد.

ج- عثمان بن عبدالله عمري خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة لا أعرف له نشاط سابق وذكر أنه يعمل في طيبة ثم تحول بعد إنهاء أعمال طيبة إلى العمل في الحكومة في إدارة الزكاة بمكافأة أقل من مستوى زملائه، وحددها بما يقارب ثلاث مائة ريال، ويظهر لي من شخصيته عدم القدرة والموهبة مما جعل مرتبه أقل، وهو رجل صالح مستقيم بوده أن يعمل ولكن لا مجال للعمل هؤلاء الثلاثة يوسف وآدم وعثمان لا يدخلون في شكوى وزير العدل الذي قال إن من الدعاة من لا يتصف بالحكمة ولا يعرف أسلوب العمل وقد احتوت الدولة هؤلاء الثلاثة وانتظموا في سلك العمل الرسمي بكامل الدوام والالتزام، وقد يكون لهؤلاء نشاط فردي كالاتصالات وتلقين دروس خاصة بصفة غير علنية ونشاط إعلامي رسمي في مواضع عامة.

د/ محمد إبراهيم الداعية وكان يعمل في طيبة بجانب عمله في القضاء لمدة عشر سنوات. والشيخ محمد إبراهيم له شخصية متميزة بقوة وصلابة اتجاهه العقيدي وفي تكوينه الجسمي مما جعله يصرح بكثير مما يتنافى مع وضع البلاد وهو الموصوف في كتابة وزير العدل والمعني بالشكاية وبعدم أخذه بالحكمة

ومعرفة أسلوب العمل هو وأخوه أبو بكر وقد نفي في إحدى الجزر البعيدة وتكاثر عليه الطلاب فأعادوه إلى العاصمة وفتح بيته للتدريس وذكر أن طلابه يزيدون على ستين طالباً وطلابه يحفونه بالاحترام والتبجيل ويمشون خلفه في الشارع عند ذهابه إلى المسجد وإيابه وقد أخطرت الدولة بعدم تكرر هذا المظهر مما هو يعد منافياً لأسلوب البلد مما جعل الشيخ يصلي في بيته ويلزم منزله غالب الأوقات إلا أنه يقيم الدروس في البيت ثم جاءه الإنذار الآخر بترك التدريس إلا بصفة فردية أو ثنائية مما لا يلفت النظر غير أنه لم يمتثل حيث يطرق الطلاب بابه ولا يقدر على صرفهم ثم أدخل السجن فترة تأديبية ثم عرض عليه العمل في الحكومة مع ما يتناسب مع مؤهلة ولهذا رفض وسألته عن ذلك فقال نعم ولابد أن ألبس البنطلون إن كان في مجال القضاء أو أدرس في تعليم مختلط وهذا لا أرضاه خرج من السجن وبقي في بيته مكفوف اليد متحير بما يقضي وقته ولديه عائلتان وأربعة عشر طفل وهو فيما يظهر لا يستطيع أن يتمشى مع واقع السياسة للرئيس الحالي سيما أنه يفتي بما قد يتنافى مع ما عليه الفتوى الرسمية مما جعل العلماء الرسميين يعتبرون فتواه مناوئة للمذهب وخروجاً عليهم، وهذا يوتر العلاقة بينه وبين علماء الدولة في مسائل عقدية وفقهية.

هـ- أبو بكر إبراهيم أخو محمد إبراهيم شعر بالخطر من جراء تعامل الدولة مع أخيه فسافر إلى جزيرة لعلها وطنه الأصلي ليحجز نفسه عن مشاهدة ما يدور في جزيرة مالية العاصمة مما لا يقدر على تغييره ولم أر المذكور غير أن الأخوين ذكروا أنه مكفوف اليد عن العمل مثله مثل بقية الدعاة. هذا ملخص عن أحوال الدعاة جملة والأمر يتطلب دراسة وضعهم على ضوء ما ذكر ممن هم يعملون في

الدولة وممن كفت أيديهم عن العمل نهائياً لضيق مجالات العمل وتبني الدولة جميع الأنشطة عن طريق وسائلها الخاصة. أما مرتباتهم الوظيفية فتقدر بستمائة ريال شهرياً وهو ما يصرف لخريج الجامعات لديهم وكما ذكر بعض الإخوة حملت الشهادة الجامعية وترغب توظيفهم متى رغبوا ذلك للمشاركة في بناء الوطن وتقدمه أما إذا كان لدى المتخرج مانع أو انتماء إلى جهة أخرى فالدولة لا تكلف أحداً ولكنها تكف يده عن جميع الأعمال والأنشطة وتوجه إليه الاتهامات ونبزه بالألقاب وإن لم يكن ذلك صحيحاً.

سادساً: السياحة في جزر المالديف كانت موارد الدولة الرئيسية صيد السمك وتجفيفه وتصديره ثم بعد رئاسة المأمون رأى أن السياحة مورد هام من موارد الاقتصاد للبلد وكانت السياحة قبله تجري على نطاق ضيق في جزر محدودة وبرسوم قليلة ثم بعد تولي الرئيس مأمون رأى أن من الضروري توسعة مجال السياحة للراغبين فيها وفق لوائح تنظيمية تكفل مورداً اقتصادي مع الاحتفاظ بالقيم والأعراف فبدأت شركات السياحة تنشر دعايتها أن السياحة في هذه الجزر حتى بلغ عدد الجزر السياحية سبعًا وخمسين جزيرة ليس فيها سكان مواطنون، ويحظر على المواطن المالديفي البقاء في هذه الجزر أو مشاهدة ما عليه السياح إلا بإذن خاص أو ممن يعمل فيها، وهم قليل، وقد زرت جزيرة واحدة مما يلي العاصمة لبعض ساعات، ولعل هذه الجزيرة هي من الجزر المهيأة لضيوف الدولة فقد كانت مشتملة على قاعة احتفال كبيرة ومسجد وصالة استقبال ضخمة لعلها كانت الجزيرة النموذجية لاستراحة الضيوف وتناول وجبة فيها. أما الجزر السياحية التي يؤمها السياح فهي متناثرة في البحر بعيدة يمارس فيها السياح جميع هواياتهم ورغباتهم، ومع أن الدولة تمنع العري

بموجب لافتات في مدخل كل جزيرة إلا أنها لا تشدد في الجزاء على المخالفة، وقد كثر السياح وخاصة في فصل الشتاء في أوربا يهبط كل يوم في المطار عشر إلى خمس عشرة طائرة، وقد ذكر وزير العدل أن تعداد العام الماضي مائة وثلاثون ألفاً رغم وجود محاولة انقلاب فاشلة واضطراب الأمن لفترة وجيزة والدولة لا تزال تعرض على الشركات والأفراد تأجير الجزر المهجورة لغرض أمني واقتصادي.

أما مدى تغير هؤلاء السياح على أحوال البلاد فهي وإلى حد الآن لا تبرز ظاهرة التأثير ولكنها في المستقبل وعلى المدى البعيد ستتحول هذه الجزر وأهلها إلى استقطاب الراغبين في الملذات المتطلعين لهواء نقي والرمال الفضية والطبيعة الهادئة، وأكثر العاملين في الوقت الحاضر من خارج المالديف ممن درسوا طريقة الخدمة في الفنادق من السيلانيين والتايلنديين والهند مما لم يتحقق لدى شباب وشابات المالديف.

ويأتي من العاصمة ماليه قليل من السياح لحاجات شخصية يمنعون من الخروج بعد الساعة السادسة مساءً خارج العاصمة وتأثيرهم قليل غير أن الشركات اليابانية والهندية والصينية تتكاثر في العاصمة ويقدر عددهم بستة آلاف بجانب المواطنين في الجزيرة خمسون ألفاً ويشاركون المواطنين في ألعاب الرياضة ودور السينما وأماكن الترفيه، ويجهرون بشرب الخمر، واللباس غير ساتر، ولهم حريتهم كاملة في جميع الأحوال.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

١- الموقع :

تقع عاصمة جزر مالديف (ماليه) في الجنوب الغربي لجزيرة سيلان شمال خط الاستواء على بعد أربعمائة ميل تقريباً وتمتد بقية الجزر من الشمال إلى الجنوب وأبعدها ثلاثمائة ميل من العاصمة وأكبر جزيرة خمسة أميال، أما العاصمة فمساحتها ميل واحد مربع ويقدر مجموع الجزر بمساحة قدرها مائة وخمسة عشر ميلاً مربعاً وعدد الجزر ألفا (٢٠٠٠) جزيرة المعمور منها مائة وخمسة وتسعون جزيرة.

٢- السكان:

بلغ عدد سكان العاصمة ثمانية عشر ألفاً من مجموع السكان مائة وخمسة عشر ألف نسمة، وكلهم مسلمون، ما عُرف أن أحداً تنصر أو اعتنق ديناً غير دين الإسلام منذ ثمانية قرون أي بعد دخول الإسلام إلى هذه الجزر كما أنه لا يوجد أي مظاهر للديانات الأخرى في عموم الجزر والحمد لله.

٣- نبذة في التاريخ :

لا يعرف لهذه الجزر تاريخ أصلاً قبل القرن السادس الهجري إلا أن ديانتهم البوذية والهندوكية وبتاريخ ألف ومائة وثلاثة وخمسون ميلادي. قدم أبو البركات يوسف البربري من بلاد المغرب العربي وعرض الإسلام على السلطان مها كنجا فأسلم ويحكى أن سبب إسلام السلطان هو أنهم يقدمون كل شهر عروساً جميلة للعفريت فيضعونها في مكان مخصوص ويصبحون وهي جثة هامدة فطلب أبو البركات أن يكون مكان العروسة ليقوم بطرد العفريت وإنقاذهم من شره فظل يقرأ القرآن حتى إذا جاء العفريت لم يجد له عليه سبيلا فلما أصبحوا ذهبوا ليأخذوا الجثة وجدوا الشيخ يقرأ القرآن سليما فذهبوا به

إلى السلطان وفي ساعتها أسلم السلطان والله أعلم بالصواب. وهذه القصة متواترة لدى العامة والخاصة عند أهالي مالديف كما ذكرها ابن بطوطة في رحلته إلى محلديب. وفور إسلام السلطان تسمى بمحمد بن عبد الله ودعي الناس إلى الإسلام فأسلم أهل الجزر كلهم برغبة واختيار وقناعة وقد حكم هذا السلطان خمسة وعشرين عاماً اثنا عشر عاماً قبل الإسلام وثلاثة عشر عاماً بعد الإسلام وكان من أعمال أبي البركات أن أسس الجامع الكبير ولا يزال الجامع على تصميمه القديم مع إدخال تحسينات عليه وقبر أبو البركات بجوار المسجد يفصل بينه وبين المسجد الجامع شارع قد بني عليه وسور بالحيطان المرخمة بالرخام الأبيض وهو يحتل مكانة في نفوس المسلمين إلا أنه ولله الحمد لا يوجد مظاهر شرك أو غلو فيه وظل الحكم للإسلام والمسلمين طيلة القرون حتى عام ١٨٨٧م حيث احتل الإنجليز مالديف وفرض عليهم الحماية وفي عام ١٩٣٢م منح السلطان شمس الدين اسكندر دستورا حرا وفي عام ١٩٥٣م قامت ثورة ضد الانجليز قادها المرحوم محمد أمين ديدي حيث كان أول رئيس للجمهورية إلا أنها لم تطل فعادت إلى السلطنة واعتلى العرش محمد فريد ديدي وفي عام ١٩٦٥م عادت إلى جمهورية بزعامة الرئيس إبراهيم ناصر وانتهى دور الحماية أو الوصاية ويعتبر إبراهيم ناصر الزعيم الوطني المناضل ضد الاستعمار وأعوانه.

٤- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

يعتمد سكان الجزر على صيد الأسماك وتجفيفه وتصديره بكميات كبيرة وهو المورد الوحيد للشعب المالديفي. أما الحكومة فتمتلك قرابة أربعين باخرة تجوب البحار كما تملك باخرتين صغيرتين للنقل الداخلي. أسواقهم

حرة لا ضرائب على المستورد سوى أنه لا يسمح بالتوريد إلا من سنغافورا وما عداها فبإذن خاص.

وعلى العموم فالوضع الاقتصادي حسن نسبياً إلا أنهم في السنوات الأخيرة يشتكون قلة التصدير.

ومن النواحي الاجتماعية : فلا تكاد تلمس فرقا بين ما هم عليه من العادات والتقاليد وما عليه عامة المسلمين في العالم العربي والإسلامي. ومما هو ملاحظ في العموم رقة الطبع ولين الجانب والابتسامة البريئة ونزاهة العرض والالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية وقد حدثني مسئول أنه لا يوجد في مالديف جريمة قتل ولا سرقات ولا اعتداء واضح العداوة. وقد لمست ذلك في المساجد حين يضع المصلي نعليه ومظلته ونظارتيه وما يحمله معه في فناء المسجد خلف المصلين وبعد الصلاة يعود فيأخذه من غير أن يتعرض له أحد ومما هو شائع أنه إذا أذن المؤذن وقف الناس كلهم ليردوا على المؤذن فإذا انتهى الأذان استأنفوا أعمالهم حتى قائد السيارة وصاحب الدراجة يوقف السير وإذا رؤوا رجلاً يمشي والمؤذن يؤذن عرفوا أنه ليس من أهل البلد.

والمرأة تحتل مكانة في المجتمع حيث تشاطر الرجال الأعمال الحكومية، ويختص الرجال بصيد الأسماك وبالجندية والأعمال الشاقة.

وكان لباس المرأة القديم ثوباً ضافياً طويلاً يستر جميع البدن عدا الرأس والرقبة أما ما دون العشرين من النساء فيلبسن البنطلون الطويل مع السترة القصيرة، أما الصغار من العاشرة فأقل فقد دب فيهم داء الأمم كشف الساقين والفخذين، وهو اللباس الرسمي للمدارس.

٥- الحالة الدينية:

يمتاز مسلمو مالديف بأنه لا يوجد بينهم اختلاف في المذاهب الفقهية ولا طرق صوفية ولا بدع كما هي في سيلان والهند . العلماء لهم الصدارة إذ يحتلون مراكز في الدولة وأعمالاً تشغل فراغهم وتسد حاجتهم المعيشية إلا أنه يفشو الجهل في كثير من الطبقة الكادحة والذين يظلون في غالب أوقاتهم في البحر لصيد الأسماك وهم على المذهب الشافعي وذلك من عهد العالِم الجليل محمد جمال الدين الذي هاجر من مالديف وقصد اليمن وبقي في اليمن ثلاثين عاماً وعاد وقد تضلع بالفقه الشافعي فقام بالتدريس ونصب تلاميذه في القضاء وذلك في عهد السلطان الغازي محمد نكروفا قبل أيام الإنجليز بسنوات. وكانوا من قبل على المذهب المالكي مذهب أبي البركات.

تكثر المساجد في العاصمة ففيها خمسة وأربعون مسجداً إلا أن مساجدهم صغيرة للغاية فيها ما لا يتسع لأكثر من أربعة مصلين والإمام الخامس وتقام الجمعة في العاصمة في (ماليه) في ثلاثة مساجد، ولا تزال فكرة جامع كبير تضم شتات المسلمين في العاصمة فكرة تراود أذهان المسئولين .

وبقية الجزر في كل جزيرة مسجد أو أكثر، ويتقاضى الأئمة مرتبات من الدولة في حدود مائة وأربعين روبية أي حوالي خمسين ريالاً سعودياً تقريباً.

تبرز في الشباب المراهق ظاهرة التحلل الخلقي وعدم الالتزام بالتكاليف الشرعية وخاصة الصلاة رغم بعد مالديف من كل التيارات الفكرية والإلحادية إلا أن الحضارة الغربية آخذة بلباب الشباب.

يتولى إعداد خطب الجمعة لجنة من العلماء، ويشرف عليها الرئيس مباشرة ثم توزع على جميع المساجد، كما أنه لا يسمح بالوعظ العام في المساجد. ولا

بالتدريس فيها وعللوا ذلك بالمحافظة على ما هم عليه، وعدم الرغبة في فتح نقاش أو حوار أو فتح أبواب الخلاف للعامة، والله أعلم بما قصدوا.

٦- التعليم :

التعليم على نوعين: أهلي ورسمي ففي جزيرة (مالية) العاصمة عشرون مدرسة أهلية من بينها مدرسة واحدة بها ألف وخمسمائة طالب بينما لا يوجد سوى مدرسة واحدة للحكومة بها سبعمائة طالب ومدرسة مثلها للبنات بها سبعمائة طالبة ودار للحضانة.

والتعليم على المنهج الإنجليزي فاللغة الإنجليزية لها الصدارة ثم المحلية ولا مكانة للعربية سوى تعليم الخط العربي من أجل قراءة القرآن.

وقد قام ثلاثة من خريجي الجامعة الإسلامية وأسسوا مدرسة أسموها مدرسة طيبة تضم مائة وخمسين طالباً والمدرسة عربية دينية على طرفي نقيض مع المدارس الحكومية والأهلية الأخرى وفي بقية الجزر مدارس صغيرة أشبه بالكتاتيب لتعليم القرآن الكريم والخط العربي ومبادئ الكتابة المحلية كما يتم إعدادهم لدخول المدرسة الحكومية وكان التعليم وزارة ثم تحول إلى إدارة وآخر مرحلة هي المرحلة التوجيهية.

ومن حيث المناهج فالذي يظهر أنه لا يوجد اتجاه عقائدي ولا فكري يناهض الإسلام إلا أنه لا يهتم بالنواحي الدينية، وقد لمست أن أكثر المدرسين في المدرسة الحكومية من غير المسلمين من البوذيين والنصارى والهندوك، وعللوا ذلك بعدم وجود المعلم المسلم للعلوم العصرية وليس هذا لاختيار مقصود ولا يهدف إلى شيء ضد الإسلام.

٧- شخصيات لامعة من مالديف في القديم والحديث:

١- مهاكترا أو محمد بن عبدالله أول سلطان أقام الدولة الإسلامية في القرن السابع الهجري.

٢- إبراهيم الزيداني أول من تولى القضاء في عهد السلطان محمد بن عبدالله.

٣- الشيخ حسن تاج الدين مؤرخ كبير وعالِم شهير في مالديف.

٤- محمد جمال/ هاجر لليمن وتعلم هناك ثلاثين عاماً وعاد إلى مالديف وحوّل البلاد من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي.

٥- السلطان الغازي/ محمد نكرونا قام بحملة ضد البرتغال وأخرجهم من البلاد وحكم غير أنه لم يدم له حكم.

٦- حسن صلاح الدين من العلماء المتفوقين له ما يربو على مائة مؤلف.

٧- وابنه الشيخ إبراهيم شهاب/ نائب الرئيس الحالي من العلماء البارزين، تخرج من الأزهر وله شعبية ومكانة لدى الناس.

٨- فتحي موسى وزير العدل الحالي عالِم أزهري.

٩- فتح الله جميل/ وزير الخارجية الحالي تخرج من الأزهر ومن كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

١٠- الشيخ محمد جميل من العلماء المعاصرين، تخرج من الأزهر يقوم بالتأليف والمراجعة وهو الآن يعد تفسير معاني القرآن الكريم باللغة المحلية وكتاباً عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

١١- زاهر حسن/ مدير التعليم وهو أيضاً عالِم أزهري شاب له غيرة على اللغة العربية والتعليم الديني. والله الموفق.

وممن عرفت في جزر المالديف
محمد إبراهيم المالديفي

وفي جزر مالديف الواقعة جنوب الهند، والتي تقدر بألفي جزيرة المسكون منها قرابة المائتين، وعاصمتها مالَيه – بفتح اللام – التقيت بوزير العدل الشيخ محمد إبراهيم الأزهري من العلماء والبارزين في الحكومة وهو حميم وصديق الرئيس مأمون عبدالقيوم، كانت زيارتي الأولى لمالديف عام ١٣٩٥هـ، أما الثانية فكانت عام ١٤٠٧هـ، ورأيت البون الشاسع والاختلاف بين الزيارتين، فقد كان الرئيس الأسبق المدعو ناصر قد أغلق على نفسه، وألجم الخطباء والعلماء حتى كادت جزيرة المالديف أن تنسى الكثير من تعاليم دينها وهم مسلمون مائة في المائة، ولكن الرئيس مأمون الذي فتح البلاد وسعى في تطويرها حتى كان هو أحد أعضاء رابطة العالم الإسلامي، لم يكن هذا من جهد مأمون فقط ولكن لوزير عدله وحميمه وزميله في الدراسة الشيخ محمد إبراهيم الباع الأطول في انضواء مالديف تحت راية مؤتمر العالم الإسلامي وارتباط الرئيس برابطة العالم الإسلامي، ومحمد إبراهيم المالديفي برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وظلت الصلة أو الترابط الديني بين المملكة وجزر المالديف قوية ثابتة ومتطورة، ورغم أن وزير العدل ثقافته مصرية بحكم الدراسة والتخرج، إلا أنه قد انتسب إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وانضم إليها كموظف إداري في شؤون الطلاب فكان خير مثال للطلبة المغتربين في الرياض المالديفيين وغيرهم، فقد تكون لديه خبرة ومعلومات عن العالم الإسلامي لصلته بجامعة الإمام محمد بن سعود وبرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، وفي طبع الرجل ما يعينه على الاستيعاب والفهم والإدراك فكان أهلاً لأن يكون رجل عدل ووزير دولة.

جالست الأخ محمد إبراهيم في بيته ومكتبه وجرى الحديث مطولاً في مستقبل الدعوة والدعاة في مالديف، فكان الرجل على حذر مما يستجد في بلده، وقال بكل وضوح: نحن هنا على مسلك الإمام الشافعي ورغم قربنا من الهند ومدارسه الكبيرة، فإننا نحاول أن تبقى جزرنا على هويتها المذهبية، وبقائها كما كانت، أما التوجه العقدي فقال: نحن نحمد الله ليس في بلادنا مقابر تُقدَّس ولا أوثان تُعبد، ومن جهة التعبد السلوكي أو ما يسمى بالتصوف الإسلامي فلا صوفية ولا طرق فنحن على ما عليه السلف في كل شيء إن شاء الله.

فأجبته بالموافقة على ما ذكر وبقي لنا موضوع آخر، وهو ما قد يخدش سياستكم الداخلية والخارجية وهي عَلْمنة الحكم أو التسامح للأجنبي الكافر بغشيان البلد والتأثير عليها. فقال ما معناه: نحن فقراء والفقراء تبع الأغنياء، ونحن نوازن بين المصلحة في المحافظة على قيمنا والاستفادة ممن هو أقوى منا مادياً أو اقتصادياً. وقال لي: لعلك سمعت بكثرة السيّاح من الأوربيين ممن يعشقون الهدوء والرمال الفضية في جزرنا، وهؤلاء لا يأتون العاصمة، ولا يختلطون بالمواطن وإنما يبقون في الجزر المتناثرة البعيدة، وذلك يفيدنا اقتصادياً ففي كل يوم تصل عشرات الطائرات، وقد قامت شركات أجنبية بتهيئة الجو لهم في تلك الجزر، وهي آمنة مستقرة هادئة وادعة، وبلا شك أنهم يمارسون بكل حرية أخلاقهم السافلة، وليس معنى هذا أننا أصبحنا أنصاراً للمبادئ العلمانية اللادينية، ولكن أردنا من ذلك تكوين دولتنا بالدعم الاقتصادي ولا شأن لنا بما يتعلق بسلوك أولئك الكفار.

أقمت في مالديف في زيارة أخيرة عشرة أيام والتقيت بالرئيس مأمون لقاء مجاملة وتعارف وتم إنهاء المهمة خلالها، وودعنا الشيخ إبراهيم توديعاً لم أره من بعد، وفق الله الجميع لكل خير.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٥)

بنجلاديش

في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٦هـ كان وصولي إلى دكا عاصمة بنجلاديش وكان أمامي مشكلة الترجمة بلسان البنغال ولكن المسلم العربي ليس بغريب عن هذه الأوطان فلم أمكث سوى نصف يوم واحد حتى تعالم العلماء وطلاب المدارس العربية والهيئات الإسلامية بأن شخصاً عربياً من السعودية قدم فكانت الفرحة تغمرهم والسرور يملأ أفئدتهم، وفي اليوم الثاني من وصولي التف حولي عدد من أساتذة اللغة العربية وبعض أصحاب الجمعيات الدينية والهيئات السياسية فزالت المشكلة والحمد لله.

أعددت برنامجًا لزيارة المدارس الأهلية والحكومية والجمعيات وبعض الشخصيات في مدينة دكا ومدينة شاد قام ميناء بنجلاديش وأكبر مدنها التي تبعد عن العاصمة مائة وأربعين ميلاً فكان السعد طالعنا والتوفيق حليفنا والحمد لله، وانتهت زيارتي لبنجلاديش في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وفيما يلي التقرير والحديث عن بنجلاديش.

نحيت فيه نحو الدعوة والإرشاد وما يتعلق بذلك وما جاء خلافه فهو تبع لا مقصود والله نسأل التوفيق لخدمة الدين.

بنجلاديش اسم للقبيلة والبلد، ومعناها بلد البنغال والبنغال قومية تتكلم بلسان اشتهر في سواحل الهند الشرقية يزيدون على مائتي مليون نسمة ولها آدابها وتاريخها الطويل الضارب في أطناب الزمان، وتدين هذه القبيلة بأغلبية ساحقة بالديانتين البوذية والهندوكية حتى تسرب الإسلام إليهم عن طريق

التجار العرب من اليمن والخليج. وبلاد السند ولا يعرف بالتحديد متى دخل الإسلام إليهم ولكنه كان يسري في الناس فرادى وبشكل غير واضح حتى القرن الثالث عشر الميلادي حين دخل المسلمون الأتراك دخول الفاتحين بقيادة الباسل التركي إخبار الدين بن محمد بن مختار الدين وطرد ملكها الأسبق لكهوتن وآخر ملوك الهندوكيين، وظل الحكم الإسلامي باسم الخلافة الإسلامية، وفي عهد السلطان غياث الدين سنة ١٢١٣م إلى ١٣٦٧م ازدهرت العلوم الإسلامية وانتشر الإسلام حتى عم البلاد ولم يبق من آثار البرهمية والديانات غير الإسلامية سوى الرسوم والآثار. وقد ازداد عدد العلماء المتفوقين في عهد هذا السلطان منهم جلال الدين التبريزي وشاه جلال وغيرهما كثير وظل الحكم للأتراك حوالي أربعمائة سنة ينعم الناس بحكم الإسلام وبالخلافة الإسلامية على ما فيها من عيب ونقص حتى تسلط الإنجليز على اقتسام تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية) فكان السند لـه والهند لـه والبنغال بينهما وذلك في عام ١٧٤٥م تقريباً، ومن ذلك التاريخ والسند بما فيها البنغال والباكستان تحت الحماية الإنجليزية حتى عام ١٩٤٦م ولكنه أشرف على قسمة تركة الدولة العثمانية فلقد أعطى الإنجليز شبه القارة الهندية للبوذيين واقتطع منها بلاد المسلمين حيث جعلها قسمين شرقية وغربية والهند يفصل بينهما سماها الباكستان الشرقية والغربية ومنها البنغال والسند وبلودستان والبشاور وجزء من كشمير، وتحقق بهذا التقسيم حلم المسلمين بإيجاد دولة إسلامية منفصلة عن إدارة الكفار الهنود وحتى اليوم السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٧١م أعلنت بنجلاديش الباكستان الشرقية انفصالها عن أختها الباكستان الغربية لتكون وطناً خالصاً وحكومة مستقلة للبنغاليين،

وهاهي بنجلاديش عاصمتها دكا ولكن هذا الانفصال كان ضحيته مئات الألوف من الناس من كلا الطرفين ودارت الحرب بينهما فكان البنغاليون أو بالإصح الشيخ مجيب الرحمن وحزبه القومي (عوامي) قد استعان بالهنود ومن ورائهم اليهود، ويطول الحديث عن المواقع المؤلمة والنتائج الوخيمة من كلا الطرفين الشرقي والغربي، ولكنه تحقق حلم الشيخ مجيب الرحمن وحزبه بميلاد جمهورية البنغال الشعبية حيث أصبح رئيساً عليها وكان لـه وطنية قومية ومحبة في نفوس الناس بحكم الدعاية والانتصار ولكنها تقلصت عبقريته وأصبح الشيخ مجيب الرحمن أشبه بالرجل المأسور في قصره حيث كان يدير الدولة قادة عسكريون للهنود وفساق حزب عوامي الخارجون عن إرادته تسلطوا على المسلمين قتلاً ونهباً وتشريداً وأمموا المراكز الإسلامية وسدوا أبواب النشاطات الدينية حتى مجالس الوعظ العام وأصبحت ظاهرة الإلحاد والفساد في البلاد بارزة حيث أعلن كثير من المثقفين بالثقافة العصرية ارتدادهم عن الإسلام زيادة على هذا التبشير النصراني الذي يحتضن أبناء المسلمين وبناتهم في مدارس ومعاقل تبشيرية فكان الوضع في غاية من الألم والحزن لدى أرباب القلوب الحية والعقول النيرة وهرع المسلمون إلى ربهم حتى بلغني أنهم أرسلوا جماعة خاصة للدعاء في الحرمين الشريفين فكان النصر حليفهم والتوفيق رائدهم حيث قتل الشيخ مجيب الرحمن في اليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩٧٥م شر قتلة على أيدي رجال من الجيش فتناوب الحكم قادة عسكريون مسلمون اسماً وحقيقة وسلموا الحكومة لرئيس القضاة الأسبق أبو السادات سيام وأصبح الحكم عسكرياً في ظل القانون في انتخاب البرلمان ورئيس الجمهورية ولكنه من المؤسف أن هذا الحكم الجديد وفي اتجاه قادته

الديني لا تستطيع أن تصنفه أهو شرقي صيني أم غربي أمريكي أم يجمع بين الضدين إلا أن السياسة الداخلية واضحة جد الوضوح في الإخلاص للوطن والدين الإسلامي وعدائها للهند والروس الذي جعل الهند سمساراً وواسطة لنفوذه في هذه المنطقة حيث زاد نشاط الأحزاب الشيوعية في البنغال والحزب الشيوعي الصيني لـه تأثيره على الدولة ورجال الحكم، أما الكتل الإسلامية فليس لها أي تأثير في السياسة الخارجية حيث كان الحكم عسكرياً يمارس كافة النشاطات بمشورة المستشارين ومنها تحديد السياسة الخارجية والمناخ للإسلام والدعوة الإسلامية في بنجلاديش في غاية الصفا. والاستعداد سواء كان ذلك على مستوى الحكومة أو الشعب أو رجالات السياسة. وبعد هذه الديباجة الطويلة أستعرض مفردات التقرير فهي كالآتي:

١- الهيئات الإسلامية والأحزاب المناوئة لها.

٢- التعليم عموماً والمدارس العربية الدينية خصوصاً.

٣- التبشير النصراني.

٤- بعض الظواهر الاجتماعية في البنغال.

٥- بنجلاديش في سطور.

٦- المقترحات.

٧- الختام وشعور المسلمين نحو المملكة العربية السعودية وقادتها.

الهيئات الإسلامية والأحزاب المناوئة لها:

تبرز في عالم السياسة والدين هيئات ثلاث جمعية العلماء الجماعة الإسلامية مسلم ليك «رابطة المسلمين» أحكمها نظاماً وأشملها نفعاً الجماعة الإسلامية، وأكثرها شيوعاً وأتباعاً مسلم ليك وأثقلها وزناً جمعية العلماء. وهذه وإن كانت

محظورة في عهد مجيب الرحمن إلا أنها تمارس نشاطها وتحتفظ بشخصيتها حتى يحين الأوان لاستئناف النشاط رسمياً وباعتراف الدولة وهناك هيئات دينية وجمعيات ومراكز ثقافية يصعب حصرها ويتعذر زيارتها والاتصال بأصحابها ولكنني لا أغفل جمعاً إسلامياً شاهدته لا يكاد يخطر بالبال ويستحيل وجوده في غير المسلمين: في اليوم الخامس والسادس والسابع بعد العشرين من شهر ربيع الأول على مسافة أربعة عشر ميلاً من دكا ضاحية تدعى تونجى استظل تحت سقف واحد طوله كيلوين في كيلو سبعمائة ألف من المسلمين وقالوا إنهم أكثر من المليون ولمدة ثلاثة أيام يظلون في هذا الاجتماع لا تعجب فالسقف من الخياش وقابل لزلزعة العواصف وغير مانع من تساقط الأمطار ولكنه كان منظراً حسناً وترتيب جيداً هؤلاء هم جماعة التبليغ. سألت الأمير متى حددتم موعد هذا الاجتماع؟ فقال: من ستة أشهر فقد صليت معهم صلاة المغرب فكان إمام الصلاة لهذا الحشد الكبير إمام واحد يقتدون به لا تسمع صوتاً ولا ضجيجاً ولا حتى قول آمين لأنهم أحناف وإن تعجب فعجب أنهم لا يستعملون مكبرات الصوت في الصلاة على رأي عندهم ولكنه يستعملونه في الخطابة والمواعظ فقط تجولت في هذا المعسكر فلم أر جندياً ولا سيارات إسعاف ولا أي استعداد صحفي أو إعلامي، ورأيت مشرق هذا المخيم الكبير مخيمات أخرى محجوزة حيث جعلوا هذه المخيمات على خمسة أقسام: قسم عام وهو آنف الذكر ومخيم خاص للوافدين من الخارج، والثالث لخواص الناس والرابع لمن أبدى استعداده للخروج في الدعوة والخامس لإدارة هذا المخيم وتجهيز الخارجين وتنظيم أحوالهم ولا أريد الإطالة حول هذه الجماعة فهي مشهورة ومعروفة والعجب كل العجب أن هؤلاء اجتمعوا من أكناف المعمورة حتى من أمريكا

وأوروبا والدول العربية حباً للدين وتبني الدعوة إليه.

وهناك جمعية تدعى بجمعية أهل الحديث، وهي وإن كان نشاطها محدوداً إلا أنها تمتاز بسلامة العقيدة والبعد عن الخرافة والتصوف، والذي شاع وذاع في هذه البلاد غير أن الناس يرمزون إليهم بطائفة منزوية على نفسها تصدر لهم جريدة (عرفات) الأسبوعية ومجلة الترجمان الشهرية، ولهم مدارس تعليمية في المساجد، أميرهم الدكتور عبدالباري أستاذ الجامعة في مدينة راج شاهي.

يقابل هذه الهيئات الدينية والأحزاب الإسلامية أحزاب معاكسة سير خطها الحزب الاشتراكي الروسي والحزب الشيوعي الصيني وحزب عوامي والحزب الوطني، يتزعم الأول مظفر أحمد أستاذ في الجامعة البنغالية، ويتزعم الثاني مسيح الرحمن وعبدالحميد باشا، أما الحزب الثالث فهو حزب عوامي حزب مجيب الرحمن. هذه الأحزاب الثلاثية هم صوت واحد يشتركون في التنظيم العام ضد الكتل الإسلامية ولهم قوة ومنظمة في الطلاب وأرباب الصناعة والعمال ويمارسون النشاطات الإعلامية.

٢- التعليم:

تبلغ الأمية نسبة عالية في بنجلاديش حيث تبلغ نسبة المتعلمين ١٦٪ من مجموع السكان، فالمدارس الحكومية الابتدائية تعدادها ٤٥٩٥٩ والمدارس الثانوية ٦٦٤٨ والكليات ٤٣٣ وبها ست جامعات أكبرها جامعة دكا بها خمسة عشر ألف طالب وطالبة هذا هو التعليم الرسمي الحكومي العلماني الذي لا يتقيد بديانة ولا يرتبط بقيم سوى المادة. ويوجد تعليم للدروس الدينية والعربية تحت إشراف جمعية تعترف بشهاداتها الدولة ولكنها لا تمولها الدراسة فيها ستة عشر سنة تعادل الشهادة العالية في العلوم العربية والدينية، يزيد تعداد

هذه المدارس على ألف وخمسمائة مدرسة تدعى بالمدارس العالية، وقد اطلعت على مناهجها وسير الدراسة في مدرستين منها في دكا ومدينة شادقام فرأيت أن المنهج ثقيل جداً حيث يتعلمون فيه أمهات الكتب المطولة ودواوين الشعر وكتب المنطق والفلسفة والحكمة ورأيت أن سير الدراسة في هاتين المدرستين وهما أمثل المدارس هزيلاً للغاية حيث لا يرتبط بنظام رسمي ولا بإدارة تفتيش إلا أن القائمين على هذه المدارس يدفعهم الدين وحفظ اللغة العربية وحيث أن العلوم الشرعية وتعليمها باللغة العربية وهناك نوع ثالث من التعليم وهو تعليم الدين والعلوم الإسلامية باللغة العربية على منهج المدرستين المشهورتين في الهند دار العلوم في ديوبند ومظاهر العلوم في سمادنفور الدراسة فيها اثنا عشر سنة أكثر هذه المدارس في المساجد أو في دور تتبع المساجد من أشهر هذه المدارس جامعة معين الإسلام التي تأسست قبل مائتي سنة في شادقام وهي أم المدارس وأقدمها تاريخاً ويليها جامعة حميدية قاسم العلوم في شادقام أيضاً فيها أكثر من سبعمائة طالب وخمسة وعشرون مدرساً والجامعة القرآنية في دكا ولهذه المدارس منظمة أمينها مفتي محمد إبراهيم في شادقام لدى هذه المنظمة مائة وخمسون مدرسة وقد لاحظت على هذه المدارس الدينية العربية عقم أفكار أساتذتها حيث لا تجديد ولا تبديل في المناهج القديمة التي وضعها علماء الهند في ديوبند منذ أكثر من مائة سنة مع أن الطلاب لا يستطيعون استيعاب النصاب «لمنهج» بكامله، وتنقصهم الخبرة في أسلوب التدريس والكتاب العربي لتعليم اللغة العربية أما المدارس القرآنية والكتاتيب فلا حصر لها بل كل مسجد لا يخلو من أستاذ القرآن تحفيظاً وتلاوة.

٣- التبشير:

يرتبط تاريخ التبشير بالاستعمار الإنجليزي وحينما تم نفوذه على القارة الهندية في عام ١٧٥٩م أنشأ كثيراً من المدارس الإنجليزية حتى كانت عاملاً للتحلل الخلقي والتشبع بأفكار الغرب وقد قامت ثورة في عام ١٨٥٧م ونتيجة لهذا كان ضحيتها عدداً كبيراً من المسلمين مما جعل الاستعمار يشد وطأته على المسلمين خاصة، وقد وصل النشاط أطراف الجبال ووحوش الغابة وفتح مدارس ومستشفيات للوثنيين ولم يعرف أن أحداً تنصر من المسلمين حتى عام ١٩٦٠م حينما أحل في بنجلاديش كوارث وعواصف مما سبب خسائر فادحة في الأرواح والأموال فاغتنم الأوربيون فرصة حاجة المسلمين وفتحوا ثلاثة وعشرين مركزاً تبشيرياً ومن هذه المراكز انتشر المبشرون في عام ١٩٦٥م ودارت الحرب بين المسلمين بباكستان وبين الهند فأخرج الهند كثيراً من المسلمين القاطنين بمقاطعة آسام مما يلي بنجلاديش خلفوا وراءهم أملاكهم ولكن حكومة الباكستان لم توليهم أي عناية مما جعلهم يلجئون إلى غوث المبشرين وقبول هداياهم، وبعد حرب ١٩٧١م وقع سكان بنجلاديش في مصائب لا تكاد تخطر بالبال حيث أصبح أكثر من ثلاثمائة ألف عائلة بلا مأوى وكان ضحيتها ما يزيد على خمسمائة ألف نسمة ففتح المبشرون ثمانية وأربعين مركزاً يدخل المسلمين في الديانة النصرانية، تقدم هذه المراكز الخدمات العامة كإنشاء المظلات وتقديم الطعام والشراب واللباس، كما قد كفلوا ثلاثين ألف يتيم أخذوهم من بنجلاديش في مدارس وحضانة التبشير في أفريقيا وأوروبا. وخلاصة القول أنه في عام ١٩٤٧م كان النصارى في كل ألفين واحد وفي عام ١٩٦٠م في كل سبعمائة واحد وفي عام ١٩٧٥م بالمائة ٤½ وقد بلغ عدد المراكز التبشيرية ثمانية وأربعين مركزاً وعدد المستشفيات اثنين وعشرين

وعدد الكليات والمدارس ثلاثمائة ومراكز الحضانة أربعمائة وخمسين وبهذه الجهود الجبارة يتبين خطر التبشير النصراني في صفوف المسلمين ولا يخفى تنافس الديانات النصرانية في ميدان السباق كالكاثوليك والبروستانت وهما الديانتان الرئيسيتان اللتان تقومان بالتبشير على أوسع نطاق.

٤- بعض الظواهر الاجتماعية:

المرأة لا تزال في بنجلاديش خلف الستار وفي طواعية الرجل وتحت حكمه ولم يبرز لها دور في المجتمع الظاهر سوى عدد قليل فلا تكاد تنظر امرأة في شوارع العاصمة سوى فقيرة تكدح لسد جوعها وستر سوءتها أو غنية مترفة بغية حاجاتها الكمالية. والمرأة البنغالية تلبس ملابس الاحتشام الساتر لجسدها والخمار المغطي للرأس والوجه ولكن الطبقة الغنية وبعض نساء البوذيين يلبسون (الساري) وهو قطعة واحدة تتزر ببعضه وتضع على عاتقها بعضه وهم قليل إلى أن الزي الأوروبي الفاحش لا يزال مغموراً إلا أن الطالبات في المدارس والجامعات يرتدينه وهن قليل.

المساجد تكثر المساجد في مدن بنجلاديش عموما وتدعى عاصمتها دكا بمدينة المساجد حيث تزداد مساجدها وهي على كثرتها ذات تصميم هندسي وبناء قوي وأكثرها قديم التصميم من زمن المغول وفي عهد حكومة أيوب خان بنى مسجداً كبيراً يدعى "بيت المكرم" من سبعة أدوار، وله مساحات واسعة وفناء كبير في موقع استراتيجي وبين أسواق تجارية في وسط دكا، وتغص هذه المساجد بالمصلين وحلق التعليم للقرآن الكريم فما رأيت أكثر جماعة ولا أشد محافظة على الصلاة مثل ما رأيته في بنجلاديش إلا أن هذه المساجد قل أن تخلو من الخرافة والبدعة إما بوجود مزارات وإما بحلق الذكر البدعية من أرباب التصوف والخرافة.

المزارات:

قل أن تمر بشارع أو تدخل مسجداً إلا وجدت به مزاراً إما قبراً أو أثراً لولي أو صالح يتبرك به العامة ويدعون الله عنده، وقد شاهدت مزاراً في ضاحية دكا تحت قبة كبيرة حظيت بعناية من الزخارف والتلوين كتب على مدخل هذا المزار من الخارج: سلطان الأولياء كليم الرحمن البغدادي وحول هذا القبر يعتكف الناس لتلاوة القرآن والذكر والدعاء. وقد رأيت مزاراً آخر في مسجد من مساجد شادقام فسألت عنه فقالوا: عربي مسكين أي أنه قبر عربي كان مسكيناً فقيراً فقلت إنه كان في حياته أحوج إلى ما تضعون على قبره فكيف تطلبون منه بعد مماته ولكنهم لا يفقهون حديثاً يروّج هذه المزارات ضلال يتعيشون بها أو مغرضون لتزييف حقيقة الدين فقد التبست العبادة البوذية والطقوس الهندوكية بالإسلام على كثير من عوام المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله.

حب العرب: لا أستطيع أن أصف الشعور العام بمسلمي الشرق الأقصى ومنهم بنجلاديش حب العرب عامة وشعب المملكة خاصة والعلماء منهم أخص حيث يعتقدون أنهم أقرب إلى هدي الإسلام واتباع محمد ﷺ، ومنهم من يعتقد التبرك بكل شيء من الحجاز تربة أو بشراً، وعلى العموم منهم من يرون ويعتقدون أن القيادة الدينية هي للعرب والعرب وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعيدوا مكانة الإسلام ووحدة المسلمين، ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إن حب العربي في نفوس هؤلاء المسلمين قد بلغ السويداء من قلوبهم حيث يتأثرون بأبسط أسلوب وأسهل عبارة ويتحولون من عادات وتقاليد كانوا عليها إذا سمعوا أن العرب لا يرونها.

الفقر: ظاهرة بارزة في المجتمع البنجلاديشي عموماً حيث إن دخل الموظف العادي لا يزيد عن ستمائة إلى ألف تاكه والتاكه تعادل ربع ريال

سعودي مع ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة بسبب هذه الكوارث السياسية والطوفان والعواصف وجفاف الأرض حيث إن الهند قد تسد نهر البنغال والذي يمر ببنجلاديش مما سبب ضرراً على الزراعة في بنجلاديش، وقد علمت من مصادر وثيقة أن ثلاثمائة ألف أسرة تعيش بلا مأوى تفترش الأرض وتلتحف السماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بنجلاديش في سطور

١- تقع بنجلاديش على خليج البنغال شمالاً وتحدها الهند من جميع جهاتها إلا من جهة الشرق تحدها مقاطعة أركان من بورما.

٢- عدد سكانها ٨٠ مليون نسمة ٨٥٪ مسلمون و٨٪ هندوس ٤٪ نصارى ٣٪ بوذيون.

٣- يتكلم بلغة البنغال ٢٠٠ مليون تقريباً في سواحل الهند الشرقية وجمهورية بنجلاديش.

٤- الهيئات الإسلامية السياسية هم الجماعة الإسلامية وجمعية العلماء ومسلم (ليك) ونظام الإسلام، أما الجمعيات الدينية غير السياسية فكثيرة أشهرها جماعة التبليغ وجماعة أهل الحديث وجمعية السيدة المحمدية.

٥- نسبة المتعلمين في بنجلاديش ١٦٪ عدد المدارس الابتدائية (٤٥٠٥٠) مدرسة، عدد المدارس الثانوية (٦٦٤٨) مدرسة، عدد الكليات ٤٣٣ عدد الجامعات ست، والمدارس الدينية العربية المعترف بها رسمياً ١٥٠٠ مدرسة. الدراسة فيها ١٦ سنة، المدارس الدينية العربية تزيد على ١٠٠ر٥٠٠ مدرسة التي تطبق منهج الديوبند المدارس الصغيرة كثيراً جداً حيث يوجد بكل مسجد مدرسة في الغالب.

٦- التبشير دخل مع دخول الاستعمار سنة ١٧٥٩م وفي عام ١٧٦٠م فتحوا ٢٣ مركزاً تبشيرياً وفي عام ١٩٦٥م تنصر بعض المسلمين وكثير من الوثنيين، يوجد حالياً ٤٨ مركزاً للتبشير و٢٢ مستوصفاً و٣٠٠ مدرسة ٤٥٠ داراً للحضانة.

٧- شخصيات عرفتها:-

أ- الشيخ عبدالرحيم أمير الجماعة الإسلامية عالم فاضل ومؤلف كبير بلغة

البنغال يعمل في الدعوة منذ ٣٠ سنة وقد قام بترجمة كثير من كتب أبو الأعلى المودودي باللغة البنغالية.

ب- جاسيس باقر من كبار المحامين خريج جامعة عليكرا بالهند وكان قاضياً مدة ١١ عاماً ولديه مشروع معهد الملك فيصل الإسلامي، كما يصفونه بعبقريته وذكائه وقيامه بالدفاع عن القضايا الإسلامية الدينية والسياسية.

جـ- الدكتور إسحاق رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة دكا عاصمة بنجلاديش.

د- الشيخ محيي الدين رئيس مجلة المدينة، وهي مجلة شهرية تصدر من دكا بلغة البنجاب.

هـ- الحاج ماجد السردار تاجر كبير ومحسن شهير من جماعة أهل الحديث.

- وبعد فهذه صورة ما سجلته بقلمي كتقرير عن بنجلاديش إبان زيارتي لها عام ١٣٩٦هـ وقد جدّ ما جد وذهب أشخاص وجاء آخرون، وعلى العموم فإن النشوة الدعوية التي كانت تتبناها الدولة السعودية في عهد رائد التضامن الإسلامي الملك فيصل رحمه الله كان لها الأثر الأكبر في النشاط الدعوي، وعقب تولي تلك التقارير التي ترفع مباشرة للملك رحمه الله وقل أن نقوم باقتراح أو رأي في نشر الدعوة إلا كان تنفيذه إما على الفور أو التراخي ومن ذلك:-

- افتتاح مكتب للدعوة وتكثيف العمل الدعوي بابتعاث الدعاة وزيادة المنح الدراسية في الجامعات السعودية ودعم المدارس والهيئات الإسلامية مادياً فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٦)

إندونيسيا

هي البلد الثاني من حيث عدد السكان بعد الباكستان في العالم الإسلامي بآسيا، وهي ذات صلة قوية بالمملكة العربية السعودية قديماً وحديثاً ومنها تنطلق فئام الحجاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وللأندونيسيين جبلة خلقية تفوق في طبعهم الهادئ واستكانتهم المتميزة وانصياعهم للقيادة والهداية كثيراً من طبائع البشر ولذا أسلمت إندونيسيا من غير غزو ولا قتال ولا زالت على إسلامها وتمسكها بالمذهب الشافعي مذهب من دعاهم إلى الإسلام من قوافل التجار العرب الذين عرضوا الإسلام عليهم عرضاً عملياً في التعامل التجاري والمسلك التعبدي والخلق الحسن والتفاعل مع الطبيعة البشرية المعتدلة، فكانوا لهم أنصاراً وأصهاراً تزاوجوا معهم واندمجت طبائع الداعي والمدعو في تكوين الأسر الإسلامية من منطلقات دينية وأعراف فطرية يقبلها السوي من البشر من الطهارتين المادية والمعنوية، ولم تكن اللغة حاجزاً عن التفاهم في الأخذ والعطاء والتفهم والمعرفة الدينية مثلهم مثل بقية الأقطار التي تحولت واستسلمت وأسلمت لتعاليم الإسلام بلغة القرآن، وهل هذا إلا آية من آيات الله المعجزة أنعم الله بها على الإنسان. وسنورد لك أسطراً من تاريخ إندونيسيا المسلمة نقلاً عن موسوعة العالم الإسلامي مصدر موثق، وقد امتن الله على هذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية لما وهبها الله من قوة مادية وتوجه صادق لخدمة الإسلام فأرسلت الدعاة إلى إندونيسيا وفتحت

جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية فرعاً لها في إندونيسيا للدراسات العليا وقد تكررت زيارتي لإندونيسيا تكرر الزائر والعامل في حقل الدعوة إلى الله عز وجل قرابة عشرين عاماً إذ كنت مسؤولاً عن إدارة الدعوة في آسيا وكم وكم من دورات تعليمية ولقاءات أخوية بيننا وبين علماء إندونيسيا ومنهم العلم الأشم محمد ناصر – رحمه الله – وما زال التواصل بين الجمعيات الدينية في المملكة وإندونيسيا. وفيما يلي ما وعدتك به:

عضو المنظمات الدولية :

الأمم المتحدة.

منظمة دول جنوب شرق آسيا.

منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبيك).

منظمة المؤتمر الإسلامي.

منظمة دول عدم الانحياز.

تاريخ دخول الإسلام فيها:

دخل الإسلام إلى الجزر الإندونيسية عن طريق التجار المسلمين الذين قدموا إليها من (كجرات) بالهند. ومن أشهر من قام بنشر الإسلام فيها الشيخ (عبدالله عارف) الذي نزل في مدينة (بيرلاك) بجزيرة (سومطرة) حيث أسلم جميع أهل المدينة المذكورة. وكان ذلك عام ٦٩٠هـ- ١٢٩٠م. ثم جاء الداعية الشيخ (برهان الدين) فنشر الإسلام وكان ذلك في جنوب وغرب سومطرة.

- وقد سجل الرحالة المسلم (ابن بطوطة) أنه شاهد دولة إسلامية زاهرة يحكمها ملك سومطري عام ٧٤٧هـ- ١٣٤٦م يدعى (زين العابدين) الملقب بالملك الظاهر.

- ثم تحركت بعثة من الدعاة المسلمين برئاسة (الشيخ إسماعيل) فنشروا الإسلام في جميع جزيرة سومطرة عدا قبيلة (الباتاك) الوثنية.

من أشهر الدعاة الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا:

مولانا الملك إبراهيم، ورادين رحمة، ومخدوم إبراهيم، ورادان باكو، وفتح الله، وسونان قدوس، وصونان موربا، وسونان دارجات، وسونان كاليجاجا.

- أول مملكة إسلامية تأسست في البلاد كانت في (سامودرا باساي) بجزيرة سومطرة. وقد أسلم ملكها على يد الداعية الشيخ برهان الدين، وسُمي (الملك الصالح). وقد أقاموا العديد من المساجد.

- ثم قامت مملكة أسرة ملوك (أتشه) التي عاشت من عام ٩٠٢-١٢٨٥هـ- ١٤٩٦ - ١٨٦٧م.

ومنذ ذلك الحين انتشر الإسلام في (جاوة) ببطء، ثم انتشر الإسلام في باقي جزر الأرخبيل الإندونيسي.

نسبة المسلمين: ٩٥٪ من السكان الأصليين، وجميعهم من أهل السنة، وباقي السكان من الهندوس أو المسيحيين أو البوذيين[1].

المذهب الفقهي: المذهب الشافعي.

الزكاة: دفع الزكاة تقليد عام عند المسلمين في إندونيسيا. تقوم الجمعيات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد بجمعها وتقوم كذلك بتوزيعها على المستحقين حسب النص الشرعي الخاص بها.

المساجد: المساجد في إندونيسيا يزيد عددها عن ثلاثمائة ألف مسجد (بما في ذلك المصليات) في الأحياء والشوارع.

---

(١) قسمات العالم الإسلامي المعاصر، الدكتور المهندس مصطفى مؤمن.

* في العاصمة (جاكرتا) حوالي عشرة آلاف مسجد. من بينها أكبر مسجد في منطقة جنوب شرق آسيا. وهو (مسجد الاستقلال) ويتسع لمائة ألف مصل.

* أقدم مسجد في البلاد هو مسجد (ديماك) في جاوا الوسطى، ويقع بمدينة (ديماك) وقد بني في القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي.

الجامعات الإسلامية:

في إندونيسيا (٢٧) مقاطعة. وفي كل مقاطعة جامعة إسلامية (تقريباً). ومن هذه الجامعات (٢٠) جامعة تدرس العلوم الإسلامية واللغة العربية.

* كما أن هناك معاهد إسلامية دينية داخلية يبيت فيها الطلاب والطالبات (لهن قسم خاص) وعدد هذه المعاهد حوالي (٧٠) معهداً.

دور القرآن الكريم:

في جميع المساجد المنتشرة في البلاد كتاتيب تجمع الأطفال -ذكوراً وإناثاً- لتعليمهم الدين واللغة العربية، إلى جانب معلمين ومعلمات يستدعون إلى البيوت من قبل أولياء الأطفال لتعليمهم مقابل رواتب تدفع لهم.

علماء مشهورون:

سونان كودوس، سونان نفاميل، سونان جيري، سونان بوتاه[1]، وجميعهم من علماء القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي.

ومولانا مالك إبراهيم وهو من علماء القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي.

مدن شهيرة:

مدينة (ديماك) وقد بنيت في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي.

---

(١) كلمة (سونان) معناها: الشيخ الجليل، أو مولانا.

مدينة (تشكرانيجارا) في جزيرة لومبوك، في منطقة جاوا الغربية، وقد بنيت في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي.

جاكارتا (العاصمة). بنجرماسن. بفياكرتا. باندونج. بادنغ. بالمبانج. دوماي. سورابايا.

كما توجد مناطق إسلامية شهيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها وجميعها مبنية منذ القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي.

معارك إسلامية شهيرة:

من أشهر المقاتلين للدفاع عن إندونيسيا:

الأمير (ديبو نيفورد)، كان يحارب على فرس ويحمل سيفاً وهو معمم (أي يلبس العمامة)، ويقاتل ضد الغزاة الهولنديين في جاوا الوسطى. كان ذلك في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي. فقد قام هذا الأمير بثورة ضد الاستعمار الهولندي تحت راية الإسلام. وقد استمر في قتاله نحو (٢٥) عاماً. ثم جرى القبض عليه بخديعة ونفي في إحدى الجزر الإندونيسية حتى وفاته.

- ومن المجاهدين الذين خاضوا معارك في إندونيسيا ضد الاحتلال الهولندي: العالم الكبير (تيكو عمر) الذي كان يحرض الشعب للثورة ضد الهولنديين.

وكذلك العالم والثائر الإسلامي الكبير (تنكو تشي دي تيرو) وكلا العالمين المذكورين كان يقود المسلمين في منطقة (آتش) بأقصى جزيرة سومطرة.

وفي المنطقة نفسها برزت قائدات مسلمات منهن:

(تشوت نياء دين) التي خلفت زوجها (تيكو عمر) الذي ذكرناه سابقاً- بعد

أن استشهد، وقادت المعركة المسلحة، وأخيراً وقعت في الأسر وماتت. هذا وقد استمرت الثورة الإسلامية ضد الهولنديين المستعمرين لمدة (٧٣) عاماً في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي[١].

(١) زودتنا بهذه المعلومات الأخت الفاضلة السيدة (رحماواتي) ابنة الرئيس الإندونيسي السابق (أحمد سو كارنو) وساعدها في الترجمة الأستاذ عبدالحميد الأزهري -الذي يجيد التحدث باللغة العربية. وهو مدرس بكلية الآداب بجامعة إندونيسيا بمدينة جاكرتا. ورئيس القسم العربي في الإذاعة الإندونيسية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٧)

ماليزيا

دخول الإسلام فيها: حمل العرب التجارة والهداية إلى تلك الأصقاع في نحو القرن الثالث عشر الميلادي وأسلمت عدة قبائل في شرق جزيرة سوموطرا مملكة (ملاوي) التي اعتنق أهلها الإسلام واعتبر الدين الرسمي للبلاد حتى اجتاحتها مملكة الهندوكية ضمن ما اجتاحته من دويلات في هذه الأصقاع ورغماً من ذلك فقد ظل الإسلام ينتشر ويمتد في بعض أجزاء الملاوي مثلها مثل جارتها إندونيسيا في التمسك في دينها وعقيدتها إلا أن الشعب الماليزي تفوق أخيراً بالإنتاج الصناعي والتكنولوجيا الحديثة حتى كانت مثالاً لدول العالم الإسلامي، زرتها مرة واحدة، وفيها التقيت بأمير السفراء أبو سليمان محمد الشبيلي الذي كان يعمل في حاشية الملك عبدالعزيز وقريباً منه، ونعْم المثل في خلقه وأدبه وكرمه، كنت في مهمة إلى أستراليا وفي طريقي نزلت تايلند لأخذ سمة الدخول إلى أستراليا فاعتذرت سفارتهم، ورغم الوساطة التي بذلتها سفارتنا السعودية لم يقبلوا إعطائي سمة الدخول، وقالوا: يجب أن يأخذها من بلاده، فأشارت عليَّ السفارة السعودية أن أتوجه إلى ماليزيا لمقابلة السفير الشبيلي وعن طريقه تحل المشاكل، وفعلاً توجهت إلى كوالامبور، وتوجهت إلى السفير وأخبرته بمهمتي إلى أستراليا فلابد من تأشيرة من سفارتهم في ماليزيا فطلب الجواز ونادى سائقه وقال: اذهب حالاً إلى سفارة أستراليا لإعطاء السمة، فما مضى زمن قصير حتى عاد السائق وقد ختم على الجواز بما هو المطلوب.

أبو سليمان الشبيلي يعرفه القاصي والداني بكرمه ونبله وحسن خلقه وتعامله حتى دعي أمير السفراء، وكان قبلها في العراق، وظل في ماليزيا حتى توفي رحمه الله، ورغم وجود مكتب لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء في ماليزيا إلا أن السفير هو الكل في الكل يغفر الله له.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٨)

سنغافورة

كانت جزء من ماليزيا وحصل الانقسام وأصبحت مركزاً تجارياً عالمياً، ورغم قلة المسلمين فيها فإن لهم جهوداً مباركة في التكتل حول دينهم وخدمتهم، فأسس المسلمون جمعية الدعوة الإسلامية، ونالت الدعم والمساندة من جهات عدة، وفي مقدمة من دعمهم الملك فيصل – رحمه الله – فكانت جمعية بمعناها الشمولي العام لصالح المجتمع المسلم في سنغافورة. وفيما يلي بيان لخدمات الجمعية حسب ما صدر عنهم نعقب ذلك بمقال نشر تحت عنوان (العرب في سنغافورة مهاجرون من حضرموت).

زرت سنغافورة والتقيت بأعضاء الجمعية ورئيسها وكانت زيارة موفقة لمست فيهم الجد والاجتهاد في تطوير العمل الإسلامي، ولهم إعلام ودعاية حول توجه هذه الجمعية مما جعلهم يلتقطون صوراً فوتوغرافية لزيارتي لهم ومشاهدتي لأحوالهم، وفيما يلي بيان ما أشرت إليه، وتمتلك الجمعية مبنىً في تصميمه وهندسته أشبه بمربعات الكعبة المشرّفة على أربع جهات متساوي الأقطار وكأنهم لهذا يرمزون إلى قبلة المسلمين ليفهم الآخر ارتباط المسلمين بدينهم. ولا يجوز أن ننكر الحقيقة فقد احتل الصينيون في سنغافورة أهم المراكز والمصالح التجارية والرسمية، ولعل أسباب انفصال سنغافورة عن ماليزيا هو تكوين هذا التجمع الصيني في دولة يديرونها سياسياً واقتصادياً فكان لهم ذلك حيث كانت سنغافورة مركزاً تجارياً عالمي إلا أن العرب اختاروا دولة دبي فكانت تنافس سنغافورة بالتصدير لمنتجات الصين واليابان، وللقوة أثرها في التوجه العام للشعوب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العرب في سنغافورة: مهاجرون من حضرموت وقصور تروي فصولاً من أمجاد غابرة

«سنغافورة هي الدولة الوحيدة في العالم حيث ثمة أقلية عربية وثمة شارع يحمل اسمها». بهذه الكلمات يستقبلك أمين آل طالب، رجل الأعمال السنغافوري، في مقهاه «كافيه لو كير» (مقهى القاهرة بالفرنسية) وهو يدخن النارجيلة، ويأمر نادلاً بأن يحضر لك نارجيلة وبعض المأكولات والحلوى العربية.

يضيف بلسان عربي طلق: «في لندن، مثلاً، يُسمى الشارع حيث يقطن معظم العرب ويعملون إدجوير رود. أما هنا، فاسمه الصريح شارع العرب». ويضيف أنه من العرب السنغافوريين الأوائل الذين حاولوا إحياء الطابع العربي للشارع الصغير، الذي تتفرع منه شوارع أصغر تحمل أسماء مدن عربية، كبغداد والبصرة.

لقد اجتاح السنغافوريون من الأقلية الملاوية شارع العرب ليفتتحوا فيه متاجر لبيع الحرائر والسجاجيد المتوسطة النوعية، المصنوعة في كوريا الجنوبية وإندونيسيا وتايلاند. أما الحرائر والسجاجيد الصينية الفاخرة فلا تزال حكراً على تشاينا تاون، حيث قطن أفراد الغالبية الصينية بداية، قبل أن ينتقلوا، هم ومواطنوهم من الأقليات الأخرى إلى مناطق سكنية حديثة، بنتها الحكومة وقدمت تسهيلات ائتمانية لمشتريها، تاركين وراءهم أحياءهم للنشاطات الدينية والثقافية.

تتفرس في وجوه رواد «كافيه لو كير»: جلهم من الصينيين والملاويين، إلى جانب الهنود، الذين يشكلون أقلية كذلك، ويقوم طالب، حامل شهادة الدكتوراه في المحاسبة والخبير في تاريخ العرب في هذه المدينة- الدولة التي

يقطنها أربعة ملايين شخص: «نحن نعد ١٤ ألف شخص. ولنا جمعية تتصل بالسلطات لمساعدتنا على إحياء التراث العربي في سنغافورة، كمواطنينا الصينيين والملاويين والهنود».

ويضيف: «لقد تمكنا مثلاً من الحصول على دعم الحكومة لإقامة مهرجان رمضاني في كمبونغ غلام، الحي الملاوي القديم الذي يُعتبر شارع العرب امتداداً له، إلى جانب المهرجان الأساسي في الحي الملاوي الأكبر، غلانغ سراي. وانطلق المهرجان قبل أربع سنوات». ويروي كيف أحيا بمبادرة منه أسبوعاً عربياً عام ٢٠٠٣، أعاد إلى الشارع سمعته ورونقه، واستقطب سياحاً كثراً من الدول المجاورة، إلى جانب سياح عرب قلائل. فربما يرى العرب في السفر إلى سنغافورة البعيدة مشقة.

لكن طالب عانى قبل الحصول على ترخيص لتقديم النارجيلة في مقهاه. فالحكومة تتشدد ببيع كل أصناف التبغ والتنباك. ولا يمكنك أن تدخن في الأماكن المغلقة. وإن دخنت في الشارع، عليك أن تقف قرب علب مخصصة للسجائر، فرمي أي شيء على الأرض يكلفك غرامة تصاعدية قد تتجاوز ٣٠٠ دولار سنغافوري (٢٠٠ دولار أمريكي)، بل وقد ينتهي بك المطاف بأن تنفذ عقوبة تقضي بكنس أحد الشوارع لثماني ساعات.

ويقول مضيفي: «يبدو لك اهتمام سائر المجموعات العرقية في البلاد بالتراث العربي من خلال رواد المقهى المتنوعين. لذلك نعمل على استجماع إمكانياتنا والحصول على دعم حكومي لنشاطاتنا الدينية والثقافية. ونأمل أن نجاري مواطنينا في ضخامة احتفالاتهم.

لكن متى وصل العرب إلى سنغافورة؟ ومن أي بلد أو بلدان عربية

يتحدرون؟ «جميعنا تقريباً من أصول حضرمية» يقول طالب، الذي لا يزال يزور اليمن ليلتقي بأقارب لم تقطع عقود الزمن أواصر القربى بينهم. وهو ليس وحيداً في ذلك. فثمة عرب يسافرون إلى اليمن وغيره من الدول العربية لأغراض تجارية.

ويضيف طالب، بعدما زودني بوثائق ودراسات، بعضها من وضعه، كمقالة في فصلية تصدر عن «مركز شؤون الأقليات المسلمة» في بريطانيا: «حين أسس السير ستامفورد رافلز، ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية، سنغافورة الحديثة عام ١٨١٩م لتكون مرفأ أساسياً في الإمبراطورية البريطانية، حاول استقطاب العرب من المناطق الخاضعة للحكم البريطاني وقتذاك. وكان التجار العرب يحطون الرحال في سنغافورة منذ القرن الرابع عشر، لكنها كانت ممراً لهم، لا مستقراً».

وأسس رافلز نفسه شارع العرب قرب قصر السلطان الملاوي المتحالف مع البريطانيين ومسجده. وكتب في يومياته: «يجب الاهتمام تماماً بالسكان العرب. ولا أرى مكاناً يصلح لهم غير جوار قصر السلطان». وبحلول عام ١٩٢٤، كانت سنغافورة نمت من قرية ملاوية إلى مدينة كوزموبوليتانية، يقطنها ١٠٦٨٣ شخصاً، لكن كان بينهم ١٥ عربياً فقط.

كان العرب الذين قطنوا سنغافورة بعد وضعها تحت الحماية البريطانية من التجار الأغنياء، خصوصاً من آل الجنيد الحضرميين. وبنوا قصوراً جميلة. ولا تزال آثار العز العربي التليد بادية في الشارع الذي جددته السلطات في سنغافورة المستقلة. ولا يزال قصر السلطان ومسجده في مكانهما، وقد تحول الأول متحفاً فيما لا تزال الصلاة تُقام في المسجد. وبين المبنيين أُقيم حديثاً مركزًا

ثقافي ملاوي على النمط المعماري نفسه.

لكن كيف زاد عدد العرب في سنغافورة حتى بلغ ١٤ ألف شخص؟ يقول طالب: «بعد آل الجنيد، حل آل الكاف والسقاف، من كبار التجار، واستقروا في شارع العرب حيث بنوا قصوراً. وجاء معظم الحضرميين الأوائل واللاحقين من إندونيسيا حيث كانوا يعملون وجمعوا ثروات، لا من اليمن مباشرة». ولا يزال قصر آل الكاف قائماً، وقد تحول مطعماً يديره ملاويون.

بعد انفصال سنغافورة عن ماليزيا عام ١٩٦٥ ووقوع حضرموت تحت الحكم الشيوعي بعد قيام اليمن الجنوبي السابق عام ١٩٦٧، زاد عدد الحضرميين في سنغافورة، حيث وجدوا ملاذاً تنفسوا فيه بعض الحرية، وكانت لهم اليد الطولى في الازدهار التجاري للجمهوريات الصغيرة (٧٠٠ كيلومتر مربع فقط).

وخلطت السلطات بين العرب والملاويين، وكذلك فعل الملاويون الذين أخذوا الدين الإسلامي عن الحضرميين، لكن هذا الخلط أضاع بعض الهوية العربية للحضرميين. وقصد حضرميون كثيرون دول الخليج العربي للعمل في السبعينات حيث أسسوا جاليات كبرى.

في سنغافورة، تحول بعض العرب من التجارة إلى الاستثمار العقاري، فامتلكوا أراضي زراعية شاسعة، لكن الاستعمار الحضاري تراجع بعد فرض السلطات ضوابط صارمة على الإيجارات خلال الإصلاحات الاقتصادية في الستينات والسبعيات. وسمى العرب عقاراتهم «أوقافاً».

ويروي طالب أن الحضرميين كانوا يرسلون أولادهم إلى حضرموت وهم يافعون، ليعودوا إلى سنغافورة فيديروا أعمال العائلة. «لكن هذه الممارسة

خفت منذ الثمانينات إلى درجة التلاشي مع تضاؤل ثروة العرب السنغافوريين بعد الإصلاح العقاري. وقليلون اليوم الحضرميون من صغار السن الذين يفقهون العربية».

ويحدثك بأمل عن «الوحدة» الجمعية التي تُعنى بشؤون العرب السنغافوريين، وعن مركز ينمو ببطء في القلب التجاري لسنغافورة، يقدم دروساً للأولاد العرب السنغافوريين في اللغة العربية والثقافة والتاريخ العربيين.

تنتشر في شارع العرب بعض المتاجر العربية. في طريقي إلى «كافيه لو كير». برفقة الدليل السياحي أم أمين، مررت بمقهى يعرض في صدر صالته الرئيسة صورة الشيخ أحمد ياسين، المؤسس الراحل لحركة «حماس». «يكن مسلمو سنغافورة للشيخ أحمد تقديراً كبيراً»، يقول أمين، صاحب الثقافة الجيدة والمطلع على شؤون الشرق الأوسط وشجونه. «يرون فيه رمزاً مقاوماً أكثر منه رجل دين».

وفي الشارع محال تبيع ألبومات موسيقية عربية وثياباً وعطوراً ومشغولات يدوية. وثمة مقاه صغيرة بدأت تنتشر فيه، تقدم النارجيلة وبعض المأكولات العربية. ويغلب على العاملين العنصر الملاوي والهندي، مع بعض الآتين من الهند والنيبال ودول فقيرة أخرى في الهند الصينية وجوارها سعياً وراء لقمة عيش. وفي سنغافورة يصعب الحصول على إجازة عمل، وفقاً لأمين. «لكن ما أن تضع الإجازة في جيبك، حتى تجد أنّ المكان يؤمّن لك حقوقاً كثيرة».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خدمات جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة لصالح المجتمع

وإليكم قائمة البيانات لنشاطات الجمعية وخدماتها التي تقدمها لصالح أعضائها والمجتمع الإسلامي:

١- تقديم دروس إسلامية لجميع المراحل في تلاوة القرآن الكريم وتفسيره وتجويده وفن الكتابة على الآلة الكاتبة ودروس اللغة العربية والإنجليزية والماندرانية.

٢- دروس اللغة العربية بالمراسلة بواسطة اللغتين الملاوية والإنجليزية حتى يتمكن الدارسون من المسلمين المحليين وغيرهم متابعتها لفهم لغة القرآن.

٣- إقامة ندوات إسلامية في منتصف كل شهر للناشئين ليتلقوا دروسا في علوم التوحيد والفقه والتصوف (الأخلاق) لمدة ثلاث ليال متتالية.

٤- تقديم دروس خاصة في تأدية مناسك الحج ومساعدة الحجاج في الحصول على التأشيرة.

٥- إيجاد فصل خاص في تعليم الكتابة على الآلة الكاتبة تحت إشراف مدرس أخصائي.

٦- إيجاد فصل خاص للمكفوفين وتعليمهم فن تلاوة القرآن الكريم بواسطة حروف البرايل.

٧- تعليم اللغة العربية بمعمل اللغة للطلبة تيسيرا لهم في إجادة اللغة التي يدرسونها.

٨- إيجاد فصول خاصة لإخواننا الجدد في تعليم مبادئ الإسلام عمليا

وتوزع لهم كتيبات وأشرطة للمراجعة وتستخدم الفصول أيضًا كمركز التسجيل للراغبين في اعتناق بالإسلام منذ (٥٠) عامًا.

٩- إعداد مكتبة مليئة بآلاف من الكتب العلمية والإسلامية تعار للجميع ماعدا الكتب المرجعية ولديها تيسيرات أخرى كالاستماع إلى محاضرات دينية قيّمة بواسطة الكسيتات والفيديو.

١٠- إيجاد زاوية الأطفال داخل المكتبة تهدف إلى ترغيب الأطفال في ممارسة القراءة والمطالعة ورفع معنوياتهم ليكونوا مواطنين صالحين لخير الأمة والوطن.

١١- إيجاد فصل روضة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣-٥ سنوات من أعمارهم.

١٢- إعداد المدرسين الأكفاء للتدريس في المدارس وأماكن كثيرة، وبعث المحاضرين من الدعاة إلى مجالس العلم.

١٣- إقامة المحاضرات الدينية التي يقوم بإلقائها الدعاة المحليون وغيرهم لغير المسلمين.

١٤- البحث عن منح دراسية من بعض الدول الإسلامية وتوزيعها على الطلاب الأكفاء من أبناء المسلمين لالتحاقهم في جامعات إسلامية ومعاهد دينية عالية.

١٥- تقديم الخدمات الطبية لعلاج المرضى تحت إشراف طبيب أخصائي يعمل يوماً كاملاً، وشؤون الختان، والعلاج بالوخز بالإبر كل مساء يومي الاثنين والخميس، ويتطوع أيضاً غير المذكورين للخدمات العيادية والطبية عدد من الأطباء والممرضات.

١٦- إيجاد العيادة المتخصصة لعلاج الرمد يشرف عليها طبيب أخصائي في العيون يعمل بالمستشفى العام بسنغافورة ويتكرم بتقديم خدماته في الجمعية تطوعا من الساعة العاشرة صباحا إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً.

١٧- مكتب الاستشارات القانونية يقوم بتقديم النصائح والمشورة في شتى القضايا للجميع ويقدم فيه بعض المحامين المتطوعين دروسا كل يوم السبت من الساعة الثالثة إلى الخامسة مساء ويوم الأربعاء من الساعة السادسة إلى السابعة والنصف مساء.

١٨- مكتب شؤون الخدمات الخيرية يقدم مساعدات غذائية شهريا لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل، ويقوم بترتيب الزيارات لعودة المرضى في المستشفيات.

١٩- إقامة الحفلات السنوية للأعياد بين الأطفال وفي مقدمتهم الأطفال في المساكن والديار الخيرية.

٢٠- قسم الشباب يقوم بإقامة الندوات والمحاضرات الصباحية والإشراف على بعض أنواع الرياضة في أوساط الشباب لجمع المال لصالح صندوق البناية الجديدة للجمعية.

٢١- قسم السيدات يقدم الخدمات في تنظيم الندوات وفصول خاصة بالشؤون المنزلية كالطهي والخياطة والتطريز كما يقيم الأسواق الخيرية لجمع المال لصالح صندوق البناية الجديدة للجمعية.

٢٢- خدمة المواصلات وتقوم حافلات كبيرة لنقل الجنائز وحافلات أخرى صغيرة للخدمات العامة بأسعار رمزية في مختلف المناسبات.

٢٣- مكتب العلاقات الخارجية والإعلام والطباعة يقوم بطبع ونشر كتيبات

في البحوث الإسلامية، ومجلة شهرية، صوت الإسلام ونشرات الجمعية.

أخي المسلم، فبمساعدتك الجليلة سنكرس جهودنا في مضاعفة مساعينا لتوسيع مجالاتها لخير الإسلام والمسلمين.

إن خدمة الجمعية لصالح الأمة وتقدمها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٩)

تايـــلانـد

في ١٥/ ١٠/ ١٤٠١هـ تمت زيارتي لتايلاند، وفي مقدمة من زرت:

أولاً: الشيخ محمد بن صالح، ويدعى شيخ الإسلام، وهو منصب تقليدي في تايلاند منذ ٥ قرون، مات الشيخ السابق إسماعيل يحيى الذي عاش ٩١ عاماً منها ٣٠ سنة في مشيخة الإسلام في تايلاند. درس الشيخ محمد بن صالح بالحرم المكي في حلقات التعليم لدى الشيخ علوي المالكي وهو المدير والمشرف على مدرسة مفتاح العلوم هنأناه بمنصبه الجديد، وكان بمعيتي الشيخ علي عيسى، ووعد أن يكون في خدمة الإسلام والمسلمين والمعروف أن هذا المنصب اختيار ورضى الحكومة عن الشخص المنتخب ولا يشكون في مسالمته للدولة في حدود.

ثانياً: ومما زرت في هذه الجولة "مفتاح العلوم" مدرسة عربية أهلية عربية إسلامية مضى على تأسيسها ما يزيد عن ٣٠ عاماً أهدافها خدمة العلوم الشرعية واللغة العربية.

ثالثاً: مؤتمر المعلمين تأسس عام ١٩٥٤م وسجل لدى الحكومة يهدف هذا المؤتمر إلى تضامن المدارس العربية وتعاون المدرسين والقيام بالنشاط التعليمي والاتصال بالجهات الرسمية وغيرها.

رابعاً: مؤسسة دار الإحسان تقع من الناحية الشرقية الشمالية من مدينة بانكوك المسجد تم بناؤه وافتتاحه وهو من طابقين الأرضي للمحاضرات والأعلى مسجد للرجال والنساء، عُمِّر هذا المسجد بجهود الأخ الشيخ علي عيسى وأقاربه من جهة زوجته التايلندية، ويتبع لهذا المسجد إدارة تقوم على طبع مجلة شهرية

باللغة التايلندية وتدريس القرآن الكريم في عطلة الأسبوع السبت.

خامساً: جمعية أنصار السنة كوَّن هذه الجمعية عبد الرحمن حسن كريمي كان موظفاً في السفارة السعودية التقى بالشيخ حامد الفقي بمصر فتأثر بدعوته. تعمل جمعية أنصار السنة على نطاق ضيق، لديها مسجد قام ببنائه الملك الخامس في تايلند قبل مائتي سنة، اجتمعت بالأخوة أنصار السنة بمسجدهم وتحدثنا إليهم عن وجوب العمل تحت هذا الشعار أنصار السنة.

سادساً: جمعية الإصلاح برئاسة الشيخ عبد السلام، وهي وأنصار السنة شيء واحد بالعمل الإسلامي.

سابعاً: جمعية خريجي الجامعات والمعاهد العربية. كان أول مشروع قامت به هذه الجمعية هي ترجمة وطبع معاني القرآن الكريم باللغة التايلندية.

ثامناً: مدرسة دار العلوم. تبعد عن العاصمة ٨٥ كيلومتر شرقي شمال بانكوك على حدود كمبوديا، تقوم بالتدريس وفق المنهج السلفي، وهي إعدادي وثانوي بها مائة وعشرون طالباً.

تاسعاً: المعهد العلمي الديني : يدير هذا المعهد الشيخ عمران عبد الكريم مآلودي، ويبعد عن العاصمة ٣٠ كيلو.

عاشراً: المركز الإسلامي في بانكوك. مشروع بدأ به المسلمون منذ أكثر من عشر سنوات ولا يزال في طور التعمير وهو يباهي في تصميمه الهندسي المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا مكتمل الخدمات للمسلمين وليس مقصوراً على أداء الصلوات المفروضة.

حادي عشر: جمعية سوسياتي للخدمة الاجتماعية. من أقدم الجمعيات في تايلند، مضى على تأسيسها أكثر من ٤٠ سنة.

هذه نماذج من الأنشطة الإسلامية في تايلاند، ورغم أن الدولة الحاكمة تشد

وطأتها على المسلمين في الجنوب إلا أن العمل في الشمال يقوم على أشده باستشعار المسلمين بأنهم أقلية ويجب أن يكون لهم دور فعّال في خدمة دينهم. وقد تعذر زيارة فطاني جنوب تايلاند لوجود حساسية قوية من قيام تحريك فوري أو إمداد مادي للنشاط للفطاني من زائر عربي لما نظن أنهم بخير وعلى خير إن شاء الله. أخلص من هذا إلا أن تايلاند مملكة في جنوب شرق آسيا يحدها شمالاً جمهورية لادسي وجنوباً إتحاد ماليزيا وشرقاً جمهورية كمبوديا وخليج تايلاند وغرباً جمهورية بورما ويبلغ سكانها ٤٥ مليوناً والنسبة الكبيرة للمسلمين يسكنون بالمحافظات الجنوبية، وقد وصل الإسلام إلى تايلاند أوائل القرن الثالث عشر ميلادي. ومن أهم المساجد في تايلاند بانكوك :

أولاً: مسجد أنصار السنة.

ثانيًا: مسجد هداية الإسلام.

ثالثًا: مسجد دار أمان.

رابعًا: مسجد نور الإسلام.

خامسًا: مسجد المهاجرين.

سادسًا: مسجد فتح الباري.

هذا وقد لا أكتم سراً إذا قلت: إن العرب أرباب السياحة وقاتلو الوقت في تايلاند وبالأخص بانكوك أعطو سلوكاً يسئ للعرب والخليجيين لما تستقبله بانكوك من شباب لا يعبأون بالقيم والأخلاق. سألني أحدهم وأنا بالطائرة: إلى أين؟ وقلت بانكوك وكان متعجباً: أمثلك يذهب إلى هذه البلاد وقد شعرت دولتنا المباركة لهذا أو أكثره وحصل انفصام جزئ بين المملكة وتايلاند لهذه الأسباب.

وفيما يلي مقال نشر في مجلة البيان تحت عنوان (المسلمون في تايلاند).

المسلمون في تـايلاند:

يزيد التعداد السكاني لـ «تايلاند» على خمس وأربعين مليون نسمة، يَدين أكثرهم بالبوذية الهندية، وتتراوح نسبة المسلمين هناك ما بين ١٠- ١٥٪ من إجمالي عدد السكان. وترجع أصول معظمهم إلى منطقة «فطاني» التي عُرفَت تاريخياً بأنها كانت مملكة إسلامية مستقلة على الحدود الجنوبية لمملكة سيام التي تغير اسمها إلى تايلاند في منتصف القرن الماضي. وقد سعى المسلمون هناك إلى استعادة مملكتهم طوال العقود الماضية.

وفطاني: هي المنطقة الواقعة بين ماليزيا وتايلاند، ويرجع أصل سكانها إلى المجموعة الملاوية، ويتكلمون اللغة الملاوية ويكتبونها بأحرف عربية.

وتُحدد التقديرات السكانية عند المسلمين في تايلاند بخمسة ملايين مسلم. وتبلغ نسبة المسلمين في فطاني أكثر من ٨٠٪ ويزيد عدد سكان «فطاني» عن ٣ر٥ مليون نسمة. كما يعيش عدد كبير من المسلمين أيضاً في شمال تايلاند، وهم المسلمون من الأصل الصيني والبورمي. كما يعيش في وسط تايلاند المسلمون من الأصول الكمبودية والهندية والإندونيسية والعربية والإيرانية.

يذكر الفيس بوك (موقع الاستخبارات الأمريكية) أن إجمالي عدد السكان حوالي ٤٥ مليون نسمة، ونِسَب توزُّع الأديان كالآتي: البوذية: ٦ر٩٤٪، والمسلمون: ٦ر٤٪، والصينيون: ٧ر٠٪، والآخرون: ٠ر١٪.

وتتوزع الأجناس كالآتي: التاي: ٧٥٪، والصينيون: ١٤٪، والآخرون: ١١٪.

أما اللغات فهي: التاي، الإنجليزية، لهجات قومية.

ويوجد في تايلاند حوالي ٢٥٠٠ مسجد ومصلى، ويوم في بانكوك المركز الإسلامي الوحيد في تايلاند، ويوجد العديد من الجمعيات والهيئات الخيرية

والمدارس الابتدائية الإسلامية، وبعض المدارس ملحقة بالمساجد، وهناك مدارس إسلامية صيفية.

وتتدخل الحكومة في الإشراف على التعليم الديني، وترغم المدارسَ الإسلامية على قبول غير المسلمين فيها، وتفرض عليهم العلوم التايلاندية.

وتمت ترجمة معاني القرآن إلى لغة التاي، وفي جنوب تايلاند تُستخدَم التراجم الماليزية للكتب الإسلامية، كما طُبعَت نسخ عربية من القرآن الكريم في تايلاند، والحاجة ماسة لترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة التاي.

وفي تايلاند جريدتان إسلاميتان شهيرتان:

إحداهما: تصدرها رابطة العالم الإسلامي وتسمى (الرابطة).

والثانية: كانت تسمى الجهاد، وقد توقفت.

وتبرز تحديات عديدة ضد المسلمين في فطاني خاصة: حيث تحاول السلطات البوذية التايلاندية إضعاف شوكة المسلمين وإذابتهم في الكيان التايلاندي، ومن هذه التحديات:

- تغيير أسماء المسلمين وتغيير أسماء القرى والولايات وإلغاء حجاب المرأة.

- الهجرة إلى فطاني: حيث تهجِّر السلطات التايلانديين البوذيين إلى قطاني للحد من الأغلبية المسلمة.

- إضعاف اقتصاديات المناطق المسلمة: وذلك بتمليك أخصب الأراضي للبوذيين.

- محاربة التعليم الإسلامي: من خلال محاولة فرض اللغة التايلاندية في الدواوين الحكومية.

- الدس الرخيص في تزييف الكتب الإسلامية.

- تشجيع البعثات التنصيرية للعمل في البلاد.

وقد تعلقت آمال المسلمين في جنوب تايلاند بحكومة الانقلاب العسكري التي أزاحت «تاكسين شيناواترا» رئيس الوزراء الملياردير الطاغية في عام ٢٠٠٨م: حيث وعدت حكومة الانقلاب بتحسين أحوال المسلمين والنظر في مسألة الحكم الذاتي ووقف الاعتداءات من الأكثرية البوذية، وقد كان لبعض الأعضاء المسلمين في المجلس العسكري الحاكم دور في هذا التحول، واستبشر المسلمون عندما قدَّم رئيس الوزراء الجديد اعتذاراً رسمياً لهم عن بطش الحكومة السابقة بهم، وببدء في محادثات مع قادتهم بخصوص المطالب التي ينادون بها.

لكن ما حدث هو عكس ذلك تماماً؛ حيث زادت حوادث القتل والاعتداء والبطش بالمسلمين من قِبَل الجيش والأقلية البوذية في الجنوب؛ فمن الانقلاب العسكري قُتِل أكثر من ألفي شخص معظمهم أطفال ونساء وشيوخ، وهو الأمر الذي دفع بعضهم إلى القول بأنه بعد مرور أكثر من ستة أشهر على الانقلاب العسكري الذي تبنَّى قادته توجهاً مَرِناً مع الانفصاليين المسلمين، حان الوقت للتخلي عن هذا التوجه والعودة إلى سياسة البطش السابقة؛ وهو ما دفع ملكة تايلاند للتخلي عن حياديتها وتوجيهها نداءً للحكومة لحثِّهم على توفير الأمن للمدنيين العزل في الجنوب أو تسليحهم وتدريبهم للدفاع عن أنفسهم؛ ولكن هذا التوجه الذي يراه بعض الناس منطقياً وعادلاً ويستهدف وضع حلول عملية تساعد المدنيين العزل، لا يخلو من مخاطر، أهمها: أنه يكرس النزاعات الطائفية بين الأغلبية المسلمة التي تسكن الجنوب والأقلية البوذية التي ترى نفسها مستهدَفة أيضاً من قِبَل الانفصاليين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

- FACT BOOK.

- الأقليات الإسلامية في آسيا وأستراليا، سيد عبدالمجيد أبو بكر، رابطة العالم الإسلامي.

- موقع المسلمين في تايلاند:
WWW. MUSLIMTHIL. COM

- وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (نبا).

- الجزيرة نت.

- إسلام أون لاين.

- المسلمون في تايلاند وقصة المعاناة والألم، د. إسماعيل علي (عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة برينس أوف سونجيكلا بفطاني) بحث في موقع المسلمون في تايلاند.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وممن عرفت في تايلاند

الشيخ علي عيسى

مصري الولادة والنشأة تايلندي الجنسية والإقامة

انتقل الشيخ علي عيسى من مصر إلى تايلاند بانكوك وتزوج من أسرة عريقة في تايلاند، وأسس جمعية أسماها جمعية أنصار السنة، وقد قام أبو زوجته ببناء مسجد ضخم في ضاحية من ضواحي بانكوك واتخذ من المسجد مركزاً للنشاط وتحركاته الدينية الدعوية، قابلت الشيخ في بانكوك عام ١٣٩٥هـ واستضافني في مركزه وبقيت معه مدة من الزمن نتجاذب الأفكار والأحاديث في محيط الدعوة والعقيدة، وكان سلفياً بالطبع إلا أنه يفضل العمل الانفرادي غير الجماعي مع مسلمي تايلاند إلا من يأتي معه بالتبعية، فلذا كان بينه وبين مسلمي فطاني فجوة واسعة اتهمه الطرف الثاني بميله للحكومة ومحاولة صرف العرب عن مساعدة مجاهدي فطاني.

والحقيقة ليست كذلك، فالشيخ علي عيسى متجنس ليس من أهل تايلاند أصلاً، ومن سكان عاصمة تايلاند، وممن صاهر أعيانها، فلذا لا يرى لنفسه دوراً في سياسة بلد هو غريب فيها، وقد قام الشيخ علي عيسى بترجمة كتب كثيرة إلى اللغة التايلندية من اللغة العربية، وكلها تدور حول العقيدة والأخلاق غير السياسة والحكم، وللشيخ علي عيسى أسلوبه الخاص في كسب المؤيدين والمناصرين له من تايلاند وخارجها، فكان على صلة وثيقة برابطة العالم الإسلامي إلا أنه ليس عضواً فيها، كما كان يتردد على زيارة بعض الأمراء في

المملكة، ومنهم الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

أما في تايلاند فكانت صلته بشيخ الإسلام صلة المودة والاحترام والتقدير، ومنصب شيخ الإسلام في تايلاند منصب تقليدي ترشحه الدولة ليبقى رمزاً للمسلمين، ويكون همزة وصل بين المسلمين والحكومة، ومن المعلوم أن الحكومة في تايلاند ملكية بوذية تهتم بالتقاليد، وتتوارث ما هو معمول به في تاريخها الطويل، ومن ذلك منصب شيخ الإسلام الذي أخذه المسلمون من الحكومة العثمانية، مما هو جار في تقاليدها أيام الخلافة العثمانية إلى أن أصبحت دولة علمانية تنكر كل شيء عن الإسلام.

نعود إلى الحديث عن الشيخ علي عيسى المصري الذي أفاد بلاد تايلاند وبالأخص العاصمة بانكوك، وكان له الدور البارز في توضيح منهج أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة والأسماء والصفات، بل وبُعدهم عن الطرق الصوفية، وتقديس المقابر وتعظيم الوثنية، إلا أن تأثيره ببطء فهو لا يرى الحماسة والاندفاع ولكنه مؤسس على الأصوليات والكليات في الدين، وقد أسمى مسجده (الإيمان) فكان يطمع إلى تعريف الناس الإيمان بالله وبما تضمنه القرآن والسنة في التوجيه العقدي الصحيح وهو التعبد الشرعي المطابق للسنة، أما مجال السياسة والحكم والإدارة فهو في منأى عن هذا كله، وقد قيل: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه، فهو لا يريد أن يزج نفسه وتلامذته في تيارات السياسة والحكومة ولذا اقتصر نشاطه على ما ذُكر.

تكرر اللقاء بالشيخ علي عيسى في الرياض وفي مكة المكرمة فكان ذلك الرجل الذي لا يتغير في فرحه ومرحه وبشاشته وأسلوبه البياني وتذلله لمخاطبه، وكثرة الدعوات التي يطلقها على من يخاطبه كقوله: رعاك الله،

وحفظك الله، وهكذا. فإن البيئة المناخية في تايلاند تعطي الداعي أسلوباً من أساليب الدعوة وهو الافتقار والرغبة في التأثير على الغير بذلك الأسلوب المتواضع إلى حد التذلل والافتقار، ولا يُلام الشيخ علي عيسى فيما انطبعت عليه أخلاقه، فقد كسب الكثير بهذا الأسلوب، ولهذا يمكن أن نصف ذلك الخُلق بالداعية المستجدي بخدمة دينه وأمته الإسلامية، وقد يُظن أن فيه إهانةً وتحقيراً إلا أن المهم النتيجة والفائدة ما لم يكن الأسلوب فيه معصية ومخالفة لشرعة الله عز وجل.

أختم القول عن الشيخ علي عيسى بأنه رجل الدعوة والفطنة، قد أصفه بالإمام لأهل السنة والجماعة في تلك البلاد التي غطت عليها سحابة الظلمات من الشهوات والشبهات، فتايلاند مسرح الفجور، والحكم فيها للبوذيين من التايلنديين والصينيين.

هذا والله أعلم وصلى الله على محمد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(١٠)

الفلبين

حين أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية انتشر ضوؤه على ما حوله ولمعت أشعته في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً وكان قوم من العلويين يقال لهم الأشراف فرّوا من بني أمية أو الحجاج خوفاً، وكان طريقهم من حضرموت ثم الهند إلى جزر الشرق قدم الشريف مخدوم إلى جزيرة ماندناو سنة ٧٨٥هـ وكان ذا علم وبصيرة ومنزلة عظيمة في الزهد والورع، كما أن الشريف أبا بكر قدم سنة ٨٥٤هـ وهو أول من أسس الحكومة الإسلامية في جزيرة سولو اعتلى سولو العرش سنة ٨٥٤ وتوجه إلى تدبير أمور الدولة. هذه أسطر مما كتبه العالِم الفاضل الشيخ أحمد بشير مؤسس جمعية إقامة الإسلام في مندناو في الفلبين، وقد كان لهذا العالِم اليد الطولى في تبني التعليم النظامي في جنوب الفلبين، وله تواصل مع المملكة العربية السعودية ورجالات الدعوة فيها. قابلته وتحدثت إليه واستفاد وأفاد، وقد أمر الملك خالد بمبلغ مليون ريال لدعم جمعيته بشراء مطبعة عربية لطباعة الكتب الإسلامية والعربية، زرت الفلبين مراراً مع أحد الدعاة إلى الله التابعين للإفتاء ومراقبة سير عملهم وقد قام الأخ المشرف على الدعاة بإعداد تقرير تفصيلي عن زيارتي للفلبين، أكتفي بما كتب.

قال: برامج الزيارة لفضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق مدير إدارة الدعوة في الخارج المساعد ورئيس الدعاة في آسيا في الفلبين جزيرة ميندانوا بالفلبين.

يوم الاثنين : وصل فضيلته إلى مطار كغيان في الساعة العاشرة والنصف ونزل

في أمباسادور هتيل في كغيان، وفي هذا اليوم قام بزيارة مسجد كغيان، ومعهد أورو الإسلامي بمدينة كغيان.

يوم الثلاثاء: في الساعة السادسة والنصف صباح يوم الثلاثاء ركب على السيارة الصغيرة مع محمد صالح عثمان إلى مدينة مراوى، وقد وصلت السيارة إلى المدينة المذكورة في الساعة التاسعة إلا الربع. وبعد أن تناول وجبة الإفطار قام فضيلته بالتجول في إدارات الجمعية جمعية إقامة الإسلام ومعهد ميندانوا العربي وبعض فصول المعهد المذكور وفصلين بكلية المعلمين التابعة للجمعية المذكورة.

ثم قام بزيارة كل من:

١- كلية فانجارو نجان.

٢- معهد المحسنين الإسلامي بجوار معهد ماريناوت الملاصق بالمسجد.

٣- معهد مراوي الإسلامي.

٤- مستشفى الصداقة بين الفلبين وليبيا.

٥- معهد العلوم الإسلامية. ثم تناول وجبة الغداء في دار الضيافة لجمعية إقامة الإسلام.

وفي وقت العصر أدى الفريضة في مسجد الملك فيصل بحي جامعة ميندانو الحكومية، وبعد أداء الصلاة ألقى محاضرة في موضوع التقوى ووجوب أداء الصلاة جماعة. وقد أجاد وأفاد في هذا الموضوع، ثم أجاب دعوة السيد سان سيلور سليغدا تمانو إلى بيته فقدم إليه ورفقاء فضيلته بعضاً من الفواكه والثمار، ثم تجول فضيلته في بعض الأماكن في الجامعة المذكورة.

وفي وقت المغرب أدى الفريضة في مسجد دار القرآن لجمعية إقامة الإسلام،

وبعد أداء الصلاة ألقى الدرس على طريقة السؤال والجواب، وقد أفاد كذلك.

يوم الأربعاء : وفي الساعة الثامنة صباح يوم الأربعاء قام فضيلته بزيارة إسلام أكاديمي لجمعية إقامة الإسلام، ومسجد غناس، ومعهد غناس، وقد رافقه بعض من دعاة الرئاسة وبعض من دعاة الرابطة وبعض من دعاة جمعية الدعوة في ليبيا في مقدمتهم المشرف العام على الدعاة في الفلبين وفضيلة الشيخ أحمد بشير رئيس جمعية إقامة الإسلام بالفلبين.

وقد ركب هؤلاء الدعاة على ثلاث سيارات صغيرة.

في هذه الزيارة التي قام بها فضيلة الشيخ إسماعيل بن عتيق قد مر بالمدارس والمساجد الآتي بيانها فيما يلي:

١- مدرسة الدين الإسلامي فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بإليان مرانتولانو الجنوبي.

٢- مدرسة الأمراء فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي ببونجامدان ديغ مرانتو.

٣- مدرسة نور القرآن فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي إنوداران مرانتو.

٤- مدرسة الأقلية الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بكاياوان مرانتو.

٥- مدرسة نور الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي للابوان بالينديونج.

٦- مدرسة الفلاح الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بسوغ بالينديونج.

٧- مدرسة الدعوة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي

ساليفونجان باليندونج.

٨- مدرسة نور الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي لومبايو باليندونج.

٩- مدرسة هداية الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي كرفأن باليندونج.

١٠- مدرسة استعانة الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي سنديغان توغياء.

١١- معهد الفلاح الإسلامي توغياء لانو الجنوبي.

١٢- مسجد توغياء من أجمل المساجد في المحافظة.

١٣- مدرسة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي كالان باكولود.

١٤- مدرسة باكولود غراندس باكولود غراندي لانو الجنوبي.

١٥- مدرسة الإرشادية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي باكولود غراندي لانو الجنوبي.

١٦- مسجد باكولود من أجمل المساجد في محافظة لانو الجنوبي.

١٧- مدرسة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي مدالم لانو الجنوبي.

بعد زيارة فضيلته لمعهد غناس توجه إلى مسجد غناس لأداء صلاة الظهر وقبل أداء الصلاة ألقى فضيلته محاضرة في موضوع تكريم الله لبني آدم وتفضيله لخلقه. فذكر فضيلته سبب هذا التفضيل والتكريم لهذا النوع البشري كما ذكر سبب انحطاطه إن لم يقم بأوامر الله فأتى بالأدلة القرآنية على ما ذكر ثم بيّن فضيلته أن الإنسان له أربعة أعداء:

الأول: إبليس اللعين، وهو أكبر أعداء الإنسان؛ لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم.

الثاني : من أعداء الإنسان هو حب الدنيا وما فيها من المغريات.

الثالث: من هذه الأعداء للإنسان الهوى ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

الرابع: من أعداء بني آدم هو النفس ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فأورد فضيلته الأدلة من الكتاب والسنّة على ما ذكر من التوضيح والتوجيه ثم ختم محاضرته بوجوب التحرر من كل عبودية لغير الله عز وجل – وإنه أجاد وأفاد وأصاب.

بعد انتهاء محاضرة فضيلته نودي للصلاة ثم أقيم للصلاة فتقدم بعد أن ألححنا عليه فصلى بمن في المسجد، بعد الانتهاء من الصلاة اتجهنا إلى بيت صلاح الدين سلطان برات لتناول وجبة الغداء.

ثم ركبنا على اتلانس لزيارة فضيلته لمعهد بينيدايان لانو الجنوبي ومررنا على المدرستين اللتين أحرقهما جنود ماركوس السفاح اللعين وجميع البيوت التي في شاطئ البحيرة بقريتين ماغيليج غناس ومكاغليج بنيدايان كلها أحرقها جنود ماركوس، هذان المدرستان يقال لهما:

١ – مدرسة مرشد الاسم بمكاغيلينج غناس.

٢ – مدرسة الثقافة الإسلامية بمكاغيلينج بنيدايان.

رست اتلانس إلى الشاطئ القريب للمسجد في بينيدايان واستقبل فضيلته أهل بينداياان رجالاً ونساء أولاداً وبناتاً وفي وجوهم آيات من السرور والفرح والحبور لهذه الزيارة الأخوية الإسلامية فذهبنا إلى المعهد بعد أن قدموا لنا

بعضاً من المشروبات والفواكه قام فضيلة الشيخ إسماعيل ابن عتيق بإلقاء محاضرته في موضوع فضل العلم وأثره في إصلاح الفرد والجماعة، وختم محاضرة فضيلته بالتواصي بالصبر وتقوى الله عز وجل والاستقامة على طاعته وعدم الخوف من أحد سوى الله فإنه لن يصيب أحد إلا ما كتب الله له وأن الله تعالى إذا رضي أعطى وإذا غضب منع. وأن الحوادث في العالم لا مجال لسترها ولا مفر من إظهارها في وسائل الإعلام من الجرائد اليومية والصحف الأسبوعية والتلفزيون وقد أحسن الوصف في هذا الصدد فأعجب هذا الحاضرين حيث التفوا ساحة المعهد فقد ساد في الاجتماع الهدوء والسكينة والطمأنينة حُباً لاستماع محاضرة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق رئيس الدعاة المبعوثين في آسيا ومدير إدارة الدعوة في الخارج المساعد، وقد أجاد وأفاد وأحسن في جميع ما ألقاه من المحاضرات في هذه الزيارة الميمونة المباركة، أكثر الله أمثاله وأبقاه أخاً روحياً لإخوانه مسلمي الفلبين.

يوم الخميس: ٢٨/ ١٠/ ١٤٠١هـ تحركت السيارة التي يركبها فضيلته هو والمشرف على الدعاة والشيخ أحمد بشير رئيس جمعية إقامة الإسلام والشيخ حسين مرانجيت مبعوث الليبية وسيارتان يركبهما بعض من مبعوثين من قبل الرئاسة ومن قبل جمعية الدعوة الإسلامية للجماهيرية الليبية والرابطة وبعض من علماء مدينة مراوي من دار الضيافة لجميعة إقامة الإسلام ذلك لزيارة فضيلته كل من المدارس العربية الإسلامية والمساجد في بلدية راماين وبلدية تراكاء وبلدية مولوندو وبلدية فؤنابيابو وبلدية تام فاران وبلدية لومباء بياباو.

سير الزيارة:

بدأ فضيلته بزيارة جامعة الفلبين بمدينة مراوي في الساعة السابعة والنصف

ولم يجد فضيلته واحد من مسؤولي هذه الجامعة المذكورة ثم خرجنا واتجهنا إلى بلدية راماين ومر في طريقه بكل من:

١- مسجد سوغود بمدينة مراوي.

٢- مسجد فيفأن الجنوبي بمدينة مراوي.

٣- مسجد فيفأن الشمالي بمدينة مراوي.

٤- مسجد باريمبينجان بلدية راماين.

٥- مسجد فانجادافن بلدية راماين.

وفي طريقنا في هذه الزيارة مررنا بالجنود الحكومية يتجمعون جانب الطريق قرب محطتهم الحراسية.

١- نزل فضيلته في ساحة مدرسة الرشيدة بباغوا إنجد في بلدية راماين لاناو الجنوبي ثم اتجهنا إلى بعض المدارس فمررنا بمدارس العربية والمساجد كما يلي:

٢- مسجد داتوسارامين ببوا دابباي ببلدية راماين.

٣- مدرسة ناصر الإسلامية.

٤- مسجد دزان ببلدية راماين.

٥- مدرسة الفلاح براجوندينجان ببلدية راماين.

٦- مسجد فجالونجان ببلدية راماين.

٧- معهد فاجالونجان ببلدية راماين.

٨- مسجد بواباآن ببلدية راماين.

٩- مسجد منا كاب بوادي فوسو بنيتونج.

١٠- مدرسة بنتونج الإسلامية.

١١- مدرسة الإسلامية غنا فرع معهد ميندناناو العربي الإسلامي.

١٢- معهد مولوندو الإسلامي فرع معهد ميندااناو العربي الإسلامي.

١٣- مسجد مولوندو ببلدية مولوندو.

١٤- مسجد حاج أحمد. ومررنا كذلك بمركز تعسكر الجيوش الحكومية في هذه البلدية.

١٥- معهد دار العلوم للابوآن تام فاران وبجانبه مسجد.

وهذا المعهد المذكور قد تحصل على مساعدة من الرابطة بمكة المكرمة.

١٦- معهد فيوبلا سيون تام فاران بقربه مسجد وتاسهاماما.

١٧- مسجد فجالونجان تام فاران.

١٨- مدرسة التربية الإسلامية ميونداس بقربه مسجد ميونداس ومسجد لينك.

١٩- مدرسة دار الخير الإسلامي لينك تام فاران فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي.

٢٠- مدرسة الرحمانية الإسلامية لمباك انجد هذه المدرسة قد تحصل على مساعدة مالية من الرابطة بمكة المكرمة بمقدار (٢٠) ألف ريال سعودي أقيم دور الأول وبقي سقف الدور الثاني ونور المدرسة.

٢١- معهد شريف لاوت الإسلامية كادايونان فؤنابيابو وبقرب هذا المعهد مسجد الشيخ لاوت وهو تاجر كبير المعروف في لاناو الجنوبي.

٢٢- مدرسة غادو نجان الاعدادية فرع معهد ميندااناو العربي الإسلامي.

٢٣- مدرسة الخيرية الإسلامية فرع معهد ميندااناو العربي الإسلامي.

٢٤- مدرسة لمباك الإسلامية غادونجان لمباء بياباو فرع معهد ميندااناو العربي الإسلامي.

٢٥- مدرسة نور جديد الإسلامية تالوان لمباء ببابو فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي. وقد مر فضيلة الشيخ بعدة بيوت محروقة إضافة إلى أربعة مساجد وأربع مدارس أحرقها الجيش الحكومي وقد تقدر عدد هذه البيوت بما لا يقل عن ثلاثمائة بيتا في لمباء بياباو في محافظة لاناو الجنوبي بالفلبين.

٢٦- مدرسة مجد جديد الإسلامية سلامان لمباء بيابو فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٢٧- مدرسة الإرشادية الإسلامية لمباك بكاياوان فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٢٨- مدرسة المؤلفة الإسلامية فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٢٩- مدرسة الخيرية ماريبو لمباء بيابو فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٠- مدرسة نور الإسلام ديليندونجان بيابو فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣١- مدرسة التربية الإسلامية الدينية فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٢- مدرسة ماديار فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٣- مدرسة الشيخ الرفاعي مديار فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٤- مدرسة الفلاح الإسلامية راغوندينجان فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٥- مدرسة الوردة الإسلامية لوم بتان بوادي فوسو بنتونج فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٦- مدرسة الأمانة الإسلامية ملانغ واتو فرع معهد ميندناو العربي الإسلامي.

٣٧- معهد توغياء الإسلامي توغياء لاناو الجنوبي الفلبين.

٣٨- مدرسة الإسلامية بكاياوان كاويان مرانتاو لاناو الجنوبي الفلبين.

وقد ألقى الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق كلمة في إحدى المدارس المذكورة ببلدية لومباء بيابوا لاناو الجنوبي في موضوع (الرسول منقذ البشرية) بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبي الرحمة بدأ بذكر العناصر الأربعة من الأمم الذين اجتمعوا في المدينة المنورة في زمن الرسول الأعظم ﷺ فهذه الأمم هي:

١. عنصر العرب يمثله أبو بكر الصديق وهو أول من أسلم.

٢. عنصر الفرس يمثله سلمان الفارسي الذي قال له الرسول ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

٣. عنصر الروم يمثله صهيب الرومي.

٤. عنصر الزنج الإفريقي يمثله بلال بن رباح الحبشي.

وذكر فضيلته أن هذه العناصر الأربعة يجمعهم كلمة التوحيد وهو قول : (لا إله إلا الله) وهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين أصفر وأحمر إلا بالتقوى، فأورد في هذا الموضوع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة.

ثم أخذ يتحدث في مجتمع أمريكي يتعاون بينه وبين مجتمع إسلامي في زمن الرسول فذكر فضيلته السيد محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سابقاً يوم أن زار أمريكا وهو رجل أسود فلم يسمح له صاحب الفندق أن ينزل إلى الفندق بدعوى أنه رجل أسمر (الأسود) ومن هنا تجلت نخوته العربية وغيرته الإسلامية فاشترى الفندق وكتب على بابه هذا فندق المسلم صالح للأسود والأبيض. وقد أثرت هذه المحاضرة في نفوس المستمعين وبالله التوفيق.

آخر الزيارة في يوم الخميس:

وفي الساعة الثالثة في يوم الخميس وصل فضيلته على مدينة مراوي عائداً من جولته الاستطلاعية فختم هذه الجولة بزيارة مسجد سبلايا ماناو بمدينة مراوى الذي سموه اليوم بمسجد مركز الملك خالد بن عبدالعزيز وبداخل المسجد دراسة العربية والدين الإسلامي على مستوى المرحلة الابتدائية.

وبعد صلاة العصر حضر فضيلته في اجتماع الدعاة من قبل الرئاسة وتحدث فضيلته في موضوع كله توجيه ونصيحة أخوية وتصفح أوراق تقارير في ملف لكل واحد منا.

ثم خرجنا إلى المسجد لأداء صلاة المغرب وبعد صلاة المغرب ركبنا السيارة الصغيرة لحضور دعوة كلية فكاسم وبعد أن تناولنا وجبة العشاء رجعنا إلى دار الضيافة في حي جمعية إقامة الإسلام.

وفي صباح يوم الجمعة ٢٩/ ١٠/ ١٤٠١هـ والساعة السابعة والنصف ركبنا على السيارة الصغيرة إلى كاغيان وقد نزلنا إلى معهد ساغياران وألقى فضيلة الشيخ إسماعيل بن عتيق كلمة موجزة بعد أن قص الشريط افتتاحا للمبنى الجديد للمعهد، وقد أجاد وأفاد الشيخ في كلمته.

وبعد أن انتهى من هذه الكلمة الإلقائية اتجهنا إلى كاغيان ونزلنا في فندق أمباسادور هوتيل في كاغيان ثم إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فأذن فضيلة الشيخ للمشرف على الدعاة في الفلبين أن يلقي خطبة الجمعة وأن يصلي بالناس في مسجد كاغيان وبعد أداء فريضة الجمعة قام فضيلته ملقيا كلمة في موضوع (التعارف والتعاون) فأورد حكمة فرضية صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين والوقوف بجبل الرحمة (جبل عرفة) وإلى غير ذلك مما يناسب

الموضوع المذكور، وملخص القول أن فضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق قد أجاد وأفاد في جميع محاضراته التي ألقاها في الأماكن خلال هذه الزيارة المباركة الميمونة التي بقي أثرها في قلوب إخوانه في الفلبين، أكثر الله أمثاله ووفقه في كل ما يحبه ويرضاه آمين.

الداعية : محمد صالح عثمان

المشرف العام على الدعاة في الفلبين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وممن عرفت في الفلبين

أحمد بشير

أحمد من علماء الفلبين وقادتها الإصلاحيين، أسس جمعية إقامة الإسلام في مدينة مراوي (مندناو)، التقيت به في عام ١٣٩٨هـ في مراوي بالفلبين، فرأيت الرجل الصالح المصلح المجدد لما اندثر من معالم الإسلام في بلده وبني جنسه من الفلبينيين، وقد امتاز الشيخ أحمد بشير بهدوء الطبع، وحكمة القول مع قلة في الكلام، وكثرة من الأعمال، فكان رحمه الله يقرع القلوب بنبرات صوته المنخفض، ويؤثر على النفوس بنظراته الحزينة على الإسلام والمسلمين.

ورغم وجود مقاومة ضد الحكومة الفلبينية من المسلمين إلا أنه بحكمته استطاع أن يشق طريقاً يرضي فيه المسلمين، ويكف شر الحكومة من التعرض لنشاطه ودعوته، وكان يتجه إلى تعليم الصغار والكبار من الذكور والإناث، وقد كانت له صلة قوية بالمملكة العربية السعودية، وبالأخص رابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية.

وقد استطاع بجهوده المباركة أن يخرج جيلاً إسلامياً سليم العقيدة واضح الاتجاه، لم تَشُبه شائبة البدعة، ومن هذا الجيل انتشروا في أنحاء الفلبين فأقاموا المدارس وعينوا الأئمة في المساجد.

وأخيراً وبواسطة الوزير السابق محمد عبده يماني أمر الملك خالد رحمه الله، بمبلغ مليون دولار لشراء مطبعة تسلم لجمعية إقامة الإسلام في الفلبين، فقام الشيخ بشير بشراء مطبعة ضخمة في مانيلا عاصمة الفلبين، فكانت أول مطبعة عربية إسلامية نفع الله بها وسدّ بها ثغرة في طباعة الكتب المدرسية والمنهجية في

مدارس جمعية إقامة الإسلام.

وقد امتدت الأيدي السعودية المحتسبة بالتآزر مع الدعاة في الفلبين، وأقاموا لهم أنشطة خيرية في مدينة مراوي وفي مدينة أخرى كالأخ الكريم الشيخ سعود العوشن وفضيلة الشيخ محمد ابن قعود والداعية الشيخ حمود اللاحم، ومازالت أعمالهم مستمرة، أما الشيخ بشير فقد انتهى به الأجل، وبقيت صحائف أعماله تملأ بتلك الحسنات التي غرسها وسقاها فبقيت تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها.

تكرر اللقاء بالشيخ محمد بشير في الرياض وفي مكة وفي الفلبين، وظلت الصلة به في مجال الدعوة والتوجيه، وكان كما ذكر عاملاً صامتاً، وموجهاً مرشداً، تستشف منه الرغبة في الزيادة والإفادة ممن يستمع إليه، ولكنه يعرف من نبرات صوته ومن بريق عينيه السماحة وعلمه بأكثر ما نقول له، لعل التجارب التي مر بها الشيخ بشير تعطيه أو أعطته علماً هو الإصغاء لكل ما يقال له من غير رد عليه، أو مجابهة بنقاش في رأي قابل للأخذ والعطاء، قام الشيخ محمد بشير بالدعوة في زمن لم يكن هناك من يتحرك، وفي نصف قرن تقريباً أينعت تلك الدعوة وأثمرت وما تزال.

دخلت سكن الشيخ بشير في مراوي فرأيت منزلاً خاوياً من الأثاث والفرش الذي ينبغي أن يكون لمثله مع قدرته المالية، وكثرة أنصاره وأعوانه ولكنه بهذا يريد أن يعلم من عمل معه ضرورة التقشف والزهد والقناعة، وأنه لا اعتبار في الدنيا إلا بالعمل الصالح، ويمكن أن نصنف الشيخ أحمد بشير من الدعاة العمليين، وليس له فكر محرر أو توجه خاص أو دعوة إلى عقيدة غير ما عليه السلف.

ومن هذا الجانب أشبه بالمكمل والمتمم والمصلح على نهج من سبقه من علماء المسلمين ودعاة الخير والإصلاح، رغم محبته لدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب إلا أنه لا يظهر الانتماء لغير المذهب الفقهي الشافعي، كما أن علماء مكة وأعيانها يطمئنون إليه لصدقه ومحبته وتواضعه، وعدم إصراره على شيء يكون فيه مأخذاً وما يلام عليه، وهو أشبه بالماء الزلال الذي يتخلل في مسيره الهابط فتحات الصخور، فهو يمضي إلى حيث شاء ولا يلتفت إلى من يعكر صفو سيره، فهو ذو حكمة ورواية ودراية، والأهم من هذا كله هو إخلاصه الصادق، وبذله المتواصل حتى أتاه الله ما يريد أو بعض ما يريد، فعلى مثل هؤلاء العلماء تنهض الأمم، وتسود الشعوب بالعلم والتقوى، والله الهادي إلى سواء السبيل وهو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(١١)

إيـــــران

(أسبوع في طهران وجولة في مدينة قم)

وبعد أن ألقيت عصا التسيار بعد أن تجاوز سني العمر خمساً وستين عاماً أبت إرادة الله إلا أن تعيد بي الذاكرة إلى حب الترحال والانتقال ففي الثاني والعشرين من شهر شوال عام ١٤٢١هـ بسقت بنا الطائرة من الرياض إلى دبي أمضينا في الجو ساعة أو تزيد ومن دبي إلى طهران عاصمة الجمهورية الإيرانية وكان هبوطنا من الطائرة في ساعة ليل متأخرة صبيحة يوم الجمعة، وقد سبق مهاتفة بعض الأصحاب في طهران للاستقبال والإرشاد من منسوبي سفارة المملكة العربية السعودية في طهران، فكان كما وعد، حيث امتطينا مركبته إلى المدينة العاصمة في جو بارد، ومع تأخرنا في الوصول فقد رأينا الشوارع مكتظة بالسيارات والحركة حتى وصلنا إلى منزل صاحبنا، وفي الصباح الباكر أعددنا البرنامج لهذه الرحلة الاستطلاعية عن مآثر علماء الإسلام والقادة الأعلام ممن كانوا يقطنون هذه البلاد في غابر الأحقاب من أهل السنة غير أن المفاجأة التي لا تحمد عدم وجود مسجد لأهل السنة والجماعة في مدينة طهران التي ينيف عدد سكانها على١٢ مليوناً فكان أول خطوة دلفنا إلى شقة صغيرة استأجرها بعض منسوبي السفارة السعودية تطوعاً لتكون هذه الشقة ملتقى المسلمين يوم الجمعة ليؤدوا صلاتهم ويلتقون في عيدهم الأسبوعي، تقدم أحد منسوبي السفارات العربية وخطب خطبتي الجمعة وصلى بنا إماماً وقد أئتم به ما يزيد على ١٥٠ مصلياً حمدنا الله على ذلك حيث التقينا بعدد من الإخوة

الطيبين الغيورين والمحبين ممن يؤدون صلاة الجمعة إلا أن ما علق في الذهن أن طهران عاصمة جمهورية إسلامية لم تأخذ في الاعتبار من في طهران من أهل السنة والجماعة وليس لهم مسجد يقصدونه في صلواتهم الخمس ولا في يوم الجمعة ولو تقديراً وإكراماً لمشاعر منسوبي السفارات العربية وعددها ١٨ سفارة فضلاً عن الدول الإسلامية التي تنيف على خمسين دولة.

خرجنا من الشقة وقد نسميها مسجداً مركزياً لأهل السنة في طهران إن صحت التسمية، ولكن هذا هو الموجود، عدنا إلى البحث عن المكتبات والكتب العربية والآثار الإسلامية من مخطوطات أو مطبوعات فلم أر جواباً ولم أهتد صواباً بل بادر الإخوة بكتب مسمومة بأفكار مدخولة هي قدح ولا مدح لأهل السنة والجماعة ولا أريد إيضاح أكثر من ذلك فالانفراج بين ما عليه أهل الملة الحنفية وبين وما عليه أهل التشييع أمر لا يجهله التاريخ وليس من الحكمة ولا من السياسة توسيع الانفراج لاسيما وأن التقارب يحدوا أمل القادة لمصالح سياسية واقتصادية وحسن جوار بينها وبين الدول العربية ونسأل الله التمام وحسن الختام.

نقطة ثالثة: ماذا سنرى في طهران؟ وما هو الذي يستحق التسطير عن عاصمة الجمهورية الإيرانية؟ تصفحت بعض الكتيبات فكان فيها أن طهران القديمة إحدى القرى الواقعة خارج حدود مدينة ري الكبيرة، بعد أفول مدينة ري إثر حملات المغول بدأت طهران بالازدهار ففي عهد حكومة الملك طهما سب من سلالة الدولة الصفوية شيدت المدينة بسور مرتفع ثم وصلت إلى مقامها المرموق عندما استلمها غفور خان ابن الأمير كريم خان زند إلا أن يتوجه إلى شيراز وجعلها عاصمة للبلاد وبعد وفاة كريم خان زند انطلق محمد خان إلى

طهران فاستولى عليها بعد حروب ضارية بينه وبين لطف علي خان رستم ثم أصبحت طهران عاصمة لبلاد فارس.

وماذا في طهران التي يسطر عنها دليل السائح العربي فيها حرم السيد عبدالعظيم الحسني المعروف بشاة عبدالعظيم عليه السلام وفيها مرقد الإمام الخميني ومرقد السيد صالح المعروف بإمام زاده صالح ومرقد السيد داود المعروف بإمام زاده داود وحسينية جمران وهي القاعة المتواضعة التي كان الخميني يستقبل فيها أبناء الشعب ومتحف الدار المعمورة وقصور الشاة ومتحف إيران القديم ومتحف السجاد والتراث الخ ما ذكر من المنتزهات وحدائق الحيوانات والساحات والميادين كساحة فردوس وساحة ولي عصر لم أر ما يستحق الإشارة ويوجب التسطير ولهذا أكتفي بمشاهدتي القصيرة مع محادثة لبعض من التقيت به من العرب.

وفي يوم الأحد ٢٦/ ١٠/ ١٤٢١هـ اتجهت بنا المركبة إلى مرقد الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية في إيران بني مرقده بعد وفاته على مساحة واسعة بطراز الهندسة المعمارية الإسلامية على الجانب الغربي من مقبرة الشهداء المقبرة التي دفن فيها آلاف الشهداء من أبناء الثورة منهم آية الله طلقاني ورئيس الجمهورية محمد علي رجائي هكذا عبارة ما كتب عن مرقد الخميني، تبعد هذه المقابر عن طهران ٢٥ كيلو متر وقد ارتفعت المآذن على هذه القبة وحولها ساحات تسع للحجيج والزوار والعمل جاري على توسعته وتطريزه وتجمع لـه الثورة الطائلة ليكون مزاراً وملتقى للمتعبدين حول هذا المقام، ومنها إلى مدينة قم التي تعتبر مدينة مقدسة ومركزاً دينياً هاماً حيث تحتضن مرقد فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ومراقد كبار علماء

الدين وكذا مقام الإمام الثاني عشر لدى الشيعة الإمامية المعروف بمسجد جمكران الذي يقصده الزائرون لعبادة الله سبحانه وطلب الحوائج خصوصاً في مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وفي مدينة قم توجد مراقد العلويين من أبناء الإمام علي بن الحسين وابن العباس عليهم السلام وإبراهيم المبرقع كما تضم مكتبة آية الله العظمى المر عشي النجفي أن تعد من أكبر وأشمل المكتبات في إيران بما تحويه من كتب قيمة وأخرى خطيه فريدة لا مثيل لها في العالم، تعد هذه المدينة مركزاً علمياً بالغ الشأن لما حوت إحدى أكبر الحوازات العلمية في العالم الإسلامي لتخريج علماء الدين والخطباء والعلماء والمؤلفين وبها مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ومن منشوراتها تحرير الوسيلة للإمام الخميني جزءان مضمونه تحرير مسائل الفقه من الطهارة إلى آخر أبواب الفقه، وقد دامت الجولة فيما يسمونه بالحوزة يعني المدرسة العلمية ذكر لنا من لقيناه أن تاريخ هذه المدرسة يزيد على ألف عام ولها أربعون فرعاً في مدينة قم تحتضن كثيراً من أبناء العالم الإسلامي للتفقه في الدين وإعطائهم الألقاب والإشارات الشيعية ليكونوا دعاة وهداة وفق المنهج الذي تعلموه في قم، وقد رأينا من الزخارف والنقوش ما يعيد الذاكرة إلى النقوش الإسلامية في الأندلس وفي اسطنبول، كما رأينا الحشود المتتابعة حول مقام فاطمة المعصومة كما زعموا رجالاً ونساءً وحول هذا المقام ساحات واسعة مما يدل على تكاثر الزائرين والمستشفعين والداعين حول هذا القبر، وإن مما يلفت الأنظار حجم القبب المرتفعة حتى ظننت أنها أضخم من قباب الصفا والمروة شرفها الله.

مدينة قم ليست بالكبيرة وليس فيها ازدحام في الطرقات، ولم يظهر لنا من

مظاهرها العمرانية التقدم العمراني، وحول المدينة المذكورة على بعد ٤ كيلومتر ما يسمونه بمسجد جمركان المقدس، وقصة هذا المسجد أنه في عام ٣٧٣ رأى الشيخ حسن الجمكراني الناس يأتون إلى بيته ويقولون لـه: قم وأجب الإمام فإنه يطلبك ثم ذهبوا به إلى موقع ومسجد جمركان الحالي قال فنظرت فإذا بي أرى سريراً عليه فراش وثير يستلقي عليه شاب في الثلاثين من عمره قد اتكأ على وسادة وقد جلس بجانبه شيخ كبير هذا الشيخ هو الخضر عليه السلام وقد أمره بالجلوس ودعاه المهدي باسمه ثم قال له: اذهب إلى حسن بن مسلم الذي يقوم بالزراعة في هذه الأنحاء وقل له: إن هذه الأرض مقدسة وشريفة وقد اصطفاها الله تعالى على سائر البقاع الأخرى ولا يجوز أن يزرع فيها بعد الآن إلى آخر ما سجلته الترهات المنامية والأحوال الخيالية مما جعل سواد الناس وعامتهم وقصارى النظر يصدقون هذه الأحلام ويجعلون فيها مكاناً مقدساً يحج له الناس ويقدسونه وقد سموه مقام الإمام المهدي الثاني عشر لهذه الرؤيا، وليتك ترى ما حوله من نساء زرافات ووحداناً يجأرون بالدعاء ويلهثون حول هذا المقام، وقد أخبرنا من به أن في غرب هذا المقام بئر يأتيها أصحاب الحاجات لوصية من المهدي أن كل من لـه حاجة فليأتي إلى هذا البئر وليشرب من مائها وتقضى حاجته.

بحثنا عن المكتبة التي ذكر أن بها مخطوطات ومراجع عربية فلم نر سوى مكتبة تحتوي على ١٥٠٠ كتاب عربي وفارسي وليس فيها من القديم ما يستدعى ذكره انصرفنا بعد جولة قصيرة في مقام المهدي وعدنا إلى طهران بعد أن أنفقنا من وقتنا ست ساعات ذهاباً وإياباً حيث تبعد مدينة قم عن مقام الخميلي ١٥٠ كيلو ومن طهران ١٧٥ كيلو وقد أخبرنا قائد المركبة أن مطاراً

جديداً على بعد ٥٠ كيلومتراً يعد مطاراً دولياً بطهران أسموه مطار الإمام الخميني، ومما يلفت الأنظار في طهران كثرة اللافتات باللغة الفارسية فقط وقليلاً من اللغة الأجنبية، وقد امتزجت اللغة الفارسية باللغة العربية امتزاج الملح بالماء فكانت اللغة العربية وبالحرف العربي مع اللغة الفارسية سهلة النطق والقراءة سيما وأن هناك كلمات عربية فصحى مألوفة ومختلطة باللغة الفارسية شأنها شأن اللغة الأردية ولاسيما المصطلحات الشرعية كتحية الإسلام من ذلك استعلامات بالفارسية اطلاعات الآن تنطق الآن المجلة تنطق مجلة المريض/ مريض/ مسجد ينطق مسجد جمارك- جمرك ومثل ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهذا مما يسهل على الزائر والسائح قراءة اللافتات والاستدلال بها على ما تشير إليه. أما الزخارف والنقوش القديمة فحدث ولا حرج سيما في المساجد والمتاحف فإنها تعطي روعة الفن الإسلامي القديم مما يذكر بالأندلس وبتركيا والتي كانت تتحاشى ما يشير إلى الصلبان ويرمز إلى معالم وثنية بل كلها نقوش وزخارف غاية في الفن والإبداع. هذه جولتنا الأسبوعية في طهران وقد أرشدنا من سألناه عن تقدم الطب البشري في إيران عامة وفي طهران خاصة في العيون والعظام والمسالك البولية.

ولعل القارئ يستنطق الكاتب عن إيران عموماً ولو فيما استقرأه واستملأه فأقول: تبلغ مساحة جمهورية إيران الإسلامية ١ر٦٤٨ر٩٥ كيلو متراً مربعاً وتشكل المناطق الجبلية ٥٠٪ من أراضيها والمناطق الصحراوية ٢٥٪ أما الأراضي الزراعية فتصل ٢٥٪ تقع إيران في الجنوب الغربي من قارة آسيا، وهي بمثابة حلقة وصل بين الشرق والغرب، تجاورها على طول الحدود الشمالية جمهوريات أرمينيا وأذربيجان وتركمنتان، ولها واجهة بحرية على امتداد بحر

قزوين.

تحيطها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الغرب تركيا والعراق، ومن الجنوب سواحل الخليج وبحر عمان وبالإضافة إلى ذلك عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة التابعة لها.

أما السكان فيبلغ عددهم أكثر من ٦٠ مليون نسمة من مختلف القوميات، منها الفارسية التي تشكل ٤٥٪ من سكانها، والتركية ١٧٪ والكردية ٩٪ والعربية ٥ر٢٪ أما الديانة الرسمية في البلاد فهي الإسلام حيث يشكل المسلمون ٩٨٪ بينما يشكل المسيحيون واليهود والزرادشت والديانات الأخرى ٢٪.

ومن أهم مدنها:

مشهد: التي عرفت قديماً باسم سناباد وكانت قرية صغيرة بالقرب من مدينة طوس التاريخية وسميت بمشهد المقدسة نسبة إلى مشهد الإمام الرضا الذي استشهد عام ٢٠٣ وهو الثامن من أئمة الإثني عشرية وفيها من المشاهد والمآذن قبر الشيخ الطبرسي صاحب تفسير البيان ومزار خواجة ربيع ومرقد الإمام علي ابن موسى الذي يعتبر بناءه الشاهق من أكبر وأرقى نماذج الفن المعماري.

وظاهرة المزارات والمشاهد في إيران ظاهرة طبيعية لا تكاد تنظر إلا وتجد هذه المشاهد تذخر بالزوار والمستشفعين بها من رجال ونساء.

ومن مدن إيران المهمة أصفهان: أنشئت على منحدر صخري يقع على الجانب الشرقي لجبال زاخروس يروى أن بناء مدينة أصفهان يرجع إلى الملك كيكاوس.

وفي العام العشرين هجري دخل المسلمون مدينة أصفهان فعمت فيها

الحضارة والفن الإسلامي فاستمرت قيادة الازدهار والنمو بحجم أكبر وفي عام ٣٠١ على عهد الساميين وبعدها أصبحت عاصمة للدولة السلجوقية. وتعتبر أصفهان من أهم المراكز الاقتصادية في إيران.

كما أن من أهم المدن: شيراز عروسة المدن في إيران كما زعموها وهي مركز لمحافظة فارس وتقع في بقعة خضراء من الجبل المسمى الله أكبر.

ومن المدن في إيران مدينة همدان: تغوص جذور همدان في أعماق التاريخ وتعد إحدى أهم المدن التاريخية في إيران حيث يعتقد البعض أن تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

ومن المدن كرمان: تقع على مرتفعات الحاشية الغربية من صحراء لوت على مفترق عدة طرق وبها مزار الشاة حسين ومسجد الجامع في كرمان وحديقة شاه زاده.

هذه أهم المدن التي تصفحت ما سطر عنها في دليل السائح العربي وإن كان لنا من لوم أو ملاحظة فإن المواقع الساحلية في إيران لم تؤخذ بالاعتبار فلعل ذلك عائد لبعدها عن العاصمة أو الاعتبار الآخر أنها سنية كبندر عباس وبندر بو شهر ومدينة لنجة رغم أن الجنوب في منابع البترول كما هو في عبدان أو لأن تلك المدن لم تكن ملفت أنظار للسياح والزائرين فلتبقى مخازن البترول لتمد العواصم والمدن الشمالية في إيران وكفى.

هذا ما تيسر جمعه وتحليله من مشاهدات ومطالعات عن إيران البلد الذي طار صيته في العالم شرقاً وغرباً بدعوى قيام الحكومة الإسلامية ومحاربة الغرب وإحياء مبدأ الولاء والبراء.

وإن مما يتزين به العلماء في إيران العمامة المدارة على رؤوسهم والعباءة

التي يلبسها السادة والعلماء من متخرجي مدينة قم وهو زي إسلامي يعجب الناظر ويطرب إليه المتأمل لاسيما إذا اصطحب اللحى الكثيفة وآثار التعبد على وجوه القوم والحماس المنقطع النظير بحب العلماء والأولياء والانصياع لإرادة القيادة الدينية وهذا من جانب حسن التمسك بالدين واعتبار قادته أدلة تشريع ومنار سبيل.

نسأل الله أن يحقق للأمة آمالها وأن يعيد لها تاريخ أسلافها وأن نتذكر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة] ولا يخفى أن من سنة الكون الاختلاف والافتراق وستبقى هذه السنة أبدية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

وتأبى العنصرية الفارسية إلا أن تظهر أعناقها للنيل من أهل السنة والجماعة بمنشورات ومطبوعات ملؤها الكذب والبهتان أبت إلا أن تدافع عن مكرها وكيدها وضلالها طفت المكتبات التجارية في قم وطهران فرأيت ذخماً هائلاً من المطبوعات العربية حملت بعضها إلى المملكة وعرضت على سماحة المفتي إيجاد زاوية في المكتبة السعودية التابعة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء في داخل المبنى الرئيسي تضم شتات ما قيل ويقال عن هذه الدعوة السلفية المباركة للباحث والقارئ المتخصص فإن الأشياء تعرف بأضدادها، وكم حجم المصيبة إذا كنا لا نعرف ما يقال عنا ولا ما يحاك ضدنا في صلب العقيدة ومنهج الحكم.

وأكتفي ببيان أسماء بعض الكتب ومؤلفيها لإطلاع القارئ على ما كان عسى أن يكون في ذلك كشف المراء وإظهار الخفاء.

وكم عانت هذه الدعوة من خصومها ما حمل الكثير على التنكر لهذه الدعوة المباركة لاسيما من أرباب التصوف ومشيدي المقابر والمشاهد التي يعتبرونها مصدر رزقهم ومنار سؤددهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره وقد بزغت شمس الهدى بقناعة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأحقية هذا المنهج القائم على شرع الله ودينه ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

كلّ المسلمين يردّون على الوهابيّة، وهذه بعض كتبهم:

١- شفاء السقام لتقيّ الدين السبكي، المتوفى ٧٥٦هـ.

٢- وفاء الوفاء للسمهودي، المتوفى عام ٩١١هـ.

٣- المواهب اللدنّيّة لأبي العباس القسطلاني، المتوفى ٩٣٢هـ.

٤- شرح المواهب اللدنيّة للزرقاني المالكي، المتوفى عام ١١٢٢.

٥- الصواعق الإلهيّة في الرّد على الوهّابيّة، لسليمان بن عبدالوهّاب الحنبلي النجدي.

٦- كتاب للشيخ محمّد بن سليمان الكردي، أُستاذ محمّد بن عبدالوهّاب.

٧- الصواعق والرعود، لعفيف الدين محمد بن داود الحنبلي.

٨- السيوف الصقال في أعناق من أنكر من الأولياء، لأحد علماء بيت المقدس.

٩- الانتصار للأوفياء الأبرار، للشيخ طاهر الحنفي.

١٠- النقول الشرعيّة في الرد على الوهابيّة، للشيخ حسن بن عمر الشطّي الحنبلي.

١١- التوسّل بالنّبي ﷺ وجهلة الوهابية، لابن حامد بن مرزوق.

١٢- تطهير الفؤاد من أُنس الاعتقاد. للشيخ محمد بن نجيب مطيعي الحنفي.

١٣- سيف الأبرار المسلول على الفجّار لمحمّد بن عبدالرحمن الحنفي من علماء الأزهر.

١٤- إزهاق الباطل في الرّد على الفرقة الوهّابيّة، لإمام الحرمين محمد ابن داود الهمداني.

١٥- الدرر السنيّة في الرد على الوهّابيّة، لأحمد زيني دحلان مفتي مكّة المكرّمة، المتوفى عام ١٣٠٤.

١٦- الوهّابيّة كفر وإلحاد، للعلاّمة الشيخ عبد المجيد شاهين الذي طبع بالإسكندرية عام ١٩٥٥.

١٧- الوهّابيّة والصهيونيّة لمحمد عبد القادر الفتحي، طبع عام ١٩٣٠.

١٨- كتاب يهودا لا حنابلة.

١٩- الأزهر والسياسة للإمام الأزهر عام ١٩٢٥م.

٢٠- يهود الدونمة والأُصول السعوديّة الوهّابية، للشيخ رفعت سليم جبّار، طبع في تركيا.

الخاتمـــة

هذا ما جرى به القلم من مخزون الذاكرة وأرشيف المكتبة فقد تنوع الخطاب واختلف الأسلوب من بلد إلى آخر وفق ما هو من مقدوري وما تمليه عليَّ الحواس الخمس وبالأخص النظر واللمس وقد امتد الأجل لأن أكتب لك عن دول وعددها إحدى عشرة دولة آسيوية مما وطِئْت ثراءها وشربت مائها وهي: الباكستان، الهند، سيرلانكا، جزر المالديف، بنجلاديش، إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، إيران.

بيَّضت المسودة وأذنت بالطبع في ٢٧/ ٩/ ١٤٣١هـ الرياض.

والله ولي التوفيق،،،

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن عتيق
جوال: ٠٥٣٣٩٩١٨١٧ تلفاكس: ٤٢٠٠٨٤٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

الدولـــــــة رقم الصفحة

١-باكستان ٥
٢- الهند ٣٦
٣- سيرلانكا ٥٩
٤- جزر المالديف ٨١
٥- بنجلاديش ١٠٠
٦- إندونيسيا ١١٣
٧- ماليزيا ١١٩
٨- سنغافورة ١٢١
٩- تايلاند ١٣١
١٠- الفلبين ١٤١
١١- إيران ١٥٦
فهرس المحتويات ١٦٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذكرات وذكريات

ستون عاماً في سبع وخمسين دولة

١٣٦٧ هـ - ١٤٢٨ هـ

الجزء الثاني

إحدى عشرة دولة آسيوية

تأليف
إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

ردمك: ٨-٦٨٥٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨
مطابع دار القاسم
هاتف ٢٧٠٩٥٥٥ فاكس ٢٧٠٧٧٠٨ الرياض

Dar Al-gassem
1002644
SR 15.00